الجامعـــــة الإســـــلامية
عمـــادة الدراســـات العليـــا
كليـــــــــــــة الآداب
قســـــم اللغـــة العربيـــة

السيرة الذاتية في الأدب الإسلامي الحديث

Autobiography in Modern Islamic Literature

إعداد الطالبة:

مريم حماد عليان الحسنات

إشراف الاستاذ الدكتور:

كمال غنيم

قدم هذا البحث استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأدب العربي

A Thesis Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master in Arabic Literature

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
التمهيد	٤
الفصل الأول: مفهوم السيرة الذاتية	١٣
الفصل الثاني: أهداف السيرة الذاتية وشروطها	٤٠
الفصل الثالث: أشكال السيرة الذاتية	٦٢
الفصل الرابع: مختصرات السير	٧٣
الفصل الخامس: الجماليات السردية السيرة الذاتية	١٤٨
الخاتمة	٢٦٥
المصادر والمراجع	٢٧٠

قائمة الجداول

الجدول	الصفحة
جدول ١.١: شروط توصيف السيرة الذاتية	٢٠
جدول ٥.١: نسبة زمن الطفولة والشباب في السير	١٦٠

قائمة الأشكال

الشكل	الصفحة
شكل ١.١: رسم بياني يوضح مدى أهمية كل شرط من الشروط	٢٠
شكل ٥.١: رسم بياني يوضح نسبة زمن الطفولة والشباب في السير	١٦٠
شكل ٥.٢ :منحنى تنامي الصراع	٢٥٩
شكل ٥.٣: أنواع الصراع عند الرنتيسي	٢٦٠
شكل ٥.٤: مدى تأثير الصراع على سيد قطب	٢٦١

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الخلق أجمعين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم...

سيرة، كلمة لامست أسماعنا منذ نعومة أظفارنا معبرة عن سيرة رسولنا الأكرم، و بالرغم من أنه أميٌ لا يعرف الكتابة إلا أن المكتبة الإسلامية حظيت بكنز وافر من سيرته، فلم يترك الكتّاب من عرب أو عجم شاردة ولا واردة إلا تعرضوا لها بالبحث والدراسة، ولم يوضع أحد في دائرة الضوء مثله، ولم يرقَ أحدٌ إلى منزلته، لأنه سيد الخلق وأحبهم إلى خالقهم،لذلك فقد حاول علماء الأمة اقتفاء آثاره، والتعرف على حياته كأب وحياته كزوج وحياته كقائد وحياته كعالم، وعلاقته مع عامة الناس وخاصتهم، ولقد قرأ المسلمون سيرته قراءة متأنية، قراءة تحمل الاقتداء والتأسي، وقد كان لتلك السيرة أثر بالغ في بناء الأجيال على مر العصور.

والغرب قبل ذلك بحثوا عن القدوة في علمائهم وقادتهم فسلطوا الأضواء على شخصيات مهمة في تاريخهم ذاكرين مواقفهم وآرائهم، بل إن الأمر تعدى ذلك عند العرب والغرب على حد سواء حيث إن بعض الكتاب و الأدباء و الرحالة و العلماء كتبوا عن أنفسهم و بلدانهم وعن الأحداث التاريخية التي عاشوها لغاية في نفوسهم عبروا عنها في كتابات.

وقد ارتأيت أن أتعرض لبعض السير التي كتبت في العصر الحديث بالبحث والدراسة، وإذا كان من سبقني اهتم بالكّتاب والشعراء والمؤلفين، أو من يحملون فكراً بعيداً عن ينابيع ثقافتنا أو درس سير أولئك الكتّاب الذين يكتبون لأنفسهم أكثر مما يكتبون للناس، فقد وجدت أن من الحكمة أن أزيح الستار عن أولئك الذين صدق فيهم قول المنفلوطي في نظراته: (إنك لترى الرجل يتلألأ جبينه تلألؤ الكواكب في جنح ليل مبرد، ويفتر ثغره عن الأنوار افترار الأكمام عن الأزهار فتحسده على نعمته وسعادته وتتمنى أن لو منحك الله ما منحه من هناء ورغد، وإن بين جنبيه– لو علمت– هماً يعتلج وقلباً يدب فيه اليأس دبيب الآجال في الأعمار، وكبداً مقروحة لو عرضها في سوق الهموم والأحزان ما وجد من يبتاعها منه بأبخس الأثمان)[1]

فهذا حال أصحاب الفكر الإسلامي، سيرهم تكشف ما حملته نفوسهم على مدار الأيام من آلام وآمال وتجارب، وإذا كان التاريخ يصنعه العظماء فإن السير الذاتية ترسم تفاصيلاً وخطوطاً تعكسها على صفحة التاريخ تبرز الحق والصدق، وأكثر ما أعجب له في نفسي أنني أحب التفاصيل الصغيرة التي تكون بمثابة ومضات سريعة تشدني فأرى جمالاً أطرب له، جمال لحظات

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات٢، ص١١، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م،

العزة والافتخار، وتسيل دموعي مدراراً حينما أشعر بألم الكاتب وأسمع أنَّاته في لحظات الألم والحزن والعذاب.

ورواد الفكر الإسلامي في فلسطين وغيرها من الدول العربية كتبوا سيرهم الذاتية، إلا أن أحداً من الباحثين لم يبرز هذه الكتابات بدراسة، وهذا الجهد يطلع القراء على مجموعة نماذج من أدب السيرة الذاتية في الفكر الإسلامي الحديث، ويدرسه دراسة موضوعية موضحاً الجوانب الفنية والغائية في تلك السير.

وحدود هذا البحث تنحصر في دراسة السير التالية دراسة موضوعية وفنية:

١. ذكريات – علي الطنطاوي
٢. ابن القرية والكتاب – يوسف القرضاوي
٣. مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني – نجيب الكيلاني
٤. ذكريات لا مذكرات – عمر التلمساني
٥. كشف المستور – منير الغضبان
٦. طفل من القرية – سيد قطب
٧. أيام من حياتي – زينب الغزالي
٨. رحلتي من الشك إلى الإيمان – مصطفى محمود
٩. هذه حياتي – أحمد ديدات
١٠. مذكرات الشهيد – عبد العزيز الرنتيسي
١١. ذكريات مرج الزهور – حماد الحسنات

ولو أردت أن أحدد سبب اختياري لهذا الموضوع فيمكن تفصيله في النقاط التالية:

- السيرة الذاتية جنسٌ حديثٌ من الأجناس الأدبية التي لم تقتل دراسة وتمحيصاً.
- عرض سير ذاتية لم يتعرض لها أحد مسبقاً بالدراسة، أي أن النماذج المنتقاة جديدة على البحث والدراسة .
- فتح الباب على مصراعيه أمام رؤى فكرية جديدة نأت عنها الدراسات السابقة.
- خلو المكتبة العربية والإسلامية من بحث يتناول دراسة للسيرة الذاتية في الأدب الإسلامي الحديث .
- الكشف عن دور الأدب الإسلامي في إبراز جماليات الأدب العربي في العصر الحديث.

- أهمية دور الأدب الإسلامي الحديث في زيادة الوعي العربي والإسلامي بمشكلات الأمة، و إزاحة الستار عن شخصيات كان لها دور في تغيير المجتمع نحو الأفضل.

لذلك تهدف الدراسة إلى:

١. تقديم آراء مختلفة حول توصيف السيرة الذاتية، وتحديد الفرق بين السيرة الذاتية والغيرية
٢. عرض نماذج من السير الذاتية لرواد الأدب الإسلامي في الوطن العربي،والتركيز على أهم المحاور التي تناولتها كل واحدة.
٣. دراسة النماذج المختارة للتعرف على أهداف السيرة الذاتية وأشكالها ومراحلها عندهم.
٤. الإجابة على السؤال التالي: هل توفرت المقومات الفنية للسيرة الذاتية في كتاباتهم.؟

وهذه البحث يقوم على المنهج الوصفي الاستقرائي في الفصول الأربعة الأولى أما الفصل الخامس فقد اعتمدت فيه على الدراسة الفنية.ولإتمام ذلك قمت بالخطوات التالية:

- جمع النماذج المحددة وقراءتها والاطلاع عليها.
- تقسيم النماذج حسب أوجه التوافق والاختلاف بينها من حيث:شكل السيرة الذاتية.
- دراسة النماذج المختارة من حيث:

١. الأهداف.
٢. توفر شروط السيرة الذاتية.
٣. دوافع الكتابة.
٤. مراحل السيرة الذاتية.
٥. جماليات السيرة الذاتية.

٦. تقديم خلاصة لأهم ما توصلت إليه الباحثة.

لقد نظرت لتلك السير المنتقاة نظرة المتأمل وعشت مع أصحابها لحظات الحزن والألم والقهر والثبات والصمود والاعتزاز تارة، ولحظات الأمل والفرح والفخر تارة أخرى، زادتني هذه اللحظات إيمانا ويقيناً بقوة الله وقدرته التي ألقى بذرة منها في بعض النفوس وأملًا بأن الله لن يضيعَ المؤمنين المتقين

فإن أجدت في ذلك فبتوفيق من الله عز وجل، وإن لم أوفق فهو تقصير مني أرجو أن يغفره ربي لي، وليسامحني القارئ فما دراستي هذه إلا نقطة صغيرة في بحرٍ خِضَمٍّ من الدراسات الأدبية.

الباحثة

التمهيد

الأدب الإسلامي أهميته ومفهومه ومحدداته

تغير مفهوم الأدب عبر العصور، فقد كان يعني قبل الإسلام الخلق، ويعني العلم، وهو الخُلُق الكريم في العهد الإسلامي فقد قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–(أدبني ربي فأحسن تأديبي،بيد أني من قريش، ورُبيت في بني سعد)، واتضح مفهوم الأدب في القرن الأول للهجرة وظهرت طبقة من العلماء سميت المؤدبين، ثم انحصر معناه عند علماء العربية كالمبرد والثعالبي في الشعر والنثر بينما اعتبر الجاحظ أهل الأدب هم أهل العلم والمعرفة، ثم اتسع معنى كلمة الأدب عند المختصين كياقوت الحموي وابن الأنباري والسكاكي والقلقشندي لتشمل عدة علوم وفنون فمثلًا ابن الأنباري عدَّ علوم الأدب ثمانية: اللغة والنحو والتصريف والعروض والقوافي وصنعة الشعر وأخبار العرب وأنسابهم وعلم الجدل وعلم أصول النحو، ثم توسع النويري توسعًا كبيرًا حيث أدخل في كتابه (نهاية الأرب) كل العلوم المعروفة في زمنه[1]ومهما كان مفهوم الأدب فما يهمني في هذا البحث هو جزء من الكتابة الأدبية النثرية، بل ما كتبه الكتّاب عن أنفسهم أو ما سمي بالسيرة الذاتية.

وقبل الدخول في تفاصيل هذا الموضوع لابد أن نحدد ما يلي: هل غاية الأدب المتعة الجمالية أم الفائدة التربوية والأخلاقية والاجتماعية، أم أن الأدب وجد لتسلية البشر وملء فراغهم، هذه أسئلة تدور في أذهان المطلعين على الأدب والمهتمين به، ولقد دارت هذه الأسئلة في أذهان من سبقونا قديماً وحديثاً من عرب وعجم ومسلمين وغير مسلمين، وكانت مناقشات وسجالات على مر العصور والأزمان.

فعلى سبيل المثال في الحضارة اليونانية القديمة رأى أفلاطون أن الأدب ينمي الأخلاق والفكر، حيث قال: "إن الفن زائف، وبالتالي فهو يثير في الناس إحساسات زائفة، وهو لذلك ينمي فيهم ما يجب أن ينمي فيهم من خلق قويم وتفكير سليم، بل إنه ليقطع بأن الفن (لا في أثينا في عصره وإنما الفن عامة) لا يمكن أن يقود إلا إلى الزيف، لأنه لا يهدف إلى الحقيقة عن طريق العقل، لذلك هو لا يسمح به إلا في حالين نص عليهما، وهما أن يتغنى بمناقب الأبطال أو أن يسبح بحمد الآلهة، وبعبارة أخرى إلا أن ينحرف عن منهجه ليجهر بالموعظة الخلقية أو الدينية فيساعد على الخلق السليم... أما أرسطو "فلقد دافع عن أثر الفن في النفس وجعله أثراً شافياً،

---

(١) مطلوب، أحمد، معجم النقد العربي القديم،ج١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩م،١٢٢–١٢٤، وانظر الخطيب، علي، قطوف من ثمار الأدب الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٩٩٧م،١٣

مطهراً للعواطف، مجلياً للنفس... أي أن الفن يبعد الإنسان عن الشرور والخطايا، ويطهره، ويدفعه إلى طريق الخير،وفي العصر الروماني جاء هوراس لينظم أقوال أرسطو، حيث يرى أن "الشعر ليعلم، وإن الشعر ليهذب، وإن يجمع بين الأمرين لأفضل"(١).

ولقد سلط محمد مندور الضوء على آراء الغربيين الذين اهتموا بالقيمة الأخلاقية والاجتماعية للأدب –كالوجوديين مثلًا– بقوله:" ولذلك نادت وجوديتهم بالمسئولية والالتزام وسموا أدبهم الوجودي بالأدب الملتزم، أي الأدب الذي يتخذ له هدفاً أساسياً وهو التزام موقف أخلاقي واجتماعي محدد، من كل حدث فردي أو اجتماعي أو وطني وبذلك جعلوا القيمة الفنية والجمالية للأدب في المرتبة الثانية بعد القيمة الأخلاقية والاجتماعية الملتزمة"(٢).ويتفق أصحاب الفكر الإسلامي مع هؤلاء الغربيين في هذا الرأي ، حيث أن كلا الطرفين عدَّ الالتزام بقضايا الأمة الوطنية هو الهدف الأساسي للأدب

وفي المقابل ظهرت الثورة على القيم والأخلاق في العصر الحديث ويوضح ذلك مندور بقوله"هذا اتجاه يرجع إلى القرن الماضي بل والقرن الذي سبقه، وقد ظهرت هذه الجملة بأشد عنفها على يد نيتشه بعد أن مهد لها شوبنهور وغيره تمهيداً قوياً، إذ قال أولئك الفلاسفة إن الأخلاق ليست إلا خرافات اخترعها الضعفاء ليتقوا بها سطوة الأقوياء في معركة الحياة"(٣)،لذلك يجب عليهم –حسب رأيهم– أن ينسلخوا من الأخلاق ويعيثوا في الأرض فسادًا، ويعتبر هذا الرأي آفة العصر الحديث لأنهم دفعوا في اتجاه العلم المجرد من الأخلاق مما فتح الباب واسعًا أمام إشباع الغرائز وتوظيف الأدب والفن في سبيل ذلك، والسعي للقيام بدور الخالق كما في محاولاتهم المستميتة لاستنساخ البشر.

والبعض يرى أن الكتابة الأدبية ليس لها فائدة إلا التسلية، هذا جاك ريفير يصور فائدة الأدب عند موليير وراسين في جملتين "إذا سئل موليير وراسين في القرن السابع عشر لماذا كانا يكتبان فلا شك أنهما لن يجدا سوى إجابة واحدة وهي أنهما كانا يكتبان لتسلية الناس المحترمين"(٤).

---

(١) انظر،القلماوي، النقد الأدبي، دار المعرفة، القاهرة، ٧٨

(٢) مندور، محمد، الأدب ومذاهبه، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، ١٩١

(٣) مندور، الأدب ومذاهبه، ١٥٦

(٤) ت، س، إليوت، فائدة الشعر وفائدة النقد، ترجمة يوسف نور عوض، دار القلم، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٢م، ١٢٤

إذاً فالغاية من الأدب مختلف عليها "غاية أخلاقية دينية اجتماعية تبنتها مدارس أدبية كالكلاسيكية والواقعية النقدية والواقعية الاشتراكية...ثم غاية جمالية آمن بها الرومانسيون وإن لم يتفقوا جميعاً على جحد الدين والأخلاق، بل كان منهم من دعا إلى التمسك بالدين والأخلاق مثل كولردج وقد تمثلت الغاية الجمالية أكثر ما تمثلت في المدرسة البرناسية التي اهتمت بقضية الفن للفن، ونادت بأن يتحرر الأدب من كل غاية اجتماعية أو أخلاقية"[١]

هذا بالنسبة للغرب أما العرب فقد ظهرت في بعض كتاباتهم مصطلحات هامة كالأدب الإسلامي والأدب الملتزم، فمثلًا محمد غنيمي هلال في كتابه النقد الأدبي يقول:"التزام الشاعر يعني وجوب مشاركته بالفكر والشعور والفن، في القضايا الوطنية والإنسانية وفيما يعاني الآخرون من آلام، ويبنون من آمال"[٢]أي أن الأديب الملتزم ذلك الأديب الذي يتفاعل مع هموم ومشكلات أمته ويحاول أن يشارك أبناء وطنه المخلصين فيما يفعلون لرفع راية أمته.

كما أن محمد مندور في كتابه الأدب ومذاهبه يرى أن " جماهير عديدة من البشر أصبحت لا تقنع من الأدب بالمتعة الجمالية أو بعملية الترويح أو التنفيس عن مكبوتات النفس، بل تطلب منه عملاً إيجابياً وإيثاراً وتضحية بالذات في سبيل الغير من ملايين الناس الغارقين في محن الحياة ومشقاتها"[٣]، وفي هذه الكلمات يظهر جزء من خصائص الأدب الإسلامي الملتزم في العصر الحديث– الذي سيأتي ذكرها فيما بعد–خاصة بعد ظهور مفهوم الحداثة وما تبعها من نظريات، حيث لا بد من التفاعل مع الواقع الجديد من خلال فهم تلك النظريات بعد فهمنا للإسلام وأسسه وتشريعاته ومن ثم الاستفادة منها.

وهذا ما أكده الكاتب الإسلامي عماد الدين خليل بقوله:"والمهم هو تجاوز الوقوع في إحدى اثنتين: التقبل الكامل لمعطيات الحداثة بدافع الإعجاب والتزام العلمية في العمل النقدي، أو الرفض الكامل لها بحجة ارتباطها بخلفيات قد ترتطم مفرداتها، أو بعضها، مع المنظور الإسلامي للكون والعالم والإنسان، ولطبيعة النشاط الإبداعي" [٤]

---

(١) صابر، نجوى، النقد الأخلاقي أصوله وتطبيقاته، دار العلوم العربية، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٠م، ٢٢٢

(٢) هلال ، النقد الأدبي الحديث، ٤٥٦

(٣) مندور، الأدب ومذاهبه، ١٩١

(٤) خليل، عماد الدين، الغايات المستهدفة للأدب الإسلامي، ٣٠

ويرى أحمد العناني أن كل كاتب يتأثر بمضمون القرآن فإن إنتاجه يعد أدباً إسلامياً، وهو بذلك يضع حدودًا لمفهوم الأدب الإسلامي أساس تلك الحدود الالتزام بمبادئ الإسلام وقيمه ووسائله "[١]

إن نجيب الكيلاني رائد الرواية الإسلامية في العصر الحديث وعميد الأدب الإسلامي يرى أن "الأدب الإسلامي أدبٌ مسئول، والمسئولية الإسلامية التزام نابع من قلب المؤمن، التزام تمتد أواصره إلى كتاب الله"[٢]كما يحدد الكيلاني أهمية النتاج الأدبي والفني للأديب المسلم بقوله:"يبقى ذلك النموذج الفرد تعبيرًا حيًا عن زمنه ومكانه، وتتفاوت أهمية الأفراد تبعًا للأدوار التي يؤدونها في حياتهم، فالسياسي نموذج في جانب من جوانب تلك الحياة، وكذلك المهندس والطبيب والصحافي والفلاح والصانع والتاجر ورجل الأعمال، لكن يبقى الفنان –أديبًا ورسامًا أو ممثلًا– صورة نابضة لواقع الفترة الزمنية التي يعيشها، والبيئة التي يتحرك فيها، إذا صدق في تعبيره وامتلك الأداة الناجحة للترجمة عن الأفكار والمشاعر والأحداث"[٣]

ويوضح رأيه هذا بمفردات أقوى بقوله:" "الأديب المسلم قدماه في الأرض... وهامته تلامس الثريا.. وكأنه صلة معقودة بين الأرض والسماء... بين عالم الواقع بآلامه ونقائضه ومشاكله... وعالم المثال بشفافيته وفضائله وإبداعه... أو بعبارة أخرى نستطيع أن نسمي هذا واقعية مثالية... أو إن شئت سمها إسلامية!"[٤]

كلمات جميلة تعانق الروح وتقنع العقل، ولكنها تحتاج إلى الغوص في الصميم للخوض في تفصيلات الأدب، فالأدب الإسلامي أدبٌ يعبر عن حاجة الإنسان، وينبغي أن ينمو ليعالج قضايا الإنسان والجماعة والأمة"والأدب الإسلامي اليوم لن يتنزل من السماء، ولن تنشق الأرض فتدفعه، إنه اليوم جهد بشري، ومعاناة بشرية، إنه بحاجة إلى الموهبة والجهد والبذل، إنه لا ينهض في قوم غافلين ممزقين تائهين، ولن ينهض مع رايات لا تجد لها رصيدًا أمينًا في الواقع"[٥]

---

(١) انظر، الساريسي، عمر عبد الرحمن، مقالات في الأدب الإسلامي، ١٣٧

(٢) الكيلاني، نجيب، مفهوم الأدب الإسلامي،مجلة الرابطة، العدد الأول، شتاء ١٩٩٥م، ٥

(٣) الكيلاني، نجيب، ذكريات الدكتور نجيب الكيلاني، ج١، كتاب المختار، ٢٠٠٦م، ٣

(٤)الكيلاني،مفهوم الأدب الإسلامي، مجلة الرابطة، العدد الأول، شتاء ١٩٩٥م، ٣٤

(٥) النحوي،عدنان، الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، ط١، ١٩٨٧م،٤١

وكون الكيلاني أديباً مميزاً، ومن الأدباء المعدودين الذين كتبوا أدبًا إسلاميًا مميزًا، فإنه وضع أسسًا عامةً له، من أهمها: فائدة الأدب والغاية منه، ويرى أن الارتباط بين الفائدة والأدب الإسلامي قوي جدًا لدرجة الالتصاق حيث يرى أن " "الفائدة المصاحبة للجمال لا يشترط أن تكون فائدة مادية بحتة، فقد تكون فائدة نفسية أو روحية أو أخلاقية...وإذا جاز لنا أن نستعمل كلمة النفع أو الفائدة بمعناه الشامل، إننا نستطيع أن نقرر باطمئنان أن الجمال الإسلامي تلتصق به الفائدة التصاقاً عضوياً غير قابل للفصل، التصاق الشكل الفني بمضمونه"[١]، وهذا لا يعني –من وجهة نظره–أن الغاية أهم من الجماليات الفنية، بل إن القيم الفنية تسير جنبًا إلى جنب مع الغاية والمنفعة لتحقق الأهداف المرجوة، ويؤكد عباس محجوب ذلك بقوله:"الاهتمام بالجانب الجمالي في الحياة حيث لا يهتم كثير من المسلمين بهذا الجانب الذي ركز عليه القرآن الكريم باعتباره وسيلة لتحقيق أهداف الإنسان فالخلق الجمالي في الكون والعالم والطبيعة ليس هدفًا في حد ذاته، وإنما هو وسيلة أريد بها تمكين الإنسان من التحقق بعلاقة أكثر حيوية وتدفقًا وصحيحة بالكون، الأمر الذي يقود إلى خالق الكون من خلال أشد نقاط الارتكاز في الإنسان وقدرته على التواصل والفاعلية"[٢]

إذن الأدب الإسلامي ليس معارضًا للقيم الفنية الجمالية،لأنه يحرص عليها أشد الحرص بل ينميها، ويضيف إبداعاته إليها.

ويرى محمد قطب أن "الفن في– أشكاله المختلفة– هو محاولة البشر لتصوير الإيقاع الذي يتلقونه في حسهم من حقائق الوجود، في صورة جمالية موحية ومؤثرة، والفنان شخص موهوب، ذو حساسية خاصة تستطيع أن تلتقط الإيقاعات الخفية اللطيفة التي لا تدركها الأجهزة الأخرى في الناس العاديين، وذو قدرة تعبيرية خاصة تستطيع أن تحول الإيقاعات التي يتلقاها حسه –مكبرة وضخمة– إلى لون من الأداء الجميل يثير في النفس الانفعال ويحرك فيها حاسة الجمال"[٣].

ويوضح علي الخطيب الخلاف بين الأدب الإسلامي وغيره بقوله:"إن الأدب الإسلامي يرى مجالات العمل في الحياة والسكون، ويميز بين اللائق بإنسانية الإنسان، وغير اللائق بها، فهو أدب ملتزم في هذا المعنى...وقد انتظم الأدب الإسلامي على الشعور بالألم والسرور، والسخط والرضا، والغضب واللطف، والبكاء والضحك، والكراهية والحب، والجد والمزاح، والشقاء واللذة،

---

(١) غائية الجمال الإسلامي، مجلة المشكاة، العدد ١٢، السنة ٣، ١٩٩٠م، ٤٦

(٢) محجوب، عباس، الأدب الإسلامي قضاياه المفاهيمية والنقدية، عالم الكتب الحديث، الأردن،٢٠٠٦م،٣٥

(٣) قطب، محمد، منهج الفن الإسلامي، ط٦، دار الشروق، ١٩٨٣م، ١١

والعقل والوجدان والحكمة واللعب... إنه مرآة كلامية للحياة الإنسانية في أحوالها النفسية والسلوكية"[١]

وأرى_كباحثة_أن المفكرين والأدباء الإسلاميين لديهم تصور واضح عن الأدب وأهميته في حياة الإنسان،ومدى تأثيره على عقله وفكره، هذا التصور ينطلق من مصادر الأدب الإسلامي وهي: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والتراث الأدبي العربي الإسلامي.

محددات الأدب الإسلامي:

اختلف الأدباء والنقاد في توصيف الأدب الإسلامي وتحديده، حيث ظهرت آراء متعددة حوله منهم من جعل الدائرة متسعة جدًا لتشمل جميع النصوص الأدبية التي كُتبت في العصر الإسلامي سواء كان ملتزمًا أو غير ذلك، أي أنه الأدب الذي يحمل المبادئ والأفكار والقيم الإسلامية بغض النظر عن توجهات صاحبه الفكرية والأيدلوجية، فربما كان من أهل الكتاب ولكنه كتب نصاً يدعو فيه العرب إلى التزام القيم والأخلاق الفاضلة التي حث عليها الإسلام. ومنهم من ضيق الدائرة حيث رأى أن النص لا يمكن اعتباره نصًا إسلاميا ملتزمًا إلا إذا كان كاتبه إسلاميًا يحمل الفكر الإسلامي.

ويعتبر د. مصطفى الشكعة ممن يميلون إلى الرأي الأول، حيث يقول:"إن الأدبَ العربي كلَّه أدبُ إسلامي شعراً ونثراً، ولم يستثن الشكعة إلا نماذج قليلة من الخمريات وبالغ في موقفه حين دافع عن شعراء المجون والزندقة مثل أبي نواس وبشار بن برد وأبي العلاء المعري"[٢]أي أنه ينظر إلى كل ما كتب في العصور الإسلامية على أنه أدب إسلامي بغض النظر عن مضمونه.

ولكن د. محمود بن مريس الحارثي من السعودية يرى أن الانتماء الإسلامي والالتزام في الأدب الإسلامي هو"تصور ينبثق في الضمير، ويتفاعل مع المشاعر، ويلتبس بالحياة، وهو وشيجة حية من الإنسان وخالق الوجود وهذا الانتماء الإيماني الروحي يستتبعه تطبيق عملي لسنة الإسلام"[٣] ويؤيد د. عبد القدوس أبو صالح نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية الرأي السابق حيث يقول " إنما الشرط الوحيد الذي يجعل المضمون إسلامياً هو أن ينطلق الأديب من

(١) الخطيب، قطوف من ثمار الأدب الإسلامي،١٤-١٥

(٢)عبد الدايم، صابر، الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ٢٣٩

(٣) عبد الدايم، الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ٢٣٩

التصور الإسلامي السليم للكون والإنسان والحياة"[١]. حيث يؤكد على وجود التصور الإسلامي للكون والحياة لكنه لا يربط هذه التصور بقائله.

ويرى محمد قطب أن "الأدب الإسلامي ينبغي أن يصدر عن فنان مسلم، أي إنسان تكيفت نفسه ذلك التكيف الخاص الذي يعطيها حساسية لا شعورية تجاه الكون والحياة، والواقع بمعناه الكبير، وزود بالقدرة على جمال التعبير، وهو في الوقت ذاته إنسان يتلقى الحياة من خلال التصور الإسلامي"[٢]

ويتضح من هذا القول أن الشرط عنده ارتباط القول بالعمل، فإذا قال شعرًا يدعو فيه إلى الصدق والأمانة ومكارم الأخلاق، لابد أن يكون قائله على خلق ودين.

ويؤيد أبو الحسن الندوي هذه الرؤية للادب الإسلامي بقوله: "إن من أهم عناصر الأدب الإخلاص والصدق، وهما اللذان يتغافل عنهما معظم نقاد الأدب، واللذان يهبان الأدب روحاً وقوة وحيوية"[٣]

وبرغم هذا الاختلاف إلا أن جميع المهتمين بالأدب الإسلامي يجمعون على أن التصور الصحيح للكون والإنسان والحياة هو الذي يفرز أدباً إسلاميا، كما أن امتزاج ذلك مع التجربة الشعورية و الخيال الخصب واللفظ المناسب يجعل الفن الإسلامي فنًا جميلًا، أي إن "التجربة الشعورية المفرغة في صورة جميلة موحية من القول الصادر عن التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة"[٤]، لذلك "إن الأديب المسلم مدعو أكثر من غيره إلى أن يبلغ قمة الروعة في الأداء الفني حتى يكون أدبه شرارة توقظ القلوب بحرارة التجربة ولهيب الأداء"[٥]ولابد أن يكون الأديب المسلم سباقاً في الفنون الأدبية المختلفة لأن "الإسلام دين شامل، له موقف من كل قضايا الحياة، ومع الزمن نمت ثقافته وتضخمت، إلى جانب العلوم الدينية الخالصة، تنصح الراعي وتوجهه، وتوقظ الرعية وتهديها، فنشأ عن ذلك أدب إسلامي المحتوى، يأخذ من كل بيئة لوناً

---

(١) عبد الدايم، الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ٢٤١

(٢) قطب، منهج الفن الإسلامي، ١٨١

(٣) الندوي، أبو الحسن، نظرات في الأدب، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مكتبة العبيكان ط١، ٢٠٠٥م،.٤٤

(٤) الساديسي، مقالات في الأدب الإسلامي، ١٥

(٥) عبد الدايم، الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ٢٤٢

ويكتسي من كل حضارة زياً ويتشكل في كل عصر بما يلائمه، ودعامته الأولى الصدق بجانبيه الواقعي والفني، ومن هنا فإن الأدب الإسلامي الحق يجيء قمة في بابه"[١]

خصائص الأدب الإسلامي:

ثم يحدد د. عبد القدوس أبو صالح خصائص الفن الإسلامي بقوله : "إنه:

١. أدب رباني يقوم على تصور إسلامي سليم.
٢. . أدب ملتزم بالإسلام.
٣. أدب شمولي واسع الآفاق.
٤. أدب متوازن يستمد توازنه و وسطيته من وسطية الإسلام.
٥. أدب إنساني
٦. أدب عالمي
٧. أدب متصل عبر القرون.
٨. أدب هادف."[٢]

ويعد الأدب الإسلامي في العصر الحديث في بداية الطريق التي نراها له، فالحركة الإسلامية"بأمس الحاجة إلى قدر من التوازن في الفاعلية يمكّنها من تغطية مطالب النشاط الأدبي كافة، وبقدر متكافئ من الجدية والمتابعة والاهتمام، فإن الذي يؤخذ على هذه الحركة– على سبيل المثال–أنها بدأت تعاني من التضخم في الإبداع، أما النقد التطبيقي والمنهجي فإن فقرها قد يبدو واضحاً، وهكذا الحال بالنسبة للنشاط الإبداعي نفسه، حيث يمكن للمرء أن يلحظ بوضوح طغيانًا للمعطيات الشعرية، وضمورًا وانكماشاً في القصة والرواية والمسرحية والسيرة الذاتية... ولا تزال حركة الأدب الإسلامي بحاجة ملحة إلى مزيد من التخطيط والتنظير كي لا تمضي على غير هدى، فتتكدس وتتضخم معطياتها هنا، وتتضحل وتشح هناك، إن التخطيط ورسم الأهداف البعيدة يمنح هذه الحركة توازنها المطلوب بين الدراسة والإبداع –وكذلك– بين الحلقات الأساسية لكل من هاتين الفعاليتين كما يرشد مسيرتها التي تزداد بمرور الوقت تجذرًا

(١) مكي، الطاهر أحمد، مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن، عين للدراسات والبحوث، ط١، ١٩٩٤م، ٤
(٢) عبد الدايم، الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ٢٤٣، وانظر محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، ٦٠–٨٠

وانتشارًا"[1].لذلك لابد من التفكير جديًا في وضع خطط لبناء الأدب الإسلامي النقدي على أسس محددة ولا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال المزيد المزيد من الدراسات.

وربما يكون السبب في ضعف الإنتاج الإبداعي النثري كالرواية والمسرحية والسيرة الذاتية هو ما ذكره الدكتور عبد الله بن المحسن التركي رئيس رابطة الجامعات الإسلامية عندما حث أدباء الإسلام على إبداع النصوص المسرحية الدائرة في فلك التصور الإسلامي... ولا يشغل الأدباء الإسلاميون أنفسهم بإشكاليات التمثيل.. وغير ذلك فالأولى هو كتابة النصوص الجيدة المؤثرة"[2]فإشكاليات التمثيل ينبغي أن يبحث فيها الفقهاء والمهتمون في هذا الجانب من علماء.

ولابد ألا ننظر إلى آفات الواقع في الفن والأدب، ونحاول أن نبتعد عنها برفضها جملة وتفصيلاً، بل لابد من تحديد الخطأ والصواب ومحاولة الرقي بالأدب الإسلامي كي يستطيع أن يقارع ما يعرض على شاشات التلفاز وعلى صفحات المجلات والكتب من شيء يقال عنه فن وأدب ولكنه في حقيقة الأمر ليس بأدب ولا فن، ولابد أن لا نطأطئ الرؤوس ونستسلم للواقع فإن "الأمر الواقع لا يفرض نفسه على الإسلام أبدًا، فالأمر الواقع قد يكون خطأ من أوله إلى آخره، فلا يعطيه وقوعه (حجية) ولا أحقية في أن يوجد، ويظل مخطئًا ولو بقي ألف عام ! إن مجرد(الوجود) ليس مزية في ذاته بالنسبة للإنسان"[3] .

(١) خليل، الغايات المستهدفة للأدب الإسلامي، ٣٠

(٢) عبد الدايم، الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ٢٤٥

(٣) قطب، منهج الفن الإسلامي، ٥١

الفصل الأول:
مفهوم السيرة الذاتية

ويتكون من:

آراء مختلفة حول توصيف السيرة

- تعريف السيرة الذاتية في اللغة
- تعريف السيرة الذاتية في الاصطلاح
- ما يتفق ويختلف حوله المختصون في مفهوم السيرة الذاتية

السيرة الذاتية قديماً وحديثاً.

- السيرة عند العرب قديماً
- السيرة عند العرب حديثاً
- السيرة عند الغرب قديماً
- السيرة عند الغرب حديثاً

تداخل السيرة الذاتية مع فنون أخرى

- أولاً: السيرة الذاتية والمذكرات
- ثانياً: السيرة الذاتية واليوميات
- ثالثاً: السيرة الذاتية والاعترافات
- رابعاً: السيرة الذاتية والرواية
- خامساً: السيرة الذاتية والتاريخ

الفرق بين السيرة الذاتية والسيرة الغيرية

آراء مختلفة حول توصيف السيرة الذاتية

تعريف السيرة الذاتية في اللغة:

إذا أردنا أن نتناول مفهوم السيرة الذاتية فلابد من التعرف على معنى السيرة الذاتية في اللغة، و" السيرة في اللغة هي: الطريقة، يقال : سار بهم سيرة حسنة. السيرة الهيئة. وفي التنزيل {سنعيدها سيرتها الأولى}٢١طه وسير سيرة: حدث أحاديث الأوائل"[١]

وجاء في القاموس المحيط: السير: الذهاب كالمسير والتيسار والمسيرة والسيرورة، والسيرة: الضرب من السير، والسيرة بالكسر: السنة أو الطريقة، أو الهيئة"[٢]

تعريف السيرة الذاتية في الاصطلاح:

أما في الاصطلاح فهي بصورة عامة : مصطلح يدل على سيرة الحياة أو ترجمة الحياة، وهي عبارة عن ترجمة حياة أحد الأعلام ، وأهم السير (سيرة ابن هشام) وسيرة الملوك، وقد تكون ترجمة المؤلف عن نفسه فهي في الأدب تدل على السلوك وأسلوب الحياة والترجمة"[٣].

ثم يوضح التونجي المفهوم حديثاً بقوله: "وهي اليوم فن أدبي من الأجناس الأدبية التي تحكي حياة الأدباء والأعلام، وتروي نوعاً من القصص المعتمد على الذكريات".

ولقد تعددت التعريفات وتباينت حول مصطلح السيرة الذاتية فعبد العزيز شرف يرى أن السيرة الذاتية "تعني حرفياً ترجمة حياة إنسان كما يراها هو"[٤]، أما شوقي ضيف فقد تحدث بصورة عامة عن الأمور الأساسية التي يجب أن تتوفر في السيرة لكنه لم يقدم تعريفاً واضحاً لها، ففي حديثه عن السيرة عند الغرب حدد أربعة أمور يجب توافرها وهي:

- أن يكتب المؤلف عن نفسه.
- أن يكتب جزءًا من حياته أو حياته كلها
- التركيز على الحياة الشخصية وعدم التطرق للأحداث العامة.
- الصراحة والصدق.

---

(١) ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، ج٤، ٣٩٠

(٢) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧، مادة سير

(٣) التونجي، محمد، المعجم المفصل في الأدب، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣، ٥٣٦

(٤) شرف، عبد العزيز، أدب السيرة الذاتية، مكتبة لبنان والشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ١٩٩٨م ، ٢٧

كما أنه اعتبر السيرة فناً أدبياً بقوله" إنما حسبنا أن نعرف أن نشير إلى أن هذا الفن الأدبي له تراث كبير عن القوم"[١]

ويضع فيليب لوجون حداً للسيرة الذاتية حيث يقول "يصبح حد السيرة الذاتية كالتالي: الحد: حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته، بصفة خاصة"[٢]، أما عدنان بن ذريل فيرى أنها "نوع أدبي يقوم على وحدتين اندماجيتين، وحدة المؤلف والسارد، ووحدة السارد والشخصية الرئيسة فيها .. إن الوحدة الثانية بدهية، وتشكل ذاتية هذا النوع الذي يتحدث فيه المؤلف عن نفسه، كما أنها تميز هذا النوع من البيوغرافية أي سرد حياة شخص، وأيضاً عن المذكرات، وهي كشف أمور عامة خاصة"[٣]

بينما يرى الكاتب المغربي عبد القادر الشاوي بأن السيرة لها علامات، ويحدد تلك العلامات بقوله: " وقد اختصرنا هذه العلامات في بحثنا، بقسميه، بالتركيز على ثلاثٍ منها تبدو جوهرية في كل كتابة سير ذاتية أعني: الحضور المتصل بضمير الأنا كتعبير عن امتلاك ناصية الكلام، والتذويت من خلال تحويل تلك الأنا إلى بؤرة، والميثاق التلفظي الذي يتجلى في أوضح صوره في إعلان الكاتب عن مقصديته من الكتابة"[٤]

والمتأمل في كلام الشاوي يرى أنه يركز على ثلاثة أمور جوهرية هي:

- استخدام ضمير الأنا.
- (أنا) الكاتب هي بؤرة الأحداث في السيرة.
- تحديد الغاية من الكتابة.

ويقترح محمد عبد الغني حسن تعريفاً للترجمة الذاتية قائلاً:" هي أن يكتب المرء بنفسه تاريخ نفسه، فيسجل حوادثه وأخباره، ويسرد أعماله وآثاره، ويذكر أيام طفولته وشبابه وكهولته وما جرى فيها من أحداث...ويرى الباحث صالح مغيض العامري أن السيرة هي تسجيل استعادي صادق لعمر أو على الأقل لعدد من سنيه، من الخبرات والأفعال والتفاعلات وتأثيراتها الفورية

---

(١) انظر ضيف، شوقي، الترجمة الشخصية، دار المعارف ، الطبعة الرابعة، ١٩٥٦م ، ٦-١١

(٢) لوجون، فيليب، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، ترجمة عمر حلي، المركز الثقافي العربي، الأولى، ١٩٩٤م، ٢٢

(٣) بن ذريل، عدنان، النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،١٩٨٩م، ٥٠

(٤) الشاوي، عبد القادر، الكتابة والوجود السيرة الذاتية في المغرب، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٠م، ٧

والبعيدة المدى على الشخص"[١] و تعريف محمد عبد الغني حسن هو تعريفٌ بسيط للسيرة، لم يحدد الكاتب فيه شروطاً إلا تسجيل الأحداث في جميع سنين العمر، أما صالح العامري فإنه يضع محددين للسيرة:

- تسجيل لما سبق من العمر أو لجزء منه.
- تسجيل الأحداث المهمة فقط.

وعلى الرغم من أن هناك توجه عام نحو كتابة السير الذاتية، إلا أن إبراهيم عبد الدايم يرى أن هناك" نماذج عديدة من التراجم الذاتية التي كتبها أعلام هذا الفن، غير أن ما بينها من الاختلاف أكثر مما بينها من الاتفاق، (ثم يضع إطاراً عاماً للسيرة أو الترجمة الذاتية كما يسميها)، وأخص ملامح الترجمة الذاتية التي تجعلها تنتهي إلى الفنون الأدبية أن يكون لها بناء مرسوم واضح، يستطيع كاتبها من خلاله أن يرتب للأحداث والمواقف والشخصيات التي مرت به، ويصوغها صياغة أدبية محكمة ، بعد أن ينحِّي جانباً كثيراً من التفصيلات والدقائق التي استعادتها ذاكرته، وأفادها من رجوعه إلى ما قد يكون لديه من يوميات ووسائل مدونة معينة على تمثل الحقيقة الماضية" [٢]، ثم يحدد تعريفاً لها بقوله:"الترجمة الذاتية الفنية هي التي يصوغها صاحبها في صورة مترابطة، على أساس من الوحدة والاتساق في البناء والروح ... في أسلوب أدبي قادر على أن ينقل إلينا محتوى وافياً كاملاً من تأريخه الشخصي، على نحو موجز حافل بالتجارب والخبرات المنوعة والخصبة"[٣] ومن خلال ما سبق نجد أن عبد الدايم وضع المحددات التالية للسيرة الذاتية:

- تعتبر فن أدبي
- ذات بناء محدد وواضح، ومصوغ صياغة فنية جيدة
- تسجيل الأحداث المهمة للكاتب والابتعاد عن التفصيلات.

ونظراً لتلك الاختلافات في إعطاء تعريف محدد للسيرة فإن دارس الترجمة الذاتية لن يجد الطريق أمامه ممهداً للوقوف على مفهوم لهذا المصطلح المستحدث، وهناك نماذج عديدة من التراجم التي كتبها أعلام هذا الفن، غير أن ما بينها من الاختلافات أكثر مما بينها من الاتفاق.

---

(١) انظر الشاوي، الكتابة والوجود السيرة الذاتية في المغرب، ٢٣

(٢) عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ٢-٤

(٣) شاكر، تهاني، السيرة الذاتية في الأدب العربي فدوى طوقان وجبرا إبراهيم جبرا وإحسان عباس نموذجاً، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م ، ١١

والمختصون في مجال الأدب اختلفوا في المصطلح الذي يطلق على هذا الفن أيضاً فمنهم من أطلق عليه السيرة الذاتية، وبعضهم أطلق عليه الترجمة الذاتية.

ففي الأدب العربي: "وعلى مرّ العصور، نرى كلمة (ترجمة) يجري الاصطلاح على استعمالها لتدل على تاريخ الحياة الموجز للفرد (وكلمة سيرة) يصطلح على استعمالها لتدل على التاريخ المسهب للحياة"[١]

ولو تتبعنا كلمة ترجمة نجدها "دخيلة إلى العربية من اللغة الآرامية جرى الاستعمال بها في أوائل القرن السابع الهجري، استعملها ياقوت الحموي في معجم البلدان بمعنى حياة شخص، وأبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني لم يستعمل كلمة ترجمة عند حديثه عن حياة الشعراء وغيرهم، بل عبارة (خبر)"[٢]

وقد حاول الغرب والعرب على حدٍ سواء وضع توصيف محدد للسيرة ففيليب لوجون اهتم بالعقد أو الميثاق وذلك من خلال تحديده لعناصر أربعة تنتمي إلى أربعة أصناف مختلفة:

أ- "شكل اللغة هل هي حكي نثري أم لا ؟

ب- الموضوع المطروق: حياة فردية، وتاريخ شخصية معينة.

ج- وصفية المؤلف: تطابق المؤلف (الذي يميل اسمه إلى شخصية واقعية) والسارد.

د- وصفية السارد: – تطابق السارد والشخصية الرئيسة.

هـ- منظور استعادي للحكي"(٣)

ومن هنا نرى أن فيليب لوجون استبعد الشعر على اعتبار وجوب أن تكون لغة السيرة نثرية، كما أنه استبعد كل سيرة تتحدث عن الحياة العامة، لأن السيرة في نظره حياة شخصية،كما أنه استبعد السير التي تتحدث بصيغة الغائب، على أساس وجوب تطابق المؤلف مع الشخصية الرئيسة.

والحقيقة أن بعض الأدباء كتبوا سيرهم الذاتية بصيغة الغائب مثل كتاب الأيام لطه حسين التي أجمع النقاد والباحثون على أن الكتاب هو سيرة ذاتية لصاحبه. ويتحدث لوجون بالتفصيل عن التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية بقوله: "يمكن تطابق الاسم بين المؤلف، السارد والشخصية أن يتحقق بطريقتين:

---

(١) عبد الدايم ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي، ٢٢

(٢) العيساوي، فدوى طوقان – نقد الذات، ١٠٩

(٣) لوجون، الميثاق والتاريخ الأدبي، ٢٢-٢٣

ضمنياً: استعمال عناوين لا تترك أي شك حول كون ضمير المتكلم يحيل إلى اسم المؤلف (قصة حياتي سيرة ذاتية)، مقطع أولى للنص يتحمل فيه السارد التزامات أمام القارئ، وذلك مثل التصرف بطريقة تجعل القارئ لا يحمل أي شك حول كون ضمير المتكلم يحيل إلى الاسم القائم على الغلاف"[١]

ثم يذكر الطريقة الثانية وهي الطريقة الجلية الواضحة "على مستوى الاسم الذي يأخذه السارد – الشخصية في المحكي نفسه، والذي هو نفسه اسم المؤلف المعروض على الغلاف"[٢]

أما اليزابيت بروس فتحدد قواعد للسيرة الذاتية فيما يلي:

١. "كاتب السيرة هو مصدر موضوع النص ومصدر البنية التي يقدمها نصه.
٢. يتحمل المؤلف المسئولية الشخصية لإبداع وتنظيم نصه
٣. يفترض في الفرد المشار إليه في تنظيم النص أن يكون مطابقاً لفرد محال عليه عبر موضوع النص.
٤. يُنظر إلى الخبر والأحداث بصدد السيرة الذاتية بأنها صحيحة.
٥. سواء أتم التمكن من تخطئة الموضوع المقدم أولاً، أو كان قابلاً لإعادة التشكيل من أية زاوية نظر أخرى كيفما كان نوعها، فإننا ننتظر من كاتب السيرة الذاتية أن يكون مؤمناً بما يكتبه"[٣]

إذن تركز الكاتبة على التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية، كما تؤكد على أهمية الصدق وصحة الأحداث المروية.

ويتحدث لوجون عن أهمية العقد والميثاق بالنسبة للقارئ بقوله: "إن أهمية العقد تكمن في كونه يحدد في الواقع موقف القارئ إذا لم يكن التطابق مؤكداً (وهي حالة التخييل)، فإن القارئ سيحاول عقد مشابهات، ولو لم يرغب المؤلف في ذلك، أما إذا تأكد التطابق (وهي حالة السيرة الذاتية) فسيميل إلى محاولة البحث عن الاختلافات (الأخطاء، التشويهات .الخ) وفي الغالب ما يكون للقارئ، أمام حكي ذي طبيعة سير ذاتية، ميل لأنه يعتبر نفسه جاسوساً أي لأن يبحث عن إبطالات العقد(كيفما كان ذلك العقد)"[٤].

---

(١) لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ، ٣٩-٤٠

(٢) لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ، ٤٠

(٣) انظر بروس، اليزابيت، الذات والدواة، ترجمة عمر حلي، ط١، مارس، ٢٠٠٣م، ٢٣

(٤) لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، ٣٨-٣٩

فلوجون فيما سبق يتحدث عن أهمية القارئ بالنسبة للسيرة الذاتية، حيث يقوم بالبحث والتمحيص فيما يقرأ كي يثبت لنفسه أن ما يقرأه هو سيرة ذاتية.

السيرة الذاتية عمل فني أي أنها نوع من أنواع الإبداع الفني، ويرى عبد العزيز شرف أن "الوحدة هي التي تكمن وراء إبداع السيرة الذاتية"[١]،وهذا ما أكده يحيى إبراهيم عبد الدايم حين قال بأنها "تحقق الغاية المرجوة التي يؤديها العمل الفني، إذ أنها مزاج وحب لكاتبها ، يتخفف فيه من ثقل التجارب التي خاض غمارها بنقلها من داخل نفسه إلى خارجها، وهو بهذا يعرض خبراته على الآخرين، بغية مشاركتهم له فيها ويتحدث إليهم عنها، في صدق وصراحة"[٢]

أي أن "كتابة السيرة الذاتية لها غاية نفسية يحققها الأديب حين يكتب عن نفسه فعندما يترك العالم الخارجي ويتأمل عالمه الداخلي، ويلتفت إلى ذاته في لحظة صدق، ويعبر تعبيراً صادقاً عن أحاسيسه ومشاعره معتمداً على الحقائق بأسلوب أدبي شيق، وعندما يتحرر من نزعاته وأهوائه من خلال إعطاء الوقت الكافي لإخراج إبداعه الأدبي، ولنضوج تجربته وترتيب أجزاء فكرته ترتيباً سليماً فعرض الحقائق عرضاً تاريخياً لا يمكن أن يكون نصاً يستحق الدراسة الأدبية"[٣]

لذلك فالسيرة الذاتية تستحق من الكاتب عناية واهتمام .

أوجه الاختلاف والاتفاق بين المختصين في توصيف السيرة الذاتية:

كثير من الكتاب والمختصين حاولوا وضع أطر عامة لهذا الفن، ولكن كل واحد منهم سواء كان من العرب أو الغربيين ركَّز على أمور محددة واعتبرها أهم شروط في تحديد ما هي السيرة الذاتية، وللتعرف أكثر على أوجه الاتفاق والاختلاف لابد من تأمل الجدول التالي، مع العلم أن كل أجزاء الجدول قد تم أخذها من تعريف الكاتب المختص المشار إليه:

---

(١) شرف، أدب السيرة الذاتية، ١٥

(٢) عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ١١

(٣) انظر شرف، أدب السيرة الذاتية،٨-٢٥

جدول ١.١: شروط توصيف السيرة الذاتية

الكتاب	فن أدبي	نثري	بناء فني	حكي استعادي	الغاية من الكتابة	التطابق بين السارد والمؤلف والشخصية	الشخصية الرئيسة هي بؤرة الأحداث	التركيز على الحياة الشخصية للفرد	الحديث عن أحداث عامة	ذكر جميع مراحل العمر	ذكر جزء من مراحل العمر	الصدق والصراحة	تسجيل الأحداث المهمة
فيليب لوجون	*	*		*		*		*					
اليزابيث بروس		*	*			*		*				*	
عبد العزيز شرف	*		*			*		*				*	
يحيى عبد الدايم	*		*			*		*		*			*
شوقي ضيف	*					*				*	*	*	
عدنان بن ذريل	*					*		*	*				
عبد القادر الشاوي					*	*	*						
محمد عبد الغني حسن						*		*	*	*			
صالح العامري				*						*	*	*	
إحسان عباس	*		*							*	*	*	
المجموع	٦	٢	٤	٢	١	٨	١	٦	٢	٥	٣	٥	١

شكل ١٠ ١: رسم بياني يوضح مدى أهمية كل شرط من الشروط:

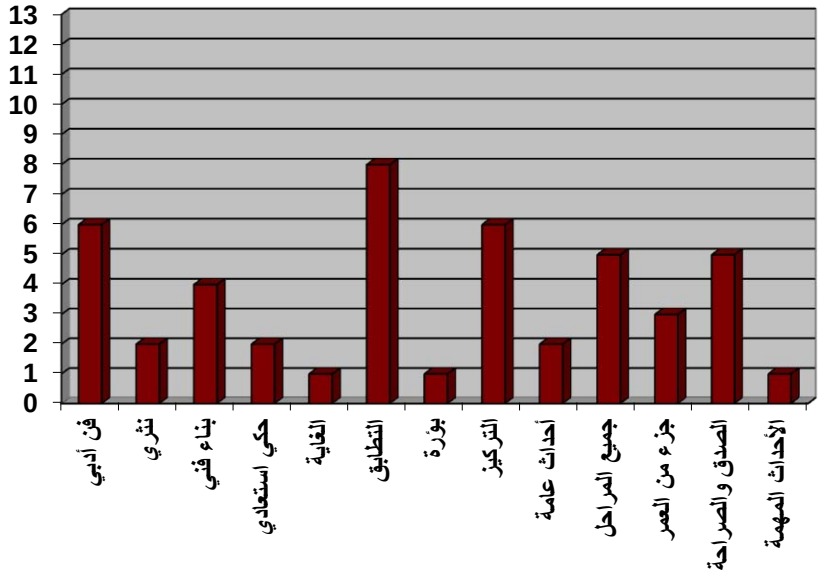

ولو حاولنا تحليل الجدول السابق نلاحظ ما يلي:

- غالبية المختصين رأوا أن (التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية الرئيسة) هو أهم محدد للسيرة الذاتية.
- اعتبار (السيرة الذاتية فن أدبي محض) جاء في المرتبة الثانية وكذلك (التركيز على الحياة الشخصية للفرد) حسب رأي المختصين.
- (تسجيل جميع مراحل العمر ومراعاة الصدق والصراحة) جاء في المرتبة الثالثة.
- بينما جاءت (الغاية من الكتابة في المرتبة الأخيرة).
- أما بالنسبة لـ(الشخصية الرئيسة في بؤرة الأحداث،و التركيز على الأحداث المهمة) فقد جاءت في المرتبة قبل الأخيرة، وتفسير ذلك في رأيي يرجع إلى أن من تحدث عن (التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية)، واهتم (بالتركيز على الحياة الشخصية لصاحب السيرة) قد قصدهما بالضرورة.

وفي نهاية حديثي عن المعنى الاصطلاحي للسيرة يمكن القول بأن : السيرة الذاتية هي فن أدبي نثري، يقدم صاحبها مادة صادقة عن حياته الشخصية في مختلف مراحلها مع ذكر أهم الأحداث العامة المؤثرة بهدف تربية إيجابية للأجيال القادمة.

السيرة الذاتية قديماً وحديثاً

السيرة عند العرب قديماً:

كلمة (سيرة) كلمة مألوفة عند المسلمين، فهي تطرق أسماعهم منذ نعومة أظفارهم،نسمعها من آبائنا وأمهاتنا عندما يريدون منا أن نتبع طريق الهدى والقيم والأخلاق، حيث ارتبطت تلك الكلمة بالنبي الخاتم محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فالسيرة النبوية هي المنهج الذي نسير عليه بعد القرآن الكريم.

ولقد سعدنا في طفولتنا بقصص الرسول –عليه السلام– وسيرته العطرة، تلك القصص التي كنا نعيشها ونحلم لو أن الزمن يعود إلى الوراء، فنلتقي بذلك الرجل الذي خلق من التراب – مثلنا – إلا أنه بنى أمة تتوالى أجيالها عبر الزمن بما غرس فيهم من قيم وأخلاق لم تُرَ في أمة أخرى.

وسيرة الرسول هي كل ما ورد عن الرسول عليه السلام من قول أو فعل أوصفة خلقية أو خلقية أو تقرير،أي أنها مرآة تعكس حياة الرسول عليه السلام، وكذلك سير الصحابة رضوان الله عليهم، ورغم كون الرسول–عليه السلام– أميًا لا يعرف القراءة أو الكتابة ، فقد جنَّد الله له من المسلمين من يكتب عنه ويصف كل ما قام به في حياته من أعمال،كيف لا وهو الأعلى قدرًا، والأعظم شأنًا، ولقد سار على هذه السنة كثير من الكتاب والمؤلفين على مدار عصور الإسلام، فبحثوا في الرجال وصفاتهم حتى أن علم الرجال والجرح والتعديل نشأ عندهم وبتنا نرى مدونات ومعاجم للشعراء والأدباء والفقهاء والعلماء، ومن تلك المصنفات طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي .

لذلك "فلا خلاف بين الباحثين أن هذا الجنس الأدبي مطروق في الأدب العربي القديم، وللعرب فيه إنتاج يعكس مدى اهتمامهم به، وصلنا مضموماً في كتب الطبقات والتراجم"[١]

حتى أن محمد عبد الغني حسن يقول إنَّ السيرة " بلغت في التراث العربي حدًا لم تبلغه في أي تراث لأمةٍ أخرى معروفة في التاريخ في القديم أو الحديث"[٢] ،فلو تصفحنا كتاب الأغاني للأصفهاني نجد مجموعة من الروايات والأخبار، أو ذكر الأنساب، والأيام والحروب، والمجالس وما دار فيها من طُرفٍ ونوادر، وإن كان الهدف إيضاح الأصوات المغناة من الجاهلية الأولى إلى القرن الرابع الهجري، ولو تصفحنا كتاب عيون الأخبار نجده عبارة عن قصص قصيرة أو مواقف

---

(١) الشاوي، الكتابة والوجود السيرة الذاتية في المغرب، ٢٦

(٢) حسن، محمد عبد الغني، التراجم والسير، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٨٠م، ١١

حدثت مع الأعراب أو مشاهير المسلمين من حكام وخلفاء وهي عبارة عن أجزاء صغيرة من سير نقلت لأخذ العبرة والعظة، ولو تأملنا كتب الجاحظ كالحيوان مثلاً نرى أنها لا تخرج عن كونها أخبار وأجزاء من سير.

لقد اهتم المؤرخون المسلمون بكتابة تراجم الرجال بعد تسجيل الأحداث السياسية الهامة كابن الجوزي المتوفى سنة ٥٧٩هـ في كتابه المنتظم، وابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ في كتابه الكامل والذهبي المتوفى سنة ٦٥٤هـ في كتابه (تاريخ الإسلام)، وكذلك ابن تغري بردي في كتابه (النجوم الزاهرة) والأسيوطي في كتابه (حسن المحاضرة) ومن بعدهم الجبرتي المتوفى سنة ١٨٢٣م في القرن الثالث عشر الهجري.

كما أن بعض الأدباء أدخل تراجم الرجال في كتب الشروح الأدبية والنحوية واللغوية كما فعل ابن نباته المتوفى سنة ٧٦٨هـ في شرحه لرسالة ابن زيدون المسمى (شرح العيون)، والبغدادي المتوفى ١٠٩٣هـ في (خزانة الأدب).

ولم تخلُ كتب الأمصار من تراجم الرجال بالرغم من أنها تتحدث عن البلدان وما أقيم على أراضيها من مبانٍ، ومن هذه الكتب (المواعظ والاعتبار) للمقريزي[١].

والجدير بالذكر أن المسلمين اهتموا بالطبقات في التراجم، ومن أشهر كتب طبقات الصحابة كتاب ابن الأثير (أُسد الغابة في معرفة الصحابة)، والعسقلاني في كتابه (الإصابة في تمييز الصحابة)، أما بالنسبة للفقهاء فإن أشهر كتبهم طبقات الفقهاء للشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦هـ، (طبقات الشافعية الكبرى) لتاج الدين السُّبكي المتوفى سنة ٧٧١هـ، وهناك أيضاً طبقات المفسرين والقراء، حيث ألف أبو عمرو الداني المتوفى سنة ٤٤٤هـ كتاب (طبقات القراء) وشمس الدين الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ وضع كتاب (غاية النهاية في رجال القراءات).

كما وضعت كتباً في طبقات النحاة مثل كتاب (طبقات النحويين واللغويين) للزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩هـ، والسيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ كتب كتاباً أسماه (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة).

والشعراء كان لهم نصيب كبير في الطبقات، من تلك الكتب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢٣١هـ، وابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ وضع كتاب (الشعر

---

(١) انظر، حسن، التراجم والسير، ٥٠-٥٤

والشعراء)، ثم الثعالبي المتوفى سنة ٤٩٢هـ الذي وضع كتابه (يتيمة الدهر)،كما وضع المؤلفون كتباً في طبقات الصوفية، والقضاة، والأطباء أيضاً[١].

وبالرغم من أن العرب لهم باع طويل في هذا المضمار إلا أن مصطلح سيرة ذاتية كفن تحدد إطاره حديثاً ، حيث إن مصطلح ترجمة ذاتية غلب على مصنفاتهم بل إن لفظ ترجمة استخدم أيضاً في العصر الحديث في كتابات بعض المختصين كشوقي ضيف ويحيى إبراهيم عبد الدايم وغيرهم، مثلاً:يقول شوقي ضيف" الترجمة للأشخاص قديمة قدم الإنسان نفسه "[٢]

والترجمة الذاتية نراها عند الشعوب القديمة كالفراعنة والسبب في ذلك يعود إلى أن" الإنسان لديه ميل إلى التحدث مع الآخرين ، وتبادل العواطف والأفكار معهم والإفضاء بأسرار حياته إلى المستمعين إليه من خلصاء أو مقربين أو قراء"[٣] ،فالإنسان اجتماعي بطبعه يسعى إلى الحديث مع الآخرين والتواصل معهم، وقد يبدأ الحديث عن نفسه ليخلق جواً من الحميمية تدفع الآخرين لمشاطرته الحديث.

ويعلق إحسان عباس على تاريخ السيرة الذاتية عند العرب بقوله: ظل أكثر السير في العالم الإسلامي مجموعة من الأخبار المأثورة أو المشاهدات، ليست فيها وحدة البناء، ولا الإحساس بالتطور الزمني، ولا تتبع مراحل النمو والتغير في الشخصية المترجمة، وبالاختصار ظلت السير دون شكل تام، ودون محتوى وافٍ كامل حتى العصر الحديث. وبالرغم من قوله السابق إلا أنه يستدرك بقوله: وفي الغرب لم تكن السير أحسن حالاً منها في العالم الإسلامي، بل لعل كثيراً من كتاب السير التاريخية عندنا كانوا أسبق إحساساً بمعنى الاعتدال في الحكم والتقدير، واضعين الصواب إلى جانب الخطأ حين يتحدثون أو يترجمون[٤].

إذاً كان للإسلام الدور الأبرز في كتابة السير والتراجم في العالم الإسلامي، ومراعاة الصدق والحق فالمسلم الحقيقي هو الذي يراعي الصدق دائماً، ومرد ذلك إلى ظهور علم الرجال الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحديث الشريف وما يتصل به من سند ومتن.

ويرى شوقي ضيف أن السيرة الذاتية عند العرب " فن مستحدث عندهم ، قلدوا فيه غيرهم من الأمم الأجنبية التي قرءوا آثارها، وخاصة اليونان فإن بعض متفلسفتهم ترجم لنفسه، وتحدث عن كتبه، وحاكاهم متفلسفو العرب واتسعت المحاكاة فدخل فيها العلماء والمتصوفة ورجال

---

(١) انظر، حسن، التراجم والسير، ٥٠-٥٤

(٢) ضيف، شوقي، الترجمة الشخصية، ١٠

(٣) شرف، أدب السيرة الذاتية، مكتبة لبنان، ٢٨

(٤) انظر، عباس، فن السيرة، ٣٧

السياسة"[1] ، ولهذه السير أمثلة كثيرة ذكرتها ريم العيساوي: منها ترجمة الرازي عن نفسه ٣١٣هـ. وابن الهيثم سنة ٤٤٠هـ، وابن سينا سنة ٤٢٨هـ، وعلي بن رضوان المصري ٤٦٠هـ، وقد استعرضت الكثير من السير ثم عقبت عليها بقولها "ومن الواضح أن هذه التراجم لم توضع مستقلة أصلاً ولكنها كانت أجزاء من مؤلفات، ولم يكن أصحابها يغوصون في أعماق ذواتهم لذلك لم تستقم جنساً أدبياً قائماً بذاته، ومن السير الذاتية المشهورة أيضاً سيرة العلامة ابن خلدون في كتابه الموسوم بالتعريف، والذي تحدث فيه عن أجزاء من حياته خاصة رحلاته، واختص بالذكر زيارته لبيت المقدس في فلسطين، حتى أنه وصف تلك الرحلة وصفاً دقيقاً"[2].

ومن كتب التراجم القديمة عند العرب كتاب (المنقذ من الضلال) لأبي حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ،وعمارة بن علي الحكمي اليمني كتب كتاب (النكت العصرية في أجناد الوزارة المصرية) ، وهو سيرة ذاتية له، ولقد توفي سنة ٥٦٩هـ.وكتاب (الاعتبار) لأسامة بن منقذ، المتوفى سنة ٥٨٤هـ، وابن الجوزي ترجم لنفسه في كتابه (لفتة الكبد) المتوفى سنة ٥٩٧هـ، وابن سعيد المغربي المتوفى سنة ٦٨٥هـ ترجم لنفسه في كتابه (المغرب في حلي المغرب)،وأبو حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥هـ ترجم لنفسه في كتابه (النضار في المسلاة عن نضار)،والعز بن جماعة المتوفى سنة، ٨١٩هـ ترجم لنفسه في كتاب (ضوء الشمس في أحوال النفس)،وغيرهم كثير كالثعالبي، وابن حجر العسقلاني وابن الجزري والسيوطي، والشوكاني، والألوسي[3].

السيرة عند العرب حديثاً:

وفي العصر الحديث توجه كثير من الأدباء والقادة والزعماء والسياسيين إلى كتابة سيرهم الذاتية، وهي عادةً سرد لتجاربهم الخارجية، وفي صميم اهتمامهم سواء كان هذا الاهتمام علمياً أو فكرياً أو أدبياً، فالمفكر يسجل تجاربه الفكرية، والعالم يكتب عن علمه ، والأديب يدون إنجازاته الأدبية، وغالباً ما يهملون الجوانب الأخرى في حياتهم، أو يهملون تلك التفاصيل الدقيقة التي قد تؤثر على إصدار الحكم عليهم.

ويطلق عز الدين إسماعيل على السيرة الذاتية فن الترجمة، ويرى أن " فن الترجمة ظهر لدينا حديثاً ويعد العقاد أول من كتب لنا ترجمة فنية تمثل النوع الأول، ويتجلى فيها الذكاء والمهارة والخبرة كالعبقريات، وترجماته للمهاتما غاندي ومحمد علي جناح وسن يان سن وغيرهم ويقصد

---

(١) ضيف، الترجمة الشخصية، ٥

(٢) العيساوي، ريم، فدى طوقان نقد الذات قراءة السيرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٨، ٦١

(٣) انظر، أبو زيد، بكر بن عبد الله، النظائر، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٢هـ، ٢٧-٤٢

بالنوع الأول السير الغيرية، أما السير الذاتية " فقد بدأه الدكتور طه حسين بكتابه الأيام الذي ترجم فيه لنشأته وعرض أطوار حياته وهو لذلك قريب من طابع القصة"[١]

ومن التراجم المشهورة في العصر الحديث سيرة أحمد فارس الشدياق المتوفى سنة١٣٠٤هـ، ويعد إحسان عباس (كتاب الساق على الساق فيما هو الفارياق) للشيخ أحمد فارس الشدياق أول سيرة ذاتية ظهرت في العصر الحديث ، وفيها حديث عن تنقلات الشدياق وبعض أحواله، ولكنه يؤكد على أن الأيام لطه حسين هي أول سيرة ذاتية بالمعنى الفني ويقول في ذلك:"ولذلك أرى أن (للأيام) في السير الذاتية الحديثة مكانة لا تتطاول إليها أي سيرة ذاتية أخرى، في أدبنا العربي، وخاصة في الجزء الأول منه، لمزايا كثيرة منه: تلك الطريقة البارعة في القص، والأسلوب الجميل، والعاطفة الكامنة في ثناياه المستعلنة أحياناً حتى تطغى على السطح، وتلك اللمسات الفنية في رسم بعض الصور الكاملة للأشخاص، والقدرة على السخرية اللاذعة في ثوب جاد حتى تظهر وكأنها غير مقصودة"[٢] .

ومن السير في العصر الحديث أيضاً سيرة أحمد شوقي المتوفى سنة١٣٥١هـ الذي ترجم لنفسه باسم (مذكرات)، والطهطاوي المتوفى سنة١٣٥٥هـ الذي ترجم لنفسه في كتابه (الثغر الباسم)، ومنها كذلك سيرة أحمد أمين المتوفى سنة١٩٥٤هـ حيث ترجم لنفسه في كتاب (حياتي)، وخليل السكاكيني المتوفى سنة١٣٧٢هـ الذي ترجم لنفسه في كتاب (كذا أنا يا دنيا)، والعقاد المتوفى سنة١٣٨٣هـ الذي ترجم لنفسه في كتاب (أنا)[٣]

السيرة عند الغرب قديماً:

اختلف الباحثون في نشأة السيرة الذاتية عند الغرب، و"يفترض جورج ماي بشأن السيرة الذاتية أن هناك فكرة مقبولة من طرف كثير من الباحثين مفادها أن السيرة الذاتية ظاهرة غربية بامتياز، غير أنه يشير إلى صعوبة الاتفاق حول زمن ظهورها استناداً على تاريخ معلوم"[٤].

يؤيد شوقي ضيف جورج ماي في ذلك و يرى أن العرب تأثروا بغيرهم من الأمم الأخرى كاليونان خاصة الفلاسفة وقلدوهم في كتاباتهم عن أنفسهم[٥]، في حين تذكر العيساوي أن الترجمة نشأت عند الغرب كجنس أدبي مستقل منذ قرنين، ويذكر (جون بيلنغ) أن روبرت شوسي هو أول

---

(١)انظر، إسماعيل، عز الدين، الأدب وفنونه، ط٧، ١٩٧٨، دار الفكر العربي، ٢٨٨

(٢) عباس، فن السيرة، ١٤٢

(٣) انظر،أبو زيد، النظائر، ٤٢

(٤) الشاوي، السيرة الذاتية في المغرب، ١٢

(٥) انظر، ضيف، الترجمة الشخصية، ٥

من استعمل مصطلح الترجمة الذاتية Autobiography وذلك سنة ١٨٠٥م، وأدخل فيها جميع الكتابات الشخصية التي تتناول وقائع حياة الكاتب بغض النظر في رغبته في تصوير نفسه"[١]، ولكن كثيرًا من الباحثين العرب يختلفون مع جورج ماي في ذلك ومنهم محمد عبد الغني حسن الذي يرى أن العرب سبقوا الغرب في هذا المجال بقوله" في حين بدأ فن التراجم يظهر في انجلترة وفرنسا بصورة ساذجة، كانت التراجم العربية الإسلامية قد بلغت حداً من التنوع وسعة الخيال والافتنان في موضوعات التراجم لا يقاس به بداية غير منتظمة الخطى في الآداب الأوروبية ... والمؤرخ الفرنسي ريتز كتب مذكراته سنة١٦٧٢م، والكاتب الانجليزي صمويل بيبس ١٧٠٣م كتب يومياته ومذكراته التي يعدونها أول خطوة في كتابة التراجم الذاتية، وما تلاها من أنواع التراجم الأخرى... "[٢]. ويرى عبد الدايم أن البدايات الأولى الحقيقية كانت عند هيوم ١٧٧٧م وجبيون ١٧٩٦م واللذان كان لهما أبلغ الأثر في تطور الترجمة الذاتية عند الغرب"[٣]، كما يعتبر" ستراتشي أبو التراجم في العصر الحديث والذي جمع بين التفسير التاريخي واللمسات الفنية"[٤]

ومن الواضح أن كل أمة تأخذ عن الأمة التي قبلها، فإن كان العرب المسلمون قد استفادوا من اليونان والرومان والفرس وأخذوا عنهم العلوم والمعارف والثقافات، فقد أضافوا إليه وزادوا عليها الكثير عبر قرون من الزمن الزاهر للحضارة الإسلامية، ثم جاء الغرب في العصر الحديث وأخذوا كل ما وصل إليهم من العرب من ثقافة وحضارة وفنون وعلوم مختلفة، ثم أكملوا الطريق فظهرت فنون وعلوم مستحدثة مثلما ظهرت فنون وعلوم مستحدثة في العصور الزاهرة للعرب والمسلمين.

إذاً فقد استفاد الفلاسفة العرب من الفلاسفة اليونان فقلدوهم في كتابة سيرهم الذاتية وظهرت العبقرية الإسلامية في السير والتراجم، "وقد تميزوا عن غيرهم في تلك الحقبة التاريخية بما يلي:

- ترتيب الأعلام المترجمة.
- تبويب موضوعات التراجم.
- الترجمة لأعلام النساء.
- تحقيق الوفيات والمواليد.
- الاستشهاد بآثار المترجم لهم من الشعر والنثر
- ضبط الأعلام.

---

(١) العيساوي، فدى طوقان نقد الذات، ١١

(٢) انظر ،حسن، التراجم والسير، ١١

(٣) انظر عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ١٩

(٤) حسن، التراجم والسير، ١٣

ومن التراجم التي ذكرها محمد عبد الغني حسن صاحب التراجم والسير في التراث الغربي في القرن الثامن عشر، ذلك القرن الذي تميز بالإنتاج الغزير في السير الذاتية، سيرة جليج لويلجتون، حياة نلسون لسوزي، حياة ولتر سكوت للوكهارت، وحياة شارلوت لمسز جاسكل، والملكة فكتوريا لستراتشي، وبسمارك ونابليون لإميل لدفيج، وحياة شيلي وبيرون لأندريه مورا "[١]

ولم يختلف الأمر عند الغرب كثيراً من قبل، حيث كانت اهتماماتهم بالسير نادرة "فالترجمة الذاتية الغربية قد افتقرت إلى مثل هذه العناية لأسباب منها أنها اصطلاح مستحدث"[٢]

السيرة عند الغرب حديثاً:

ولكن فن السيرة الذاتية تطور في العصر الحديث، وترجع أسباب تطوره إلى ما يلي:

- التطور العالمي الجديد في الصناعة والتجارة والسياسة.
- تسوية الديمقراطية بين الصغير والكبير، واختفاء تلك النظرة المقدسة للملوك،فأصبحوا يترجمون لصغيرهم وكبيرهم بعد أن كانوا يترجمون للمشاهير والحكام.
- استحداث أساليب جديدة في فن التراجم توائم روح العصر."[٣]

ومن أشهر التراجم الذاتية في أواخر القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين، في الأدب الانجليزي وليم بتلر ييتس ١٩٣٩م، وجورج مور، وفي الأدب الفرنسي اعترافات روسو، ويوميات إميل ١٨٨٢م،وفي الأدب الألماني (الشعر والحقيقة) لجوته، و(حول فلسفتي) لكارل ياسبرز ١٩٤١م، وفي الأدب الروسي (اعترافات تولستوي) و(حوادث وأفكار ماضية) لإسكندر هرزن[٤]، وغيرها من كتب التراجم الذاتية.

ولقد ظهر عند الغرب في العصر الحديث كتب ودراسات تبحث في فن السيرة الذاتية، وتؤصل لهذا الفن وتضع له الأطر المحددة.

ولقد ذكر عبد الدايم بعض الكتابات الغربية التي تسعى لتحديد معالم هذا الفن وأسسه وقواعده في العصر الحديث، ومنهم(انا روبنسون) و(إرنست ستيوارت) اللذان ذهبا إلى أن الترجمة مصدراً للمعلومات النفسية للإنسان في حين اعتبر (والدوا دوت) و(ولبور كروس) و (هارولد نيكسون) و(دونالد استاوفر) أن السير الذاتية تقدم حقائق عن تاريخ الإنسان، ثم تعرض لما كتب

---

(١) انظر حسن، التراجم والسير، ١٣

(٢) عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، و

(٣) انظر حسن، التراجم والسير، ١٣

(٤) انظر عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ٢٠-٢١

في القرن العشرين حول السيرة الذاتية مثل (ثراك وأديسون) سنة١٩١٦م و(كيت أبرايت) سنة١٩٤٣م و(شو ميكر) و(أزبون) عام ١٩٦٠م، ويرى أن هذه الدراسات تساعد في تحديد ملامح هذا الفن إلا أنها"لا تمنحنا التحديد النهائي لأسس البناء الفني أو المفهوم المستقر"[١].

(١) انظر،عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث،

تداخل السيرة مع الفنون الأخرى

ذكرنا سابقاً أن فن السيرة الذاتية يعد فناً أدبياً مستحدثاً، ولذلك علاقة أصيلة مع تداخله بالفنون الأخرى حيث "إن نهوض الأنواع القصصية اعتماداً على الحكاية يعود أساساً إلى قانون تفكك الأجناس الأدبية إلى أنواع، ومحاولة تخليق كيان خاص، يرتبط بالأصل بوشائج معينة"[١] وذلك من صفات التطور والتقدم كما أنه ينسحب على علوم كثيرة فمثلاً ظهر علم النفس قديماً كما ظهر علم الاجتماع، ثم ظهر حديثاً علم النفس الاجتماعي.

والفنون القصصية تطورت تطوراً واضحاً عند العرب في العصر الحديث فظهرت الرواية والقصة القصيرة والقصيرة جداً، كما ظهرت السيرة الذاتية كفن منفصل، بدأت حدوده وأطره تظهر وتتحدد، لذلك فالسيرة لها علاقة وطيدة بفنون عدّة كالرواية والقصة، واليوميات والمذكرات والاعترافات حيث "تتشابه الترجمة الذاتية باليوميات والمذكرات والاعترافات من حيث التزامها بالحقيقة التاريخية، ولكن كاتبها يختار المعلومات التاريخية ثم ينسقها وينمقها فيجمع العنصر الأدبي والعنصر التاريخي"[٢]

وللتعرف على العلاقة بين السيرة الذاتية ومع ما يشبهها من أنواع لا بد من التعرف على مفهوم كل نوع على حدة.

السيرة الذاتية والمذكرات:

هل الذكريات والمذكرات تحمل معنى واحداً؟ البعض يطرح هذا السؤال عندما تطالعنا بعض السير بعنوان مذكرات أو بعنوان آخر ذكريات، وربما يضع الكاتب عنواناً يفرق بين الذكريات والمذكرات فيقول إن كتابه ذكريات لا مذكرات، وإذا أردنا أن نتعرف على الفرق بين الذكريات والمذكرات فيمكن أن نحدد الفروق التالية:

- من حيث التواصل: فالمذكرات تسجيل متصل ومتواصل لما جرى للكاتب من أحداث، أما الذكريات فليس من الضروري أن تأتي متصلة متواصلة حيث يمكن أن يتحدث بالتفصيل عن أحداث معينة بينما يتجاوز أحداث أخرى.
- من حيث التسلسل الزمني: في المذكرات يكون التسجيل دقيقاً في تسلسله الزمني، أما الذكريات فيمكن أن يندفع الكاتب من فترة زمنية إلى أخرى دون ترابط زمني.

---

(١) إبراهيم، عبد الله، المتخيل السردي (مقاربات نقدية)، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م، ١٨

(٢) العيساوي، فدوى طوقان – نقد الذات قراءة السيرة، ١٤

- في الذكريات البعد الشخصي أكثر وضوحاً من المذكرات حيث يظهر فيها الأحداث التاريخية الهامة.
- المذكرات أكثر صدقاً من الذكريات؛ لأنها تدون أولاً بأول، أما الذكريات فإنها تعتمد على الذاكرة، والذاكرة معرضة للنسيان.

وكلمة مذكرات جمع مذكرة، وهي ما يستعين به شخص ما في حفظ مشاهداته ومواعيده باليوم والساعة والتاريخ، وهي شبيهة إلى حد كبير باليوميات.

ويرى عبد العزيز شرف أن "الشكل الوحيد الذي له صلة، والذي من الصعب– إن لم يكن من المستحيل– فصله منطقياً عن السيرة الذاتية هو "المذكرات memoirs فكاتب المذكرات عادة هو شخص لعب دور مميزاً في التاريخ (ثم يشرح مقصده من ذلك بقوله) كانت كلمة مذكرات كثيراً ما تستخدم لأعمال تسمى الآن سيراً ذاتية، والتمييز بين الشكلين كثيراً ما يتحول إلى فرق في الدرجة لا في النوع"[١]

حيث إن "المذكرات من حيث المادة التي تحتويها أوسع مدى من السيرة الذاتية، فهي تستطيع أن تستوعب الأحداث الخاصة التي يهتم بها كاتب السيرة الذاتية، كما أنها تهتم برصد الأحداث التاريخية وتسجيليها"[٢]

والسيرة الذاتية أقرب إلى الفن كونها تعكس ما في الذات، أما المذكرات فهي أقرب إلى التاريخ حيث أنها وثيقة تنقل لنا ما قام به صاحبها كصانع للتاريخ أو شاهد عليه.

(وقد ظهرت منذ القرن السابع عشر مذكرات memoirs مختلفة كتبها كثيرون من الشخصيات العامة دون ميل كثير إلى تصوير حياتهم الشخصية، وهذا هو الاتجاه الغالب على المذكرات السياسية والحربية التي بدأها (جيمس ملفيل) وكثرت في القرن الثامن عشر كمذكرات بيتر هينري بروس Bruce واستمر تزايدها في القرن التاسع عشر والعشرين ومن أمثلتها مذكرات جلوفر "[٣]

وعلى الرغم مما سبق فإننا لن نستطيع أن نضع حدوداً فاصلة ودقيقة بين أدب السيرة الذاتية والمذكرات.

---

(١) شرف، أدب السيرة الذاتية، ٣٨

(٢) شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي، ٢٠

(٣) عبد الدايم، الترجمة الذاتية في العصر الحديث، ١٦

السيرة الذاتية واليوميات:

غالباً ما يميل الكتاب إلى كتابة يومياتهم، وتلك اليوميات هي أجزاء مقتطعة من حياة الفرد ف "اليوميات سجل للتجربة اليومية، والحفاظ على عملية حياة المرء بالذات، دون نظر إلى التطور الذي يحاكي نموذجاً معيناً، أو التواصل القصصي أو الحركة الدرامية نحو ذروة ما"[١]

فلا توجد حبكة درامية أو صراع بين شخصيات يتطور هذا الصراع حتى يصل إلى البؤرة كي يظهر الحل بعد ذلك.

وإذا كانت السيرة تختلف عن اليوميات فيما سبق فإنها تتفق في أنها تسرد حياة أو بعض حياة شخص ما في مرحلة طفولته أو شبابه أو حتى شيخوخته.

السيرة الذاتية والاعترافات:

ترتبط السيرة الذاتية بالاعترافات ارتباطاً وثيقاً لدرجة أن بعض الاعترافات عدّت سيراً ذاتية، حيث يقول عبد الدايم "ولكن أشهر التراجم في العصور الوسطى اعترافات القديس أوغسطين، التي تعتبر قمة الاعترافات الدينية وقد حذا حذوه من كتب بعده، وهي تذكر بما احتوته من صراحة وصدق وقدرة على الاستبطان"[٢]

كما أنه يؤكد على "أن أعظم الاعترافات أهمية يرجع ظهوره إلى القرن الثامن عشر لأنها لم تكن اعترافات دينية بالمعنى المعروف ولكنها كانت تنصب على الحياة الخاصة"[٣].

ومن أهم الكتب التي اشتملت على الاعترافات واعتبرت سيراً ذاتية اعترافات تولستوي، حيث يقول عنها إحسان عباس: "فإن كان يعجبه أن يتعرف إلى النفوس الكبيرة والعبقريات الفذة في صراعها وتقلباتها وأخطائها، فهو واجد في اعترافات تولستوي وأشباهها ما يرضيه"[٤]

كما يذكر عبد الدايم صوراً أخرى في الأدب العربي تظهر في كتب المتصوفة منها "كتاب النصائح الدينية للمحاسبي، والمنقذ من الضلال لأسامة بن منقذ، والطواسين للحلاج"[٥]

---

(١) شرف، أدب السيرة الذاتية، ٣٨

(٢) عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ١٣

(٣) عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ١٨

(٤) عباس، فن السيرة، ١١٦

(٥) عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ١٨

ويقول أيضاً "الصوفي ينقل لنا تجربة ذاتية تتصل بعالم غير مألوف لنا، في لحظات فورية فجائية، يخرج فيها عن شعوره الواعي، محلقاً بعيداً عن عالمنا الأرضي إلى عالم سماوي، ثم لا يلبث وعيه أن يرتد إليه، فيصور مواجيده، وما شاهد في تجربته الكشفية تصويراً صادقاً"(١).

السيرة الذاتية والرواية:

لقد عمد بعض الكتاب إلى اعتبار السيرة الذاتية نوعاً من الرواية، حيث ينقل لنا عبد القادر شكري المبخوت ذلك عندما يقول:" تظل السيرة الذاتية، على ما فيها من خصائص شكلاً روائياً"(٢).

ويعد عبد الدايم تأثر الترجمة الذاتية بالرواية واتخاذ القالب الروائي نوعاً من التطور، ويقول "وقد مال كتاب الترجمة الذاتية في القرنين التاسع عشر والعشرين إلى استخدام الصياغات الفنية الروائية، وهذا نحو من الأنحاء في معالجتها، هو بلا شك أحفل بالعناصر، وأكثر إظهاراً لقدرة المترجم لنفسه"(٣).

ويؤكد عبد العزيز شرف على علاقة السيرة الذاتية بالرواية وارتباطها الوثيق بها بقوله: "فإن فن التراجم يحتاج إلى قدر لا بأس به من الفنية الروائية، التي يظهر بها الأشخاص وكأنهم أحياء يتحركون على مسرح الحياة، ويغدون ويروحون بما يختلج في نفوسهم من نوازع الإنسان الخيرّة والشريرة، التي تتم بها صورة الكائن الإنساني الحي"(٤).

وتوظيف السيرة للشكل الروائي من أبرز سمات التطور التي لم يلتزم بها مجموع الكتاب وإن تميز بها بعضهم عن الآخرين.

وقد تحقق التداخل الفني بين الرواية والسيرة الذاتية، وذلك أن الكثير من الروائيين كتبوا رواياتهم بأسلوب السيرة الذاتية على اعتبار أن إحدى الشخصيات تحكي سيرتها وما حدث معها، فالمضمون روائي يعتمد على الخيال لا الواقع، والشكل سيرة ذاتية!

السيرة الذاتية والتاريخ:

من يعرف تاريخه يستطيع أن يعرف حاضره ومستقبله، من هذا المنطلق تسعى الدول والأمم إلى تعريف الأجيال بتاريخها، وعرضه بأسلوب شيق والتعرف على عظمائه وعصوره

---

(١) عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ١٣-١٤

(٢) الشاوي، السيرة الذاتية في الغرب، ٢٥

(٣) عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب الحديث، ٣١

(٤) شرف، أدب السيرة الذاتية، ٢١

الزاهرة، كي يكونوا أسوة صالحة للأجيال الجديدة تقتدي بهم، وتبعث في نفوسهم روح القوة والعظمة والتطوير.

إذا يمكن القول بأن هناك رابطة بين السيرة الذاتية والتاريخ، بل "تبدو الصلة بين أدب السيرة الذاتية والتاريخ وثيقة إلى حد القول إن جنس السيرة الذاتية يمثل نقطة استقطاب حاد بين قوة التاريخ وقوّة الأدب، وقد أشار عبد السلام المسدي إلى ذلك عندما أكّد أن السيرة الذاتية إنما هي حصيلة امتزاج نوعين من الكتابة: التدوين التاريخي والحكاية الفنية"(١)

"ففي أحضان التاريخ – إذن– نشأت السيرة وترعرت، واتخذت سمتاً واضحاً، وتأثرت بمفهومات الناس عنه على مر العصور"(٢)

وبالرغم من هذا الترابط الوثيق بين السيرة الذاتية والتاريخ إلا أن أوجه الاختلاف بينهما يوضحها عمر منير إدلبي بقوله: "إننا نعتقد أن فارقاً جوهرياً بين السيرة الذاتية والتاريخ يظهر بشكل جلي من خلال ما هو مركزي في اهتمام كل منهما، فإذا كان التاريخ يدون عادةً الأحداث والوقائع... فإن السيرة الذاتية تهتم بتدوين التاريخ الذاتي/ الاجتماعي"(٣)

ويرى بعض الباحثين أن السيرة جزء من التاريخ، "وقد أنكر الأستاذ كولنج وود Colling Wood اعتبار السيرة كذلك لأنها تفقد القاعدة الصحيحة التي يقوم عليها التاريخ، فحدود السيرة الأحداث البيولوجية الواقعة بين ولادة شخص وموته، من طفولة ونضج وأمراض وغيرها، فهي صورة للوجود الحيواني الجسماني، وقد يرتبط بذلك كثير من العواطف الإنسانية، ولكن هذا كله ليس تاريخياً"(٤) ويرى توينبي نفس الرأي حيث أنه أخرج اعترافات القديس أوغسطين وحياة الملكة فيكتوريا من دائرة التاريخ، ويثني توينبي على ما حققه ليتون ستراتشي في سيرة الملكة فيكتوريا لأنه استطاع أن ينزع تاريخها الفردي من حياة العصر الذي عاشت فيه"(٥).

---

(١) إدلبي، عمر منيب ،الموقف الأدبي، مسارات التعالق (السيرة الذاتية/ التاريخ/ الشعر) ٤٧١-٤٧٢، تموز ٢٠١٠م، دمشق، سوريا، ، ٩١

(٢) عباس، فن السيرة، ٩

(٣) إدلبي، عمر منيب، الموقف الأدبي ،مسارات التعالق (السيرة الذاتية/ التاريخ/ الشعر) ، ٤٧١ -٤٧٢، تموز ٢٠١٠م، دمشق، سوريا، ، ٧٢

(٤) عباس، فن السيرة، ١٠

(٥) عباس، فن السيرة، ١٠

وإذا أردنا أن نسلط الضوء على عينة الدراسة بناءً على ما سبق يمكن أن نقول ما يلي:

أولاً : الكاتب السوري علي الطنطاوي أطلق على سيرته اسم (ذكريات علي الطنطاوي) وهذه السيرة اقرب ما يكون إلى الذكريات للأسباب التالية:

- أن صاحبها اعتمد على ذاكرته في سرد ما مر به من أحداث.
- إن الكاتب كان ينسى أحياناً بعض المواقف في مرحلة ما وعندما ينتقل إلى مرحلة أخرى يتذكر ما نسيه فيعود إليه؛ لذلك فقد اختل التسلسل الزمني عنده بالرغم من محاولاته المحافظة على ذلك الترتيب الزمني، يقول علي الطنطاوي:"قلت إني أدون ذكريات لا أكتب مذكرات. أنا لا أستطيع أن أكتب قصة حياتي متسلسلة مرتبة؛ لأني أعتمد على ذاكرة فقدت حدّتها وأبلت الأيام جدّتها، فقد أنسى الحادثة في موضعها ثم أذكرها في غير موضعها"[١].

ولكننا نعدها سيرة ذاتية متكاملة بناءً على ما يلي:

- التطابق التام بين الشخصية الرئيسية والسارد والمؤلف وهو علي الطنطاوي نفسه، ففي بداية مقدمته يقول:"هذه ذكرياتي حملتها طول حياتي وكنت أعدها أغلى مقتنياتي"[٢]
- سرد الكاتب سيرته بأسلوب فني جميل ذاكراً الكثير من القصص الجميلة –المضحكة حيناً والمبكية حيناً آخر– في ثنايا كتابه، على الرغم من أنه كان يتطرق إلى الآراء الفقهية والقضايا القانونية بحكم دراسته فتأتي تلك الصفحات مكتنزة بالمعلومات باعثة على الملل.
- شملت السيرة جميع مراحل عمره من الولادة وحتى لحظة الكتابة.
- كتب المؤلف سيرته بصيغة المتكلم.
- تحدث عن حياته الشخصية كثيراً ولكنه اهتم أكثر بالمواقف الشخصية التي تأثر بها الناس في المجتمع.
- تعهد الكاتب بقول الصدق والصراحة في سرده للأحداث، واعتذر عن النسيان الذي قد يقع فيه.يقول الكاتب:"ولكن لكم علي عهداً أنا موفٍ به إن شاء الله، وهو ألا أقول إلا الحق وألا أذكر مما صنعت إلا ما يشهد كل من عاصره على أنني صنعته"[٣] ونتيجة

---

(١) الطنطاوي، علي، ذكريات علي الطنطاوي، **ج١**،السعودية جدة، دار المنارة،الطبعة الخامسة، ٢٠٠٧م، ١٨–١٩

(٢)(٢) الطنطاوي، الذكريات، ج١، ١٣

(٣) الطنطاوي، الذكريات، ج١، ٢٠

لهذا العهد الذي قطعه على نفسه أمام القارئ نجده يقدم بعض الاعترافات منها على سبيل المثال لا الحصر قوله:"وقد يقرأ امرؤٌ ما كتبت في الحادث العظيم أو يسمع ما قلت فيه، فيحسب أني أنا مدبر الأمر وأني مديره، لا يعلم أني جئت من الباب الخلفي للمنبر ، ثم نزلت من المنبر فخرجت من الباب الخلفي إلى بيتي، وإن كانت لي مواقف حولت مسار الأحداث وأقامت وأقعدت وأثارت وحمست، لا يزال يذكرها كثير من أهل بلادي"[١]

- حدد الكاتب غايته من سيرته، وهي تحقيق أمنيته، يقول:"وكان نشر هذه الذكريات إحدى أماني الكبار في الحياة، ولطالما عزمت عليها ثم شغلت عنها وأعلنت عنها لأربط نفسي بها فلا أهرب منها"[٢] وغايته من نشر هذه الذكريات حصول المنفعة والتسلية للقارئ: يقول"الجندي حين يمشي في مهمة عسكرية يمضي إلى غايته قدماً، لا يعرج على شيء ولا يلتفت إليه، ولكن السائح يسير متمهلاً ينظر يمنة ويسرة، فإن رأى منظراً عجيباً وقف عليه، وإن أبصر شيئاً غريباً صوره، وإن مر بأثر قديم سأل عن تاريخه، فيكون له من سيره متعة ويكون له منه منفعة. وأنا لا أحب في هذه الذكريات أن أمشي مشية الجندي، بل أسير مسيرة السائح"[٣]

الكاتب يوسف القرضاوي وضع عنواناً لسيرته (ابن القرية والكتاب ملامح سيرة ومسيرة) فهل يمكن أن نعد هذا الكتاب سيرة ذاتية؟ وهل يمكن أن يكون القرضاوي محقاً في اعتبارها كذلك؟ للإجابة على ذلك لا بد أن نقول:

- إن التطابق واضح بين المؤلف والسارد والشخصية المركزية في السيرة وهو القرضاوي نفسه، حيث يقول في بداية مقدمته:" لم يشأ لي القدر أن أولد وأنشأ في مدينة كالقاهرة كما نشأ أحمد أمين"[٤].
- القرضاوي سجل جميع مراحل حياته في سيرته منذ ميلاده في قريته (سفط تراب) حتى اللحظة التي كتب فيها سيرته.
- حدد الكاتب غايته من السيرة بقوله:"كما أني أركز على الإيجابيات؛ لتحسن القدوة بها والأسوة فيها. ومع هذا لا أغفل السلبيات، بل أذكرها لنأخذ العبرة ، ولئلا نقع في

---

(١) الطنطاوي، الذكريات، ج١، ٢٠

(٢) الطنطاوي، الذكريات،ج١ ،١٣

(٣) الطنطاوي، الذكريات، ج١، ٢٠-٢١

(٤) القرضاوي، يوسف، ابن القرية والكتاب سيرة ومسيرة، ج١، مصر القاهرة، دار الشروق، الطبعة الثانية،٢٠٠٦م، ١٥

مثلها، ولكي نكون منصفين مع أنفسنا، ومع الأجيال القادمة بعدنا فإنما نحن بشر غير معصومين، نجتهد في خدمة الإسلام، ونصرة قضاياه"[١]

- غلب على الجزء الأول حياته الشخصية بينما غلب على باقي الأجزاء حياته العامة والأحداث التي تهم مصر والعالم العربي والإسلامي.
- تعهده بكتابة سيرته بصدق وصراحة يقول:"أبدأ على بركة الله معتمداً على ما أستيقنه مما أتذكره، وما لم أستيقنه أستبعده أو أذكره على التشكيك، أداء للأمانة، محاولاً أن أكون موضوعياً ما استطعت،؛ لأني أكتب سيرة ذاتية، فكيف يكون الذاتي موضوعياً؟ وكيف يكون الإنسان محايداً مع نفسه؟ هذا يحتاج إلى نفس انتصرت على هواها، واستعلت على رغباتها وفنيت في ذاتها، وأنا لا أدعي أني وصلت إلى هذه الدرجة ولكني سأجتهد ما استطعت"[٢].

ومما سبق نجد أن القرضاوي وفق في اعتبار كتابه سيرة ذاتية، أما عمر التلمساني فقد حدد اسمًا لكتابه وهو(ذكريات لا مذكرات)، وقد تطابق المؤلف والسارد والشخصية المركزية في كتابه، كما أنه كتبها بصيغة المتكلم، واعتمد الكاتب على الصدق في سرد أحداثه، يقول:هذا إلى أن نظرتي إلى مثل هذه المذكرات، يجب أن تكون صادقة مع الأحداث، لا مع وجهة نظر من يتولى كتابة مذكرات؛ لأن الأمر أمر تاريخ، والتاريخ إما أن يسرد في صدق وأمانة وإما البعد عنه تحسباً من الخطأ والتضليل للأجيال القادمة، إذا قرئ من ناحية واحدة"[٣] ، ومما يدلل على ذلك ما ذكره التلمساني عن بعض الأمور التي مارسها في حياته ولا يرضى عنها الإسلاميون كالرقص الإفرنجي والموسيقى، ورسوبه في كلية الحقوق[٤]، وكل ما ذكرته سابقاً يعتبر من الشروط التي يجب توافرها كي تعد تلك النصوص سيراً ذاتية.

ويغلب على سيرة التلمساني الأحداث العامة، خاصة ما حدث لجماعة الإخوان المسلمين في النصف الثاني من القرن العشرين.وأخيراً لا أستطيع أن أقول أن كل تلك النصوص هي سيراً ذاتية لأصحابها.

---

(١) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ج١ ،١٠

(٢) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ج١، ١٠

(٣) التلمساني، عمر، ذكريات لا مذكرات مصر القاهرة،دار الطباعة للنشر والتوزيع، ١٩٨٥م، ٣

(٤) انظر التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٧-٢٤

الفرق بين السيرة الذاتية والسيرة الغيرية

يرى البعض أن السيرة الذاتية لا تختلف عن السيرة الغيرية في الهدف والشكل والمضمون إلا أن آخرين يعتقدون أن بينهما اختلافاً بينيً، ويوضح إحسان عباس رأي الفريقين بقوله:

"نحن هنا إزاء فريقين يختلفان اختلافاً بيناً" أما الفريق الأول فيرى أن لا فرق بين السيرة الذاتية والسيرة العامة، في الهدف والشكل والمضمون، إلا أن إحداهما تكتب بصيغة المتكلم والأخرى بصيغة الغائب، كلاهما فن لا علم والدليل على ذلك أنه لو اجتمع عشرون كاتباً على كتابة سيرة لأحد الناس، لتوفرت لدينا عشرون سيرة مختلفة، على الرغم من أن المواد واحدة ولو كتب هؤلاء سير لأنفسهم لطالعنا أيضا كل هذا العدد من السير الذاتية المتباينة... وأما الفريق الآخر فيقول إن بينهما شركة كالتي بين كثير من الفنون الأدبية، ولكن القول باتفاقهما التام خاطئ أو بعيد عن الصواب لأن الترجمة الذاتية نقل مباشر أما الترجمة الغيرية – أي ترجمة حياة الآخرين– فإنها نقل عن طريق الشواهد والشهادات وشتان ما هما"[١]

والمواد التي يقصدها إحسان عباس هي الوثائق التي يستقي منها الكاتب معلوماته، وأختلف مع الفريق الأول في اعتبار أن السيرة الذاتية تماثل الغيرية لأن السيرة الذاتية تنبع من نفس الكاتب وهي نقل لتجاربه الخاصة وروايته الخاصة التي قد تختلف أو تتفق مع الآخرين، كما أن السيرة الذاتية ربما تكتب بصيغة الغائب كما حدث مع سيرة طه حسين (الأيام) بالرغم من أن القارئ استطاع أن يميز بأن هذه لم تكن إلا تجربة شخصية للكاتب.

أما الفريق الثاني أو الرأي الثاني فهو أقرب إلى الصواب من وجهة نظري، لأن تداخل الفنون الأدبية وارد، ولكنها لا يمكن أن تتماثل

وإذا أردنا أن نحدد المفهوم الدقيق للسيرة الغيرية فلابد من التعرض إلى آراء المختصين، حيث يحدد عبد العزيز شرف مفهوم السيرة الغيرية بقوله: "السيرة الغيرية هي بحث عن الحقيقة في حياة إنسان فذ، وكشف عن مواهبه وأسرار عبقريته من ظروف حياته التي عاشها، والأحداث التي واجهها في محيطه، والأثر الذي خلفه في جيله"[٢]

ولو تتبعنا السيرة في العصر الإسلامي نجد أغلبها من هذا النوع، لأن المسلم كان ينأى بنفسه عن التحدث في أمور خاصة نظراً لتوجهه نحو الزهد في الدنيا والعمل للآخرة، ولو كانت السيرة مطلباً إسلامياً لكتب الصحابة والخلفاء الراشدين جميعهم سيرهم الذاتية بأنفسهم ، ولذلك نجد

---

(١) عباس، فن السيرة، ١١١– ١١٢

(٢) شرف، أدب السيرة الذاتية، ٣–٤

أن السيرة الغيرية غلبت على القرون في العصور الإسلامية المتعاقبة وظهر ذلك في المصنفات التي خصصت للحديث عن رجال ونساء كان لهم أثر في الحياة والمجتمعات.

ولقد حدّد المختصون الفرق بين السيرة الذاتية والغيرية، فإبراهيم عبد الدايم مثلاً في إطار حديثه عن الفرق بينهما يقول: "لكن الترجمة الذاتية أوثق صلة بالإنسان من الغيرية، لأن هذه تعتمد على النقد الموضوعي وعلى والوثائق والمدونات والمشاهدات والملاحظات والقرارات وغيرها من وسائل النقد غير المباشرة من خارج الذات في حين أن السيرة الذاتية تقاس قيمتها الأدبية بما فيها من الذاتية والنقل المباشر من داخل الذات باعتمادها على التذكر القوي للأفكار والمواقف المؤثرة ولنقط التحول الواضحة"(١)

ويؤكد إحسان عباس هذا الكلام بقوله: "من كل ما تقدّم يتبين لنا إلى أي حد تعتمد السيرة التي يكتبها الشخص لنفسه على العنصر الذاتي بينما السيرة العامة قائمة في المقام الأول على الاتجاه الموضوعي"(٢)

لكن إن أردنا تحديد فرقاً دقيقاً بين السيرة الذاتية والغيرية "نجد أن معظم الباحثين قد أجمعوا على أن أهم فرق بينهما، هو أن السيرة الذاتية يتم فيها التطابق بين السارد والشخصية الرئيسية والمبدع، أما السيرة الغيرية فلا يمكن أن يتطابق فيها المبدع مع الشخصية الرئيسة"(٣)

وينصح كاتب السيرة الذاتية أن يكتبها في وقت متأخر من حياته؛ لأن كتابتها مبكراً يضيع الكثير من الأمور والأحداث التي قد تحدث فيما بعد،أما السيرة الغيرية فيشترط فيها أن يكون الكاتب قد ألم وفهم بيئة من يترجم له من كل جوانبها، وأن يعرف أثر تلك البيئة فيمن يترجم له"(٤)

---

(١) عبد الدايم، الترجمة الذاتي في الأدب العربي، ٢٥-٢٦

(٢) عباس، فن السيرة، ١٠٩

(٣) شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي، ١٨

(٤) انظر،الشوابكة، داوود، وآخرون، دراسات أدبية نقدية في الفنون النثرية، دار الفكر الأردن، ط١، ٢٠٠٩، ١٢٩

الفصل الثاني:
أهداف السيرة الذاتية وشروطها

أولًا: أهداف السيرة الذاتية

- البعد التربوي
- البعد الأخلاقي
- البعد التاريخي
- بعد الحرية

ثانيًا: شروط السيرة الذاتية

ثالثًا: السيرة الذاتية بين الحقيقة والخيال

أولًا: أهداف السيرة الذاتية

عرفنا سابقاً أن السيرة نوع من أنواع الأدب وجنس من أجناسه، يهدف إلى ما يهدف إليه الأدب، ف"الأدب – كفن جميل – واجبه الأول أن يسهم بكل ما يستطيع في إعلاء الإنسان عقلاً ووجداناً، وخلقاً وسلوكاً، ونفساً وروحاً، وأملاً وطموحاً وإنتاجاً وعملاً..."[١]وكذلك السيرة الذاتية ينبغي أن تسعى لتحقيق الهدف نفسه، و أن يكون لها دور في تطوير النفس والمجتمع نحو الأفضل.

وكاتب السيرة يعود إلى نفسه، ويبرز ما فيها من صفات وخصائص وآراء ومبادئ وأفكار "فليس في استطاعة الإنسان أن يعيش دائماً مشتتاً في الخارج، مبعثراً بين أشياء، بل هو لا بد من أن يعود إلى نفسه بعد الفعل، لكي يزيد من خصب حياته الباطنية، ويضاعف من ثراء عالمه الداخلي"[٢].

فالإنسان يحتاج إلى لحظات من التأمل الداخلي كي يقوم بمراجعات تعود عليه بالفائدة في حاضره ومستقبله، أو قد لا يستفيد هو منها بل تطول الفائدة غيره فتعطي تجارب حية للأجيال القادمة، وكاتب السيرة يسجل هذه التجارب التي يكون لها أثرٌ واضحٌ على الآخرين.

وهذا الأمر يختلف من كاتب سيرة إلى آخر حسب شخصيته وتكوينه وتوجهه الأيدلوجي "إذ يمكن أن يكون للخبر الذي يمنحه كاتب سيرة ذاتية حول مظهر من مظاهر حياته وظائف متعددة، يمكنه أن (يرتقي) بالجمهور أو (يجابهه)، كما يمكنه أن (يسقط) المؤلف أو يدافع عنه، ويمكنه أن لا يقوم بأي شيء غير (تسلية) الجمهور والمؤلف"[٣]

وقد تعطي السيرة الذاتية صورة جميلة عن كاتبها، ولكنها صورة بعيدة كل البعد عن الواقع بشهادة من عاشوا معه، فيسقط الكاتب سقوطاً مدوياً، ويمكن أن تكون السيرة المكتوبة قصصاً مسلية، يسعد الناس بقراءتها ولكنهم لا يحصلون على الفائدة المرجوة.

---

(١) هيكل، أحمد، في الأدب واللغة، دار الغريب للطباعة والنشر، ط٢، ٢٠١٠م، ٤٤

(٢) شرف، عبد العزيز، أدب السيرة الذاتية، ١١، وانظر مراجعات ومتابعات في الرواية والقصة الفلسطينية شمس الدين موسى، ١٠٤–١٠٥

(٣) بروس، اليزابيت، الذات والدواة، ٢٢

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن الأدب الإسلامي، فيمكن القول: إنَّ الأدب الإسلامي له أهدافه التي يسعى لتحقيقها، وتتمركز حول بناء الذات الإسلامية وإيضاح التصور الإسلامي في الكون والحياة.

ولو تتبعنا بعض السير الذاتية التي كتبت بيد الأدباء المسلمين في العصر الحديث، نجد أن كل سيرة لها هدف أو مجموعة من الأهداف تسعى لتحقيقها، وسنذكر أمثلة من هذه السير عندما نتحدث عن الأبعاد المختلفة لكتابة السيرة الأدبية الإسلامية في العصر الحديث.

فالسيرة لها أبعاد متعددة تختلف من كاتب لآخر، حسب تكوينه النفسي وتوجهه الأيدولوجي ودوافع كتابته للسيرة، ومن هذه الأبعاد:

البعد التربوي

ونقصد بالبعد التربوي مدى تأثير السير بشتى صورها على الأجيال، هذا التأثير الذي يسهم بدرجة كبيرة في تكوين آرائهم، وبناء شخصياتهم بصورة سليمة بما يتماشى مع الدين والعرف والخلق القويم.

ولو رجعنا إلى الوراء قليلاً إلى التاريخ الإسلامي نجد أن كتابة سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام كان الهدف منها تربوياً تعليمياً بالرغم من كونها في ظاهرها سردًا تاريخيًا إلا أننا نلاحظ أن "كثيراً ما ابتعدت السيرة عن هذا الأصل التاريخي، حين أصبحت غايتها تعليمية أو أخلاقية"[1]، إذن لم تكن غاية تدوين السيرة النبوية كتابة التاريخ الإسلامي بقدر ما كانت تحقيقاً للأهداف التالية:

- غرس مبادئ الإسلام في قلوب الأجيال المتعاقبة كالإيمان بالله والقضاء والقدر وغيرها.
- تقوية صلة المسلم بربه من خلال كشف الستار عن خلق سيد الأنبياء وخير البشر.
- توعية المسلم بالأمانة التي حملها وارتبطت به دون غيره من المخلوقات.
- حث المسلم على التمسك بالفضائل والأخلاق الحسنة وصالح الأعمال.
- الانصراف إلى طلب العلم والدعوة إلى العمل وإيثار الجد على اللهو.

(١) عباس، إحسان، فن السيرة، ١١

والمتأمل في كتابة سير العلماء والفقهاء والأدباء والمتصوفة في العصور الإسلامية يلاحظ أن أهدافها وغاياتها لم تبتعد عن ذلك، حيث كان عرض النماذج والقدوة الحسنة، وعرض أفضل ما عند تلك الشخصيات من صفات هو الغاية من أجل تربية الأجيال وتعليمها، ومن ثم بناء الأمة القادرة على سيادة الأمم وهدايتها.

أما بالنسبة للغرب فقد كانوا قديماً يهدفون من وراء كتابة سير العظماء إلى التعليم ويذهب أنصار السيرة إلى أنها تصلح للتدريس لأسباب محددة ذكرها عبد العزيز شرف في كتابه أدب السيرة الذاتية حيث يقول "أول من قال باستخدام السير في تعليم التاريخ للمبتدئين كان جان جاك روسو jean– Jacques Rousseau، ويرى أنصار السيرة أنها تصلح للتدريس لعدة أسباب:

أولاً: أن الإنسان الفرد أبسط– كموضوع– للدراسة من القبيلة.

ثانياً: أن للأطفال ميلاً طبيعياً مفيداً نحو الشخصيات...،

ثالثاً: تعرف الشخصيات العظيمة النبيلة يخلق رغبة في التشبه بهم"[1]، وأنا أميل إلى رأي هؤلاء في هذا الجانب، فعرض سير تتحدث عن إشاعة العدل والمساواة أو التضحية والفداء تدفع الجيل إلى تمثل هذه القيم نظراً لتأثره بالأنموذج الذي يعرض فيقتدي بهذا المثال ويسعي إلى التمثل به.

فالإنسان بطبعه يميل إلى الحكايات والقصص، كما أنه يميل بفطرته نحو الشخصيات العظيمة والنماذج المثلى ويريد دائماً أن يحذو حذوها؛ لذلك سعى المسلمون منذ العصور الأولى إلى التركيز على الشخصيات الهامة في التاريخ والتي كان لها أثر بالغ في تغيير مسارات الأمة الإسلامية كعمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز والخلفاء الراشدين، والصحابة – رضوان الله عليهم – المقربين من الرسول مثل المبشرين بالجنَّة، والحُفَّاظ والعلماء والفقهاء كالشافعي، وابن تيمية، وأحمد بن حنبل، والعز بن عبد السلام وغيرهم، وإظهار مواقفهم على مر العصور.

والبعد التربوي أو الوظيفة التربوية كما يسميها عبد العزيز شرف لها أثرها في إيجاد فكر موحد ومتقارب للأجيال، ويقول موضحاً ذلك: "وتتمثل هذه الوظيفة – فيما تساعد عليه السيرة

(١)انظر، شرف، أدب السيرة الذاتية، ١٢٦

الذاتية من خلال النشر الجماهيري من تطبيع وتنشئة اجتماعية، وتوحيد للمفاهيم وتقريب وجهات النظر...."[١]

والسيرة الذاتية لها خصوصية في هذا البعد، نظراً لأنها تعتمد على الحقائق والوثائق مثلها مثل التاريخ إلا أنها تقدم في ثوب أدبي مؤثر وشيق، حيث إن "الأدب أكثر الفنون الجميلة مراعاة للمتلقي واهتماماً به، واحتشاداً له، فإذا كانت الفنون الجميلة الأخرى تنتج لكي تخلق عند المتلقي حالة شعورية خاصة، أو لتخلع عليه جوّا نفسياً معيناً، أو لتترك لخياله يرسم ما يشاء من صور، فإن الأدب لا يمكنه أن يقتصر على هذه الوظيفة لأن أداته وهي الكلمة تتجاوز ذلك بحكم طبيعتها"[٢]

فالأدب يخلق الحالة الشعورية، ويترك للإنسان المجال كي يسبح في الخيال، كما أنه يغرس فيه قيماً ومبادئ قلما تتوفر في فنون وعلوم أخرى.

ومن السير الأدبية الإسلامية الحديثة التي كان لها هذا البعد التربوي التعليمي: السيرة الشخصية للكاتب السوري منير الغضبان، يقول في قصة كتابة سيرته(كشف المستور)عندما طلب منه الأستاذ علي المقدسي أن يكتب سيرته رد عليه قائلاً :" لا، لا ليس عندي استعداد للكتابة عن نفسي، وبأسلوبه المهذب وخلقه الدمث أدرك أبعادي النفسية فقال: لا تفهمني خطأ، نحن نريد أفكاراً ومبادئ نقدمها للجيل الجديد نستشهد بها من خلال شريط حياتك"[٣] ثم يعقب الغضبان على ذلك بقوله:و"لا أدري هل وافقت على هوى في النفس أم رغبة في الإصلاح"[٤]. ونظراً لتاريخ الغضبان ومواقفه فإنني ألمح أن رغبته في إصلاح الأجيال كانت الدافع الحقيقي لكتابة سيرته.

كما أن زينب الغزالي في سيرتها أيام من حياتي، توضح الغاية التربوية من عرض سيرتها حيث تقول في مقدمتها:"وإيماناً منا بأن فترة سجننا وتعذيبنا هي من حق التاريخ، ومن حق الذين على الطريق أن يعوها ويدرسوها حتى يبقوا على طريق الجهاد، ولا تتحول قضيتهم إلى سفسطة كلامية، وحديث ترف وقصة تاريخ، إيماناً بهذا كله نزلت على رأي المخلصين من أبنائي وإخواني،

---

(١) شرف، أدب السيرة الذاتية، ١٢٤

(٢) هيكل، في الأدب واللغة، ٢١

(٣) الغضبان، منير، كشف المستور، ط١، ٢٠٠٦م، ٢٠

(٤) الغضبان، كشف المستور، ٢١

واستعنت بالله في جمع ما احتوته ذاكرتي مما كان"[١] وفي هذه الكلمات تؤكد الكاتبة على أن الدافع تربويٌ تعليميٌ بجانب الدافع التاريخي، بل هو الدافع الأهم حسب رأيها.

أما في سيرة الحسنات يظهر الهدف من وراء كتابة سيرته (ذكريات مرج الزهور) في الإهداء حيث يبين أن سبب إهدائه لهذه الذكريات هو "أن تكون بصيصاً من نور لمن أراد أن يهتدي إلى وضع الأقدام في حلكة الظلام"[٢].

البعد الأخلاقي

البعد الأخلاقي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالبعد التربوي؛ لأن النموذج الثقافي وظيفياً يظهرنا على تأثير السيرة الذاتية على أخلاق الشباب بما تقدمه من نماذج للقدوة تتفق أو تختلف مع الأخلاق العامة"[٣]

ولو تتبعنا القصص عند المسلمين نجد أنه "لم تكن الغاية الخلقية معدومة في نشأة التاريخ والسير عند المسلمين، فإن القرآن الكريم– وهو الذي عمق الإحساس التاريخي عند العرب حين قص عليهم قصص الأمم الخالية، وحين وصلهم بالأمم وجعل تاريخ الخليقة مجالاً لنظرهم– إن القرآن حين فعل ذلك كله، كان يهدف إلى إثارة العبرة في نفوسهم"[٤] وإلى غرس الأخلاق الحميدة والإيمان بالله سبحانه وتعالى، وتقوية الصلة بين الإنسان وربه وتعميق الروابط الاجتماعية بين المسلمين.

"إن الإسلام يربط الأخلاق بالشرع، فالشرع هو الذي يحسن ويقبح.. وليس الأخلاق متروكة للإنسان ينظر فيها بعقله، لأن فضلاً عن كونه بطبيعة آفاقه المحدودة، عاجز عن العثور على نسق شمولي يستجيب لحاجيات الإنسان وتطلعاته الحضارية، فضلاً عن ذلك فإن نسقه حتى وإن كان فيه قدر من الصواب، فإنه يظل جسداً راكداً لا حياة فيه..."[٥]

---

(١) الغزالي، زينب، أيام من حياتي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ، ط١، ١٩٩٩م، ٧

(٢) الحسنات، حماد، ذكريات مرج الزهور، ٣

(٣) شرف، أدب السيرة الذاتية، ١٢٥

(٤) عباس، فن السيرة، ١٢

(٥) بن مسعود، عبد المجيد، كتاب الأمة (سلسة دورية، القيم التربوية والمجتمع المعاصر)، وزارة الأوقاف والشئون الدنية، قطر ، العدد ٦٧، السنة الثامنة عشر ١٤١٩هـ، ص١٢٣،

فالتشريع الإسلامي يبعث الحياة في ذلك الجسد الراكد لأنه تشريع الله سبحانه وتعالى خالق الجسد والروح.

ونحن بحاجة إلى الرابط القوي بين التشريع والأخلاق، بحاجة إلى القيم التربوية الإسلامية التي "هي من الشمول بحيث يؤدي امتصاصها والتشبع بها إلى بناء الشخصية الفذّة المتكاملة المؤهلة لأن تفهم الكون والحياة من حولها. وتتخذ موقفاً يرتقي بالحياة، ويرشد مسارها في الاتجاه السديد الذي يرتفع بالإنسان إلى مستوى التكريم الإلهي"[١]

وإذا كانت السيرة الذاتية عبارة عن نماذج أخلاقية للشباب فإنها تحقق الهدف من الأدب الإسلامي عامة.

وترى اليزابيت بروس أنه "يمكن أن تتحدد بعض السير الذاتية باعتبارها نموذجية بالضرورة، كما هو الحال بالنسبة للعديد من السير الذاتية الدينية والروحية"[٢]

ولكني أرى أن من الواجب أن تكون السير الذاتية ينبوعاً للأخلاق الحميدة سواء كانت روحية أو دينية أو اجتماعية أو سياسة أو تاريخية، لأن السير الذاتية هي جزء من تاريخ الفرد، ذلك الفرد الذي يحيا في مجتمع يؤثر ويتأثر به، وهذا المجتمع يتكون من أفراد آخرين قد يجدون في السيرة الذاتية لفرد ما يحيي في نفوسهم اتجاه نحو خلق أو سلوك صحيح حيث"إن السيرة الذاتية كانت دليلاُ مرشداً قيماً للأخلاق والعادات السائدة في العصور والمجتمعات التي نشأت فيها"[٣].

ويرى عز الدين إسماعيل أن "لهذا النوع الأدبي مكانته في الآداب الأوروبية الحديثة وله خطورته، بما يحمل إلى الناس من نماذج بشرية وقيم إنسانية لا بد أن يكون لها أثرها في تكوينهم وتوجيههم، ولكنه يحتاج دائماً إلى الكاتب الخبير المتمكن، ونرجو أن يصرف الأدباء جزءاً من مجهودهم للنهوض بهذا النوع"[٤] كما أن "المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية لا يزالان قائمين ما دامت قيم الإسلام سائدة، وكلما ضعفت وتلاشت، كلما كان ذلك إيذاناً بالانحلال وانفكاك عرى المجتمع والحضارة"[٥]. وهذا ما حدث للأسف في العصر الحديث حيث بدأت قيم المجتمعات غير

---

(١) كتاب الأمة (سلسة دورية، القيم التربوية والمجتمع المعاصر، عبد المجيد بن مسعود، العدد ٦٧،السنة الثامنة عشر ١٤١٩هـ، ص١٧٠، وزارة الأوقاف والشئون الدنية.قطر

(٢) بروس، الذات والدواة، ٢٦

(٣) شرف، أدب السيرة، ٤٦

(٤) إسماعيل، عز الدين، الأدب وفنونه دراسة ونقد، ط٧، ١٩٧٨، دار الفكر العربي، ٢٨٨

(٥) القيم التربوية والمجتمع المعاصر، ١٣٥

الإسلامية تطغى على القيم الإسلامية في البلاد العربية والإسلامية فضعف المسلمون وازدادوا انحداراً، وأصبحوا في ذيل القافلة بعد أن كانوا أعلاماً لها.

والانفجار المعرفي والتكنولوجي في العصر الحديث سيف ذو حدين،فمن ناحية سهل للإنسان التواصل مع غيره، والاطلاع على كل ما هو جديد، ومن ناحية أخرى نرى أنه سّهل للأجيال الجديدة الاطلاع على سير ذاتية عربية إسلامية وغير إسلامية وأخرى عالمية، وربما وجدوا فيها ما يتعارض مع الشرع الإسلامي إلا أنهم تأثروا بها لذلك كان من واجبنا كمسلمين أن نعرض السير ذات الطابع الإسلامي.

كما أن ميزان الأخلاق اختل في العصر الحديث، عصر التكنولوجيا وتسارع الابتكارات المادية، وطغيان المادة على الروح، حيث أصبحت السياسة فن الكذب، وإخفاء الحقائق من متطلبات الدبلوماسية، والسرقة والاحتيال من أصول التجارة الناجحة.

وفي ذروة انقلاب هذه الموازين كان لا بد من محاولة إعادة الجيل إلى المفاهيم الأخلاقية الصحيحة، وهذه غاية يسعى إليها الأدباء والكتاب الإسلاميون، ومن السير التي نلمس فيها هذه الغاية قديماً ما ذكره عبد الدايم حيث يقول: " ومن الملامح البارزة في التراجم الذاتية في التراث العربي، أن مجموعة منها تهدف إلى المثالية الروحية،ولذلك فهي تقدم النمط التهذيبي، حثاً على القدوة والاحتذاء ... هي تفصح عن حياة صاحبها وما أتيح له من خبرات، روحية وخلقية وفكرية،ومن أمثلتها ما كتبه عن نفسه كل من عبد الرحمن بن الجوزي في كتابه لفتة الكبد في نصيحة الولد، والعلم الصوفي عبد الوهاب الشعراني في لطائف المنن،وما كتبه عن نفسه كل من الحلاج وابن العربي والسهروردي[١]".

وفي السير الإسلامية الحديثة نرى الغضبان في سيرته يضع أفكاراً للشباب، كل فكرة عبارة عن درس أخلاقي أو فكري، وكأن الغضبان يريد أن يضع النقاط على الحروف، ويحدد الأمور الهامة التي يجب أن يحرص عليها الشباب المسلم في العصر الحديث لكي يرتقوا بأنفسهم ومجتمعاتهم أخلاقياً ، ومن هذه الحكم التي وضعها:

- " كن مع ربك واستمسك بصراطه المستقيم ولا تخش في الله لومة لائم، وتعلم على الحرية والحوار "[٢].

---

(١) عبد الدايم، يحيى إبراهيم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص٣٤

(٢) الغضبان، كشف المستور، ٦٥"

- "كن صادقاً في نفسك،قدوة في حياتك، تستلهم من حولك أفكارك"[١].
- "الحكمة في اتخاذ القرار قد يغير مجرى الحياة، ويهب لك أماناً واطمئناناً، كن حكيماً"[٢].
- " الوصول إلى الهدف لا يسرعه عنف أو غلظة، فلم لا ترفق بالناس، وتملأ الدنيا حباً وعدلاً واحتراماً"[٣].

البعد التاريخي

تؤكد تهاني شاكر ما قاله شوقي ضيف سابقاً أن السيرة نشأت في حضن التاريخ بقولها: "ولقد نشأت السيرة بنوعيها الذاتية والغيرية في حضن التاريخ، لذلك ففيها بعض ملامحه، بل إنها في بعض الأحيان تقترب منه إلى درجة تجعل بعض الباحثين يعدونها نوعاً من أنواع التاريخ"[٤].

والسيرة الذاتية عبارة عن تجارب حياتية، حيث"إن كتابة الكتاب عن التجارب الحياتية التي مرّوا بها تكشف الكثير من الغموض، وترفع الحجب عن المستور، فتصبح الكتابة الذاتية عن حياتهم مرجعاً تاريخياً ومصدراً أساسياً في المعرفة"[٥]

ومن هنا ينبغي أن نتطرق إلى سؤال على درجة كبيرة من الأهمية، ويقتضي أن تكون إجابته على درجة عالية من الدقة، والسؤال هو: هل يمكن الاعتماد على السيرة الذاتية في دراسة مرحلة تاريخية معينة؟ وإلى أي مدى يكون ذلك؟ .

وللإجابة على هذا السؤال لا بد من التأكيد على أن كتابة التاريخ لها مشكلاتها، وكثيرًا ما أكد الباحثون والمؤرخون على أن التاريخ السياسي يكتبه المنتصرون في كل مرحلة، أي أن من يكتبه مؤرخون منحازون إلى المنتصرين أو حريصون على إرضائهم، فإذا كان هذا حال الكتب التاريخية فما بال السير الذاتية هل سيكون أصحابها موضوعيين خاصة أن تركيزهم منصبٌ على ذواتهم ووجهة نظرهم الشخصية؟.

---

(١) الغضبان، كشف المستور، ٨٠

(٢) الغضبان، كشف المستور، ٨٣

(٣) الغضبان، كشف المستور، ٩١

(٤) شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص١٦. وانظر فن السيرة لإحسان عباس ٩

(٥) ابو بكر، أحمد حسن، حنا إبراهيم أديبا، أطروحة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠١م، ١٢٧

ولو عدنا قليلاً إلى السير الذاتية في التاريخ الإسلامي نجد أن كثيراً منها غايته إخبارية واعتبره إحسان عباس النوع الأول من أنواع السير الذاتية حيث قال: "الصنف الإخباري المحض، وهو يضم الحكايات ذات العنصر الشخصي سواء أكانت تسجل تجربة أو خبراً أو مشاهدة، كتلك الحكايات التي يقصها الجاحظ وأبو حيان والصلاح الصفدي والصابي والصولي وغيرهم عن نفوسهم، وعن الأحداث التي صادفتهم، كما تضم بعض المذكرات التي كتبها صاحبها من أجل الغاية التاريخية"[١].كما يذكر إحسان عباس رحلة ابن جبير وسيرة ابن سينا وموفق الدين البغدادي وعلي بن رضوان الطبيب المصري وغيرهم ثم يقول:"واهتمّ كل واحد من هؤلاء أن يعرف الناس أين نشأ، وكيف تعلم، وكيف كانت قابليته للعلم، ومن شيوخه، وما هي الكتب التي ألفها، والبلاد التي زارها متنقلاً"[٢].

في السيرة الذاتية لعمر التلمساني (ذكريات لا مذكرات) يظهر البعد التاريخي حيث يقول: "فاشترطت على المندوب أن يوضح توضيحاً تاماً، أن ما أكتبه لن أتناول عليه ثمناً، لأنه تاريخ والتاريخ لا ينزل إلى عالم البيع والشراء، لأنه ليس ملكاً لفرد ولكنه حق أجيال قادمة"[٣] فهدفه كان إبراز الحقائق التاريخية بالنسبة إليه شخصياً، وبالنسبة للزمن الذي عاشه من تاريخ الشعب المصري عامة وتاريخ الحركة الإسلامية خاصة.

كما أن زينب الغزالي في كتابها (أيام من حياتي)، تحدد دوافع كتابتها لسيرتها بقولها:" "نازعتني فكرة الكتابة عن "أيام حياتي" وترددت كثيراً، غير أن الكثرة ممن أثق في إيمانهم بالقضية الإسلامية وهم من أبنائي وإخواني رواد الدعوة وبناة فكرها الذين عاشوا معي تلك الأيام، رأوا أنه من حق الإسلام علينا أن نسجل تلك الحقبة من الأيام"[٤].حيث أن حق الإسلام هو إبراز الحقائق والكشف عنها أمام الناس.

فكانت تلك السيرة المجزوءة من حياتها هي جزء من تاريخ الحركة الإسلامية، وجزء من تاريخ مصر، الذي يجب أن يكون معلوماً للناس حتى يستطيعوا إعطاء حكم صحيح على تلك الفترة وعلى زعمائها.

---

(١) عباس، فن السيرة، ١٢٣-١٢٤

(٢) عباس، فن السيرة، ١٢٤

(٣) التلمساني، عمر، ذكريات لا مذكرات، ٤

(٤) الغزالي، أيام من حياتي، ٥

بعد الحرية

الحرية مطلب إنساني كفلتها الأديان السماوية، والعهود والمواثيق الدولية، وغنَّى لها الأدباء والشعراء والمفكرون، وضحى من أجلها أصحاب المبادئ، وهي تشتمل على معانٍ عظيمة، ومن تلك المعاني حرية التعبير عن الرأي، وحرية التنقل، وحرية المطالبة بالحق، وحرية استخدام جميع الوسائل والأساليب في سبيل إرجاع الحق السليب.

وقد يلجأ الكاتب إلى تدوين ما يعجز عن قوله أمام الآخرين، في صورة سيرة أدبية ذاتية، محاولاً أن يلقي الضوء على قصص ومواقف مرّت.

كما أن الكاتب قد يمر بتجربة تترك ندوباً في نفسه فيسعى إلى إظهار تلك التجربة ونشرها، كي يستفيد من تلك التجربة غيره.

وقد تميزت السير الإسلامية الحديثة ببعد الحرية والسعي إلى تغيير الواقع المؤلم المعاش، خاصة في السير الفلسطينية، وهذه نتيجة طبيعية للنكبة التي تعرض لها الشعب الفلسطيني وما رافقها من تعذيب وتشريد، ففي الصفحة الأولى يتطرق الكاتب عبد العزيز الرنتيسي في ذكرياته إلى دوافع الكتابة بطريق غير مباشر حيث يقول: "وأجدني مضطراً إلى العودة إلي أحداث من تلافيف الماضي البعيد التي حتماً ستسلط بعض الضوء على حجم الكارثة التي حاقت بالشعب الفلسطيني الذي لم يكن له ذنب إلا أنه شعب فلسطيني مسلم ، وقد غلف اليهود جرائمهم بحق شعبنا المعذب على أيديهم بغلاف توراتي أسطوري، ولقد حفرت بعض المآسي أخاديد عميقة في الذاكرة فلا يمكن نسيانها"[١]

وفي السيرة الذاتية للكاتب الحسنات: نلمح هذا البعد بين ثنايا حديثه منذ اللحظة الأولى التي انطلقت فيها الحافلات إلى الجنوب اللبناني وعرف هو وإخوانه أنهم يبعدون خارج الوطن، حيث ظهرت الكثير من معاني الحرية منها:

١. التصميم على العودة مهما كلفهم ذلك من تعب وجهد وألم وتضحيات.
٢. عدم إعطاء الفرصة للعدو كي يمارس سياسة الترحيل (الترانسفير).
٣. تحديد مطالبهم وإعلانها على الملأ.
٤. إرسال رسالة إلى العالم أجمع يحدد فيها المبعدون آراءهم ومطالبهم.
٥. إعطاء صورة حسنة للفلسطيني المبعد المطرود من بلده.

---

(١) الرنتيسي، عبد العزيز، مذكرات الشهيد عبد العزيز الرنتيسي، مصر القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٤م، ٢٩

وبالرغم من أنني حاولت أن أقسم السير المنتقاة (موضوع البحث) إلى أنواع إلا أن هذا التقسيم افتراضيًا؛ لأن السيرة الواحدة ممكن أن تعبر عن أكثر من بعد، فسيرة علي الطنطاوي على سبيل المثال تجمع ما بين البعد التاريخي وبين البعد التربوي وبعد الحرية.

كما أن كل السير المنتقاة للبحث لا تخلو من البعد الأخلاقي، وهذا ما لاحظته أثناء قراءة تلك المذكرات.

ثانيًا: شروط السيرة الذاتية

وضع المختصون شروطاً للنصوص حتى تحسب ضمن إطار السيرة، بعضها شروطا عامة قد تنطبق على السيرة الذاتية والغيرية والبعض الآخر يعد محدداً من محددات السيرة الذاتية يجب أن يلتزم بها الكاتب.

الشروط العامة

الشروط العامة هي الشروط التي تنطبق على السيرة الذاتية والسيرة الغيرية، ومنها:

١. الالمام بكل الحقائق المتعلقة بالمترجم له:

يجب على الكاتب أن يجمع كل الأخبار الخاصة بالمترجم له، والأحداث العامة التي أثرت عليه، ويؤكد عز الدين إسماعيل على ذلك بقوله:"من واجب كاتب السيرة أن يلم بكل الحقائق التي لها صلة مباشرة ببطله، وبالأحداث والمواقف التي كان لها تأثير مباشر في حياته، وعلى هذا الأساس لا يحق له أن يهمل أي مصدر يمكن أن يمدّه بشيء من هذا، ألا يحدث في كثير من الأحيان أن يمدنا شاهد لم نتوقعه ولم نحسب له حساباً بمادة طريفة تلقي ضوءاً مباشراً على الشخصية موضوع دراستنا"[١]

٢. عدم تحيز الكاتب:

يجب على الكاتب ألا يتحامل على المترجم له أو يجامله فيما يكتب، بل يجب أن يكون موضوعياً؛ لأنَّ الحقيقة العلمية تضيع متى تحيَّز المؤرخ أو تحامل أو جامل،.وبالرغم من أن محمد عبد الغني حسن يؤكد ذلك إلا أنه يستدرك بقوله:"ومن الصعب على المترجم المنصف النزيه أن يجرد نفسه تماماً من عوامل التحيز ، والتجرد، والهوى، وهي آفة المرء دائماً فيما يأتي أو يدع ، وقد يكون السبب أن يكون المترجم له من أهل عصره، فتعصف الغيرة بالنفس ويؤدي ذلك إلى الوقوع في تلك الآفة، لذلك فلو أن السخاوي المؤرخ المترجم الرجل بعد عن التحامل على رجال عصره لكان مثالاً لكتاب التراجم"[٢]، فالعامل النفسي له دور كبير عند الكاتب وتحديداً في صدق ما يكتب.

---

(١) إسماعيل، عز الدين، الأدب وفنونه دراسة ونقد، ط٧، ١٩٧٨، دار الفكر العربي، ٢٨١

(٢) انظر، حسن، التراجم والسير، ٨٤

وهذا الشرط ينطبق على السير الغيرية أكثر من السير الذاتية، وإن كان مطلوباً في السيرة الذاتية، ويرجع السبب في ذلك إلى أن الكاتب الذي يكتب لغيره يمكن أن يكون موضوعياً إذا راعى الصدق والأمانة، واعتمد على الوثائق الصحيحة في كتابته، أما كاتب السيرة الذاتية فغالباً ما يتحيز لنفسه ويصعب عليه أن يكون موضوعياً؛ لأنه يشرح الأمور من وجهة نظره الشخصية، ولكن هذا لا ينطبق على كل ما يرد في سيرته الخاصة من الأمور العامة التي يتفق معه آخرون عليها.

٣. أن يلتزم الكاتب الصدق فيما يكتب:

يعتبر الصدق شرطاً أساسيًا في السير بشكلٍ عام ولكن هذا الشرط له أهمية خاصة في السير الذاتية ؛ لأن المختصين يعتبرونه مهمًا في اعتبار النص الادبي سيرة ذاتية أم لا؟.يقول يحيى عبد الدايم :" وكاتب الترجمة حريص على تحري الحقيقة المصورة لما مضى من حياته، ينقلها مما تجمع لديه من يوميات ورسائل أو مدونات وما تسعفه به الذاكرة، وكلها تعينه على تمثل الحقيقة الماضية المتعلقة بحياته تمثلاً قوياً"[١].وسنتعرض لهذا الجانب بالتفصيل عند الحديث عن السيرة الذاتية بين الحقيقة والخيال.

ومن كتاب الأدب الإسلامي الذين أعلنوا عن التزامهم الصراحة في نصوصهم، عمر التلمساني وهو يرى أن كاتب السيرة يجب أن يكون صريحاً صادقاً حيث يقول في إطار حديثه عن أسباب كتابة سيرته: "ومن الأسباب أنني أحببت أن أعلن عن حقيقتي في مختلف مراحل حياتي كما جاء في الذكريات وأثبته هنا للتأكيد والتذكير، ولم أخف شيئاً إذ ليس في حياتي ما أخجل من ذكره وطرحه على الناصية، وإن خالفني البعض في هذا بحجة أن هذا يليق وهذا لا يليق؟ والأمر في نظري ليس لياقة ولكنه أمر الصراحة التي يجب أن يتسم بها كل من تعرض لهذا الأمر حتى يعرف الناس ما لم يكونوا يعرفون..."[٢].والأمور التي يقصدها الذهاب إلى السينما، والرقص الإفرنجي، والعزف الموسيقي. وفي حديث زينب الغزالي في سيرتها (أيام من حياتي) عن الإخوان، يظهر الصدق جلياً على صفحات كتابها فهي تقر أن بعض الإخوان خانوا الأمانة تحت تهديد التعذيب: "وجاء على عشماوي.. كان علي عشماوي يلبس بيجامة من الحرير المهفهف نظيفة، أنيقة، شعره ممشط لا يبدو عليه أثر التعذيب فلما رأيته واستعرضت في ذهني حالة الآخرين، وحالتي علمت بل تيقنت أن هذا المخلوق خان أمانة الله، وشهد على إخوانه زوراً فهوى في مهاوي الفساد الفجار الظالمين، وأصبح من رجال شمس بدران وذنباً من أذناب جمال عبد الناصر الذين

(١) عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ١٣٧

(٢) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٥،٤

لا يعرفون قيماً ولا أخلاقاً ولا ديناً"[١]

كما يرى البعض أن من ضمن الشروط العامة أن تكتب السيرة في مرحلة متأخرة من مراحل عمر صاحبها، حتى لا يفوت الكاتب التجارب المكثفة والهامة من حياته.

أما بالنسبة للشروط التي تعتبر شروطًا خاصة بالسير الذاتية فهي ما سبق ذكره، أي الموضوعية والصدق وكتابة جميع الأخبار المؤثرة في صاحب السيرة إضافة إلى ما يلي:

- التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية الرئيسة.
- التركيز على الحياة الشخصية للفرد
- أن تكون الشخصية الرئيسة في بؤرة الأحداث.

ولقد تحدثنا عن ذلك بالتفصيل في الفصل الأول.

الشروط الفنية

أما بالنسبة **للشروط الفنية** التي ينبغي أن تتحقق في السيرة فقد حددها يحيى عبد الدايم فقال: "والترجمة الذاتية تعتمد شأنها في ذلك شأن الترجمة العامة على وحدة البناء وتطور الشخصية وقوة الصراع، وكلاهما يعتمد على الحقيقة التاريخية والسرد الأدبي، وهم أقرب صلة بالإنسان"[٢]

إذن وحدة البناء، وتطور الشخصية، وقوة الصراع، والطريقة أو الأسلوب، وتطابق السارد مع الشخصية الرئيسة.هي الشروط الفنية وسنتحدث عن كل شرط من هذه الشروط على حدة:

١- وحدة البناء

وتعني أن يكون لها بناء واضح مرسوم بحيث لا تكون سرداً للوقائع، وتأتي في النهاية ذكريات متناثرة وأوصالاً ممزقة، "إن السيرة فن لا بمقدار صلتها بالخيال وإنما لأنها تقوم على خطة أو رسم أو بناء، وعلى ذلك فهي ليست من الأدب المستمد من الخيال، بل هي أدب تفسيري، وهذا النوع من الأدب كالأدب الذي يخلق خلقاً"[٣]، ويتفق عبد الدايم مع إحسان عباس في ذلك كما ذكرنا سابقاً، إلا أنه يختلف معه في نوع القالب التي تُصبُّ فيه السيرة الذاتية، حيث يحدد عبد الدايم ثلاثة قوالب للسيرة الذاتية بقوله:"الترجمة الذاتية على نحو ما رأينا تتخذ من حيث الشكل ثلاثة قوالب،

---

(١) الغزالي، أيام من حياتي، ١٣٨

(٢) عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي، ٢٦

(٣) عباس، فن السيرة، ٩٠

قالب روائي، وقالب تفسيري، وقالب يجمع بين التحليل والتصوير" بينما يحدد إحسان عباس قالبًا واحدًا هو التفسيري.

ويختلف البناء من كاتب لآخر "فليس عند بوزول مثلاً تقسيمات موضوعية كما أن كتاباً آخرين قد يقسمون حياة البطل إلى مراحل: أولى وثانية وثالثة الخ...وآخرون يخرجون عن هذا النوع التقليدي كما صنع جرارد ولتر في سيرة قيصر، وموروا في سيرة شللي، وقد افتتح نعيمة كتابه بتصوير جبران على فراش الموت أي بدأ بالنهاية"(١)

ولو تأملنا بعض السير الأدبية الإسلامية نجد أن زينب الغزالي مثلاً بدأت قصتها بحادث سيارة، ولو نظرنا للتوقيت الزمني نجد أن تلك الحادثة كانت في منتصف أحداث القصة ولكن بدأت بها الكاتبة نظراً لأهميتها بالنسبة لها خاصة أن سيرتها تتعرض إلى جزء من حياتها لا يتعدى سنوات معدودة ، وهي السنوات التي قضتها في زنازين المعتقل.

أما القرضاوي فقد رسم لسيرته بناءً يعتمد على التسلسل الزمني لمراحل حياته، بينما التزم الرنتيسي بنمط مختلف حيث بنى سيرته على الأحداث العامة المؤثرة في حياته، وأيٍّ كان البناء الذي رسمه الكاتب فقد كان بناءاً واحدًا التزم به .

٢- تطور الشخصية:

أي أن تكون الشخصية المركزية شخصية نامية متطورة تبعاً لتطور حياته وتقدمه في العمر. ولا بد أن يكون الشخص كاتب السيرة مميزاً "وإذا كانت السيرة عامة تتطلب لرواجها أن يكون بطلها شخصاً ذا تميز واضح في ناحية من النواحي، فإن هذا الشرط أساسي في السيرة الذاتية بخاصة، إذ لا بد لشمول الرغبة فيها أن يكون صاحبها ذا صلة دقيقة بأحداث كبرى أو أن يكون ممن لهم مشاركة في بعض تلك الأحداث"(٢). والشخص المميز هو الشخص التي تنمو شخصيته وتتطور بمرور الزمن وتقدم العمر حيث أنه يترك بصمة في كل مرحلة من مراحل عمره.

---

(١) عباس، فن السيرة، ٩٤

(٢) عباس، فن السيرة، ١٠٤

٣- قوة الصراع:

يثني إحسان عباس على سيرة جبران التي كتبها ميخائيل نعيمة بقوله:"فإن العناصر من صراع بين بطل السيرة والناس، وصراعه مع نفسه، والحرارة التي حاول أن يبعثها في الحوار، وذلك البناء الذي يتميز بقسط كبير من الأحكام"[١]، هي التي ميزت تلك السيرة ورفعت مقدارها بين سائر السير

٤- الطريقة أو الأسلوب المناسب:

من شروط السيرة الجيدة أن يكون لدى الكاتب القدرة على اختيار الطريقة أو الأسلوب الجيد في الكتابة، ويرى إحسان عباس أن ستراتشي أجاد عندما استخدم الطريقة الدرامية، في حين استخدم بوزول الطريقة الحكائية السردية بينما استخدم نعيمة طريقة الشرح والتفسير في سيرة جبران، وقد يجمع الكاتب بين أكثر من طريقة فيما يكتب، ويؤكد على أن الأسلوب الأدبي للكاتب عنصر هام في كتابة السيرة؛ لأن هذا الأسلوب هو الذي يميز كاتب عن آخر"١

٥- تطابق السارد مع الشخصية الرئيسة:

يعتبر هذا الشرط أهم شرط من شروط السيرة الذاتية، و"غالباً ما يتحدد تطابق السارد مع الشخصية الرئيسة الذي تفترضه السيرة الذاتية من خلال استعمال ضمير المتكلم، وهو ما يطلق عليه جيرارد جينيت (السرد القصصي الذاتي) أثناء تصنيفه لأصوات الحكي وهو تصنيف أقامه من أعمال تخيلية"[٢]. كما لا بد أن يتطابق السارد والشخصية الرئيسة مع المؤلف كما ذكرنا سابقاً في الفصل الأول، ويؤكد لوجون على ضمير المتكلم بالرغم من أن بعض السير الذاتية ظهرت بضمير الغائب ونظراً للتوافق الشديد بين المؤلف والسيرة المكتوبة استطاع القارئ أن يميز ذلك كما حدث في قصة الأيام لطه حسين.

وترى ريم العيساوي أن العنوان له مدلول في السير حيث تقول: "من الخصائص الفنية لجنس الترجمة الذاتية أن يوحي العنوان بالمضمون وأن يكون دالاً على المحتوى، وأن كاتبها يروي قصة حياته"[٣]

---

(١) عباس، فن السيرة، ٩١

(٢) لوجون ، فيليب، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الادبي، ٢٤-٢٥

(٣) ريم العيساوي، فدوى طوقان، ١١

وفي سيرة الحسنات نجد أن الكاتب كتبها بصيغة المتكلم حيث يقول:"لقد كنت أشعر قبل الإبعاد بأن الإبعاد يوازي الموت في أثره، وكنت لا أتصور نفسي في حالة الإبعاد.. وما كانت أظن أنني سأبعد"[١]. والتاريخ يؤكد أن الإبعاد عن الوطن كان مرحلة مهمة من حياة الحسنات وإخوانه.

ويرى عز الدين إسماعيل أن السيرة الذاتية "شيء آخر غير الرواية التاريخية وإن غلب على طريقة بنائها الأسلوب القصصي، فمهمة كاتب الترجمة هي أن يصور لنا البطل وهو يستكشف الحياة شيئاً فشيئاً، كما يحدث في الواقع بالنسبة لكل فرد منا، ولا شك أن نظرتنا إلى الأمور تتطور وتتبلور خلال مراحل حياتنا المختلفة"[٢]، وفي هذه الكلمات نلمح شروطاً جديدة وضعها عز الدين إسماعيل وهي:

١. أن يصور الكاتب البطل في جميع مراحل حياته منذ طفولته التي يعي فيها ما حوله إلى شبابه ومن ثم رجولته وكهولته.
٢. أن تكون شخصية البطل متغيرة نظراً لاختلاف سني عمره.

وقد يضع الكاتب لنفسه شروطاً في مقدمة سيرته ويعد بالالتزام بها، ومن ذلك الشروط التي وضعها عمر التلمساني –رحمه الله– في سيرته(ذكريات لا مذكرات) حيث يقول:

١. **عدم التعرض للخلافات داخل الحركة:**"وعلى القارئ أن يلاحظ بدقة أنني لم أتعرض لخلافات أو غيرها حدثت داخل الجماعة، لأنها أمور وقعت وانقضت ولا مصلحة لأحد في نبشها وإخراجها من مثواها لتكون محل نقاش من جديد"[٣]
٢. **عرض منهاج الإخوان:** "هذه الذكريات منهاج إخواني، وجهاز إعلامي يستطيع القارئ معه أن يعرف الكثير مما لم يكن يعرفه عن الإخوان المسلمين ومدى نشاطهم وما إذا كان لهم منهاج"[٤]
٣. **عدم التعرض للشخصيات:** "كما حرصت على البعد عن الشخصيات كي لا أدخل في نقاش مع أحد في مسائل لا جدوى من ورائها على أي حال"[٥]

---

(١) الحسنات، حماد، ذكريات مرج الزهور، ٥
(٢) اسماعيل، الأدب وفنونه، ٢٨٤
(٣) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٥
(٤) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٥
(٥) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٦

والجدير بالذكر أن تلك الشروط التي وضعها التلمساني والتزم بها، هي شروط خاصة بالحياة العامة وبالتاريخ العام لجماعة الإخوان المسلمين، أما بالنسبة لحياته الخاصة فقد سرد كل ما تذكره من مواقف حتى تلك التي كانت لا تعجب إخوانه، ومنها صلاته في السينما: "وكنت أنتهز فرصة الاستراحة (الانتراكت) لأصلى الظهر والعصر مجموعين مقصورين في أحد أركان السينما التي أكون فيها"[١]

كان التلمساني واضحاً في حياته لا يخفي شيئاً على الآخرين فبرغم معارضة من حوله ذهابه إلى السينما إلا أنه يقول: "فإذا تعجب الحاضرون أو غضبوا، فإنَّ ردّي الوحيد الدائم "أن الله يعلم إلى أين أذهب فكيف لا أخشى الله ثم أخشى الناس، والله أحق أن أخشاه"[٢]

(١) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ١٣

(٢) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ١٣

ثالثًا: السيرة الذاتية بين الحقيقة والخيال

إن السيرة الذاتية تعبير عن الحياة الداخلية والخارجية للإنسان فهل ما يوجد في السير الذاتية من أخبار حقيقي، يرى عبد الدايم أنه "إذا أراد الإنسان أن ينقل إلينا تجارب حياته الماضية فلا سبيل أمامه، إلا أن يضع قيوداً لهذه التجارب، ويرسم لها إطاراً يعيد بناءها عن طريق (عمليات التذكر المركزي)، وفي هذه الحالة تصبح الاستعانة بالخيال أمراً ضرورياً للاستعادة الصحيحة؛ لأن رواية الحقيقة الخالصة عن الإنسان، أمر بعيد عن التحقق بل هو أمر يكاد أن يكون مستحيلاً مهما حرص كاتب الترجمة الذاتية على التزام الحقيقة فيما يكتبه عن نفسه"[١]

ولكن لا بد للكاتب أن يحاول بكل جهده أن يضع الحقائق بين عيني القارئ وألا يسبح بخياله بعيداً، إلا أن الصدق المطلق لا يمكن تحقيقه في السيرة لأن الإنسان لا يستطيع أن يعرف نفسه معرفة تامة، ثم أن هناك حوائل أخرى تحول دون تحقق الصدق ومنها:

١ – النسيان:

فالنسيان الطبيعي أمر يشترك فيه الناس جميعاً، فنحن ننسى أحداث الماضي البعيد، ولا نذكر منها إلا ما ترسب في نفوسنا لأهميته الخاصة، وليس ذلك يتعلق بنسيان أحداث الطفولة فحسب، بل إن الإنسان قد ينسى أحداثاً في شبابه وكهولته بل إنه قد ينسى أحداثاً قريبة قد سببت له ألماً.

وقد ذكر عبد الدايم "الإعياء الطبيعي أو النسيان الطبيعي كحوائل دون نقل الحقيقة الخالصة"[٢]

ولقد أكد التلمساني ذلك في ذكرياته، حيث يقول: "مطالبتي من كل قارئ أن يبادر إلى تصحيح ما يراه من وقائع خاطئة سببها اعتمادي – بعد الله طبعاً على ذاكرتي والذاكرة كثيراً ما تنسى..."[٣]، الطنطاوي أيضاً يؤكد على ذلك بقوله:"لذلك لم أجد شيئاً مكتوباً أرجع إليه عند تدوين الذكريات وأعتمد عليه، وما استودعت الذاكرة ضعفت الذاكرة عن حفظه وعجزت عن تذكره؛ لذلك أجلت وماطلت وحاولت الهرب من غير إبداء السبب، وهو يحاصرني(يقصد زهير الأيوبي) ويسد

---

(١) عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي، ٦

(٢) عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي، ٧

(٣) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٥،٤

المهارب علي ويمسك بأدبه ولطفه وحسن مدخله، يمسك بلساني عن التصريح بالرفض"[١]ويضم يوسف القرضاوي رأيه إلى رأيهما بقوله:"وعلى هذا الأساس سأعتمد فيما أكتب على ذاكرتي لا على مذكراتي، فلست مثل أبي الحسن الندوي الذي كان يسجل كل فقرة من حياته ثم جمعها بعد ذلك وأضاف إليها في (مسيرة الحياة) في ثلاثة أجزاء، وإذا كانت الذاكرة هي المصدر الأول فالذاكرة قد تخون الإنسان، والحزم أن يدع الإنسان ما لا يستيقنه مائة في المائة"[٢]

٢-التشويه المتعمد:

وهناك أيضاً نسيان متعمد من خلال إخفاء الحقيقة أو إخفاء جزء منها لأي سبب من الأسباب، ويقصد إليه الكاتب تحقيقاً لغاية يريدها، ويحدث ذلك عندما يختار الوقائع والأحداث المهمة المميزة من حياته التي تعطي القارئ انطباعاً بأنه رجل عظيم بدون أن يتطرق إلى تلك الأحداث التي تعكر صفو تلك الصورة التي رسمها عن نفسه، وهذا ما سمَّاه عبد الدايم التزييف والتمويه.

ويقول عز الدين إسماعيل:"يستطيع كاتب الترجمة أن يتجنب من الوقائع القديمة ما لا يرضى عنه، بخاصة تلك الوقائع التي لا يعرفها أو لم يعرفها أحد سواه، ومن ثمَّ يحتاج كاتب الترجمة الذاتية لكثير من الصراحة وقبل ذلك يحتاج هو في حياته لكثير من الشجاعة، لكي يثبت الوقائع التي لا يرضى عنها، وأغلب ما يكون ذلك متعلقاً بحياته العاطفية والجنسية-ويضيف أيضاً-

يضاف إلى هذا أنه مهما بلغت صراحة كاتب السيرة الذاتية وشجاعته فإن غالباً ما يحرص على أن يقدم صورة متناسقة لحياته من أولها إلى آخرها، وهو لذلك قد يتجنب تلك الوقائع التي قد تبرز نوعاً من التناقض في شخصيته ثم يعترف بصعوبة الصدق فيها بقوله:

وكل هذه العوامل تجعل الترجمة الذاتية شاقة على نفس صاحبها وقليلون أولئك الذين استطاعوا أن يكونوا صادقين مع أنفسهم في ترجمتهم لذواتهم، ويرى أيضاً من عوامل تشويه الحقيقة: أن الحياة نسيج صُنعت خيوطه من حقيقة وخيال، وحياتنا وأفكارنا تصنع بعض أجزائها من

---

(١) الطنطاوي، علي، ذكريات،ج١ ، ١٤

(٢) القرضاوي، يوسف، ابن القرية والكتاب، ج١، ٩

وحي الخيال، والحقيقة المجردة شأنها في هذا السبيل شأن الخيال الميت، كلاهما يختفي من الترجمة الذاتية[١].

كما أنه يذكر عوامل أخرى لتشويه الحقيقة التزييف والتمويه حين يعمد كاتب الترجمة إلى إخفاء ذاته أو إلى العجب بها، ليرسم لنفسه إحدى الصورتين المتواضعة المنكرة للذات، أو المزهوة المعجبة المغالية في تجميل الأنا"[٢]، لذلك فإنني أرى أن شوقي العاملي على حق عندما أيّد لويردج في قوله "وكان لويردج على جانب كبير من الصواب حين قال إن أية حياة مهما كانت تافهة ستكون ممتعة إذا دونت بصدق"[٣]

وقد يستطيع الإنسان أن يقول الصدق في سيرته، ولكنه لا يستطيع أن يقول كل الحق" لذلك فعبد الدايم يقول: "فالصدق المحض في الترجمة الذاتية –رغم أنها أصدق الفنون الأدبية تصويراً للإنسان– هو مجرد محاولة، وهو صدق نسبي، وليس شيئاً محققاً"[٤]

والجدير بالذكر أن ما يحتمه الفن على الكاتب من الاستعانة بشيء من الخيال؛ ليقدم صورة جميلة عن حياته تسعد القارئ وتجذبه هذا يؤدي غالباً إلى ابتعاده عن الصدق المحض.

إذاً "فليس هناك سيرة تمثل الصدق الخالص، ولذلك كان غوته محقاً– كما قال موروا– حين سمىّ سيرته. "الشعر والحقيقة" إشارة منه إلى أن حياة كل فرد إنما هي مزيج من الحقيقة والخيال"[٥]

ويظهر الصدق في أعلى درجاته عند المؤلفين الرنتيسي والحسنات في إطار حديثهم عن إصرارهم على عدم دخول الأرض اللبنانية أو أي بلد أخرى في السير : "إننا لا نريد من دولة لبنان أن تسمح لنا أو حتى لأحدنا بدخول أراضيها كما لا نريد من أي دولة عربية أن تسمح لنا بدخول أراضيها كذلك. وهذا الأمر نريد تبليغه فورًا للحكومة اللبنانية"[٦]

وفعلاً هذا الموقف كان صادقاً، أيده واقع حالهم حيث مكثوا في العراء سنة كاملة عانوا فيها أقسى الظروف حتى انتصرت إرادتهم وصدق إصرارهم وعادوا إلى حضن وطنهم .

---

(١) انظر،عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي، ٦–٧

(٢) عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي، ٧

(٣) العاملي، شوقي، دراسة في فنون الأدب،القاهرة،من منشورات جامعة عين شمس، ١٢٤

(٤) عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي، ٦

(٥) شرف، أدب السيرة الذاتية، ٢٢

(٦) الحسنات، ذكريات مرج الزهور، ٧–٨

الفصل الثالث:
أشكال السيرة الذاتية

- سيرة الصراع الفكري والروحي
- السير الإخبارية
- سيرة المغامرات

أشكال السيرة الذاتية

للسيرة الذاتية أشكال مختلفة، يمكن أن تكون صراعاً فكرياً وروحياً، كما يمكن أن تأتي على هيئة المغامرات، ويمكن أن تكون السيرة إخبارية تنقل إلينا الأخبار العامة والخاصة، وفي الصفحات التالية سنتحدث عن كل شكلٍ منها بالتفصيل.

أولًا: سيرة الصراع الفكري والروحي:

تعتبر سيرة سيد قطب من نوع سيرة الصراع الروحي، فقد نقل لنا أخباراً عن القرية، وصوراً متعددة عن الأوضاع المختلفة في القرية، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والدينية وسلط الضوء على الصراع النفسي الذي شعر به، فهو بين مرتبطٍ بهذه القرية التي تعتبر مسقط رأسه ومقر أهله وأحبائه ونافرٍ منها؛ لأنها أيضاً مكان التأخر الحضاري والانحراف الفكري والعقائدي.

ويهدف من عرض تلك الأخبار والصور إلى حسم الصراع لمصلحة التقدم الحضاري والعلم على حساب الجهل والفقر، يقول في مقدمته:-

"هذه صور من حياة القرية التي عاصرت طفولتي منذ ربع قرن من الزمان، لم أنمق فيها شيئا، ولم أصنع أكثر من نقلها من صفحة الذاكرة إلى صفحة القرطاس، قليل من هذه الصور قد زال الآن وحلت محله صور جديدة.. وفي تسجيله هنا احتفاظ بصفحات من الحياة القومية والتاريخ الحديث في سجل الفنون. والكثير منها لا يزال يعيش ولكن أهل المدينة المترفين لا يكادون يتصورونه، لا في عالم الواقع ولا في عالم الخيال. وفي تسجيله هنا ما يطلع الجيل الجديد على صور من الريف القومي بخيرها وشرها ولعل لهم رأياً فيما ينبغي أن يبقى منها وما ينبغي أن يزول!"[1].

ويتعرض سيد قطب للصراع في القرية بشتى أشكاله، كالصراع النفسي الداخلي، والصراع الخارجي بجميع أنواعه، مثل الصراع بين العلم والجهل، والصراع الاجتماعي، والصراع السياسي.

١-سيرة الصراع النفسي الداخلي:

ينقل لنا سيد قطب الصراع النفسي الذي اشتعل في قلب الطفل الصغير وفكره ووجدانه عندما تحدث عن الخلل الفكري والعقائدي الذي سيطر على القرية في ذلك الوقت، فالصراع عنده يدور حول الأولياء الصالحين في القرية ودور (الشربة) التي يتناولونها في تغيير سلوكهم

(١) قطب ، سيد، طفل من القرية، منشورات الجمل، كولونيا ألمانيا، ط١، ١٤٢٩ هـ، ١

فتخرجهم عن عقولهم فيصبحون كأنما أصابهم مس من الشيطان، يقول الكاتب: "ولكن هذا الرجل "الشيخ النقيب" ما بال "الشربة" تخليه هكذا شيطاناً مشرداً مروعاً مسلوب الرشد شارد النظرات، غريب الأطوار؟ "[١]فكل ذلك يدور في عقله، فهو من ناحية مندهش من أثر الممارسات التي يقوم بها من يدعي أنه من الأولياء الصالحين وفي نفس الوقت مندهش من إدعائهم نفسه فكيف يكون ولياً لله ويتصرف هذه التصرفات المشينة فهو إنسان ملابسه قذرة ويتمرغ في الوحل، يمزق ثيابه، ويطلق الصرخات من حين لآخر.

هذا كله جعل الصراع الفكري يصل إلى ذروته مع هذا الطفل الصغير حيث أن "ألف تفسير وتفسير لم تكن كافية لبعث الطمأنينة في قلبه"[٢].

ويتطرق سيد قطب للصراع النفسي في نهاية قصته، عندما حان موعد سفره إلى القاهرة لمواصلة تعليمه، حيث يعبر عما دار في خلده بقوله: "كان الفتي مختلط الأحاسيس، موزع النفس، شارد الفكر، لا يدري أهو مستبشر بالسفر إلى القاهرة التي يحلم بها سنوات، أم هو آسّ على فراق عالمه الذي صاحبه سنوات..."[٣]

٢-الصراع الخارجي:

يتحدث سيد قطب عن صراعات خارجية متعددة في القرية:-

أ- **الصراع في مجال التعليم:** فالصراع بين المدرسة والكتاب ومن يقوم عليهما، وكل طرف يريد أن يجذب إليه تلاميذ القرية إلا أن الصراع حُسم في النهاية لصالح المدرسة، ولسيد قطب دور في دعم المدرسة وحسم الصراع حتى أنه واظب على حفظ القرآن، ودخل مسابقة باسم المدرسة لينافس طلاب الكتاب حيث كانت تعقد المسابقات أو ما يسمى بـ (النقاوة) وهي مباراة في حفظ آيات متفرقة من القرآن الكريم.

والجهل المنتشر في القرية كان سببًا في الصراع الذي يدور بين أصحاب البعثة الطبية الحكومية لتطعيم أهل القرية ضد الأمراض وبين أهل القرية نساءً ورجالاً، وها هو يبرز ذلك بقوله:-

---

(١) قطب، طفل من القرية، ٢

(٢) قطب، طفل من القرية، ، ٣

(٣) قطب،طفل من القرية، ١٠٢

"وما أن يعلن أن في البلد (الحكيم الصغير) تمييزاً له عن الحكيم الكبير الذي يطلبهم الآن والذي يرافق النيابة دائماً ولا يحضر منفرداً – ما أن يعلن هذا في القرية حتى ترتج وترتجف، فتخرج الأمهات إلى الشوارع مولولات مذعورات. يلتقطن أطفالهن من كل مكان في ذعر وعجلة ثم يغلقن على أنفسهن الأبواب، ويصعدن إلى السطوح استعداداً للقفز عليها من بيت إلى بيت. فكثيراً ما يدق هؤلاء الشياطين الأبواب ويكسرونها بمساعدة الخفراء، ويهجمون على من فيها للتجريح"

وكان الصراع يحسم لصالح البعثة الطبية طبعاً ولكن بعد أن يمر يوماً مشهوداً على القرية، والمقصود بالشياطين أفراد البعثة الطبية والتجريح هو التطعيم.

ب- **الصراع الاجتماعي:** ويتطرق سيد قطب إلى نوع من أنواع الصراع السبب الرئيسي فيه هو الوضع الاجتماعي في القرية، ويتمثل ذلك في سيطرة الرجل على أهل بيته (زوجته وأولاده وزوجات أولاده) وبالتالي هو الوحيد القادر على التصرف في كل شيء، وفي يده كل الأموال والممتلكات، وهذا دفع أهل البيت إلى السرقة –حسب رأيه–وربما يكون السارق الابن أو الزوجة أو زوجة الابن أو الخادمة، مما يدفعهم إلى البحث عن السارق ثم يلجئون إلى الأولياء الذين يستخدمون الفنجان والمندل أو الحلف على كتاب البخاري لتحديد السارق"[١] وهذا الصراع يحسم دائمًا لصالح الرجل المسيطر على البيت.

ت- **الصراع السياسي:**يتعرض الكاتب أيضًا إلى الصراع الذي يكون سببه سياسياً أي الصراع بين أهل القرية والحكومة ويقع ذلك في مواسم جمع الأسلحة.

يوضح سيد قطب ذلك بقوله: "صحت القرية مروعة على صهيل الخيل وقعقعة السلاح، وخطوات الجند الثقيلة، يأخذون مشارفها جميعاً إلى الحقول ويجوسون خلالها في جلبة وضوضاء على غير عادة لها من زيارة الجند في مثل هذا العدد وذلك الضجيج، وكان أول من كشف الخبر أولئك الذي تقتضيهم أعمالهم أن ينهضوا مع الفجر مبكرين ليغادروا القرية جميعا فأوثقوهم بالحبال والسلاسل، وجعلوهم عندهم رهينة حتى لا يعودوا فينبئوا القرية النبأ"[٢]

والصراع ينتهي كالعادة لصالح الحكومة وبجمع السلاح من القرية.

---

(١) انظر سيد قطب، ص٦٢-٦٤

(٢) قطب، طفل من القرية، ٧٨

سيرة أحمد ديدات سيطر عليها الصراع الديني الخارجي حيث ظهر فيه الصراع الفكري الذي يتم بين أحمد ديدات ومجموعة الدعاة إلى الإسلام في المركز الدولي للدعوة الإسلامية بمدينة (ديربان) بجنوب أفريقيا من ناحية، وبين الدعاة المبشرين للمسيحية –في نفس المدينة– في موقع إرسالية آدمز ميشين (كلية آدامز) من ناحية أخرى.

وفي السيرة يوضح ما كان يقوم به المبشرين بالمسيحية في مدن المسلمين في أفريقيا والمتمثل في محاولة تنصيرهم من خلال مناقشتهم في الدين الإسلامي، ومحاولة زرع الشك في أذهانهم في قضايا محددة دُربوا عليها وهي:–

١– تعدد الزوجات في الإسلام وزواج سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لعدد كبير من النساء.
٢– نشر الدين الإسلامي بحد السيف.
٣– نقل القرآن عن اليهود والنصارى[١].

ووضح الدور الذي لعبه من أجل الدفاع عن الإسلام، حيث لم يستطع أن يرد عليهم في البداية أو أن يواجه الحجة بالحجة والمنطق والبرهان وعن ذلك يقول موضحاً الصراع النفسي الذي شعر به:–

"كان الموقف في غاية الصعوبة بالنسبة لي: ماذا أفعل كمسلم؟ هل أرد على الهجوم؟ ولكن كيف ذلك؟ وليس لدي من العلم والمعرفة ما أرد به .. وهل أهرب من المكان؟ .. والحصول على عمل في تلك الأيام كان أمراً عسيراً"[٢].ولكنه بالرغم من ذلك استطاع تربية جيل قوي من الدعاة الذين يناظرون المبشرين المسيحيين بالعقل والمنطق.

والصراع لم يحسم بعد في جنوب أفريقيا فما زال المبشرون يقومون بعملهم، وما زال المركز الإسلامي يعمل ليلاً ونهارًا في تخريج الدعاة القادرين على مناهضة الداعين إلى النصرانية بالحجة والبرهان، يقوم المركز بذلك معتمدًا على موقفٍ حدده ديدات بقوله: "إنه أحد موقفين: إما أن نجتهد وأن ندعو الناس إلى الإسلام وأن نتمسك بإسلامنا، أو نقف مكتوفي الأيدي كما هو الآن ليحولونا إلى النصرانية ونحن أصحاب الحق والدين الذي يجب أن يظهر وينتشر والذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فإذا قصرنا في ذلك فإن الله قد توعدنا بأنه سيبدلنا بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، فقد تركنا المجال للدعوات النصرانية وغيرها تنتشر

(١)انظر، ديدات، هذه حياتي سيرتي ومسيرتي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، ١٩٩٨م، ١٣–١٤
(٢) ديدات،هذه حياتي، ١٤

بكل أساليب الدعاية والإعلام واستغلال إمكانات الصحافة والإذاعة والتلفزيون وغيرها، ولهذا يجب أن نغير هذا الواقع وندافع عن ديننا وأن ننشره بذكاء وحكمة"[١].

سيرة مصطفى محمود سيطر عليها الصراع الفكري الداخلي فهو يفكر في هذا الكون الواسع وهل له صانع؟ويفكر في خالق الكون من هو؟ وكيف خلق الكون؟

ويبدأ رحلته في التفكر والتأمل في كل شيء يقابله في الشجر والحجر، في العلم والجسم والكون والحياة، ثم يحسم الصراع في النهاية بقوله: "ينسى الإنسان في هذا التيه الذي أضاع فيه عمره أنه أخطأ منذ البداية حينما تصور أن هذا العالم بلا إله، وأنه قذف به إلى الدنيا بلا نواميس تحفظه وبلا رب يسأله، وأخطأ مرة أخرى حينما عبد القوة المادية، وجعل منها مصدراً لسعادته وأمنه وهدماً لحياته وغاية لسعيه، أقامها مكان الله، وتصور أنها يمكن أن تمنحه الأمن والسكينة والاطمئنان المفتقد، وأنها يمكن أن تحفظه من الموت والعار، فإذا بها هي نفسها التي تسلبه سكينة النفس، ثم إذا بها في النهاية تصبح أدوات الحروب التي تدمره"[٢]

وإذا التفتنا إلى سيرة الطنطاوي الطويلة جداً نرى أنه قد ظهر فيها جميع أنواع الصراعات على الصعيد الشخصي والعام وعلى الصعيد الداخلي والخارجي.

من الصراعات الداخلية **صراعات داخل المؤسسات التعليمية:** يقول: "كانت لي مواقف وأنا معلم آذيت فيها الرؤساء بمخالفتهم، وآذوني في رزقي وفي وظيفتي بسلطانهم"[٣]، ونتيجة تلك الصراعات نقل الطنطاوي إلى مناطق نائية وإلى بلدان مجاورة كالعراق.

والطنطاوي كثيراً ما كان صاحب اليد في حسم الصراع، يقول موضحاً الحوار الذي دار بينه وبين وزير المعارف عندما استدعاه إلى مكتبه؛ لأنه كتب مقالة عنيفة جدًا انتقد فيها ابتعاث الطلاب إلى فرنسا للدراسات العليا: "ذهبت إليه، ولا أريد أن أسميه، قابلني بكبر، وهو قاعد في مكانه، وسلمت عليه فلم يرد السلام وتشاغل بأوراق أمامه، ثم رفع رأسه وقال لي: أنت ماذا تعمل؟ ما هو عملك؟ ... وقلت له: أنا وظيفتي معلم أعلم الصغار والكبار، أعلمك أنت قبل كل شيء أن تستقبل ضيوفك باحترام؛ لأن العربي يكرم ضيفه، وأن ترد السلام على من سلم عليك؛ لأن رد السلام واجب في دين الإسلام، قال لي : أنت تقول هذا الكلام؟ قلت: نعم وستقرؤه في الجريدة

---

(١) ديدات،هذه حياتي، ٨

(٢) محمود، مصطفى، رحلتي من الشك إلى الإيمان، دار المعارف، مصر، ١٩٧٦، ٩٨

(٣) على الطنطاوي، ج٣، ص١٩٨

وتسمعه من فوق المنبر. لما رأى هذه اللهجة وهذا الكلام قال: لماذا أنت على هذه الدرجة من العصبية؟ ثم لان وبدل أسلوبه معي وقال: أنتم هكذا معشر الشباب! وتكلم بأمثال هذا الكلام وطلب لي كوباً من الشاي وهددني بالنقل إلى دير الزور أو إلى الجزيرة. عندئذ كلمته وقلت: يا معالي الوزير، وأنا والله إذا ذهبت إلى الجزيرة لا أتبخر بشمسها ولا أذوب بمائها، وأبقى صامداً كما أنا الآن ولا أقول – إن شاء الله – إلا كلمة الحق"[1].

(١) الطنطاوي، ذكريات،ج٣ ، ٢٠١

ثانياً: السيرة الإخبارية

السيرة الذاتية الإخبارية التي تعنى بسرد الأخبار الحقيقية للشخص، وملابسات حياة صاحبها مما يعطي صورة واضحة عن صاحب السيرة؛ لأنها تشتمل على مادة غزيرة من المعلومات والأخبار والحوادث الصغيرة والكبيرة، ولو حاولنا تصنيف سيرة القرضاوي نجدها أقرب إلى النوع الإخباري فقد حاول القرضاوي جاهدًا جمع كل الأخبار الشخصية والعامة التي مر بها في جميع مراحل عمره.

فقد أخبرنا عن مولده وقريته التي ولد فيها وعن أهله ووالده وجده وأمه وأخواله، كما حدثنا عن أحوال قريته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

لم يغفل القرضاوي أي مرحلة من مراحله التعليمية بل تحدث بالتفصيل عن المدارس التي تعلم بها وعن أساتذته وبعض المواقف العامة في حياته الدراسية، ثم بعد ذلك أخبرنا عن حياته العملية وما واجه فيها من صعاب.

لذلك فإن سيرته سيرة إخبارية وإن تطرق إلى بعض الصراعات التي شهدها في حياته كالصراع بين جماعة الإخوان المسلمين وبين النظام الناصري.والصراع بينه وبين الحكومة.

وسيرة التلمساني يمكن أن نعتبرها سيرة إخبارية فقد نقل لنا بحكم موقعه كمرشد عام لجماعة الإخوان المسلمين أخباراً قد لا يعرفها البعض وفي نفس الوقت لم تنشر على وسائل الإعلام مثل تفاصيل قصة الخلاف بين عبد الناصر والإخوان المسلمين، ودور الإخوان في حرب فلسطين.

ولكنها أيضا سيرة صراع سياسي حيث أظهرت الصراع السياسي بين الإخوان المسلمين من ناحية وبين النظام الناصري كما أظهرت الخلاف بين الأحزاب السياسية في مصر[١]

قصدت زينب الغزالي من سيرتها (أيام من حياتي) أن تكون سيرة إخبارية؛ لأن الكاتبة أرادت أن تنقل لنا أخبارًا شكك كثيرون في مدى صحتها وهي لم تنقل الأخبار فحسب بل حاولت أن تصورها تصويراً فوتوغرافياً ففي مقدمة كتابها تقول:-

"وإيماناً منا بأن فترة سجننا وتعذيبنا هي من حق التاريخ، ومن حق الذين على الطريق أن يعوها ويدرسوها حتى يبقوا على طريق الجهاد ولا تتحول قضيتهم إلى سفسطة كلامية، وحديث ترف

(١) انظر ،التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٢٣

وقصة تاريخ إيماناً بهذا كله نزلت على رأي المخلصين من أبنائي وإخواني، واستعنت بالله سبحانه وتعالى في جمع ما احتوته ذاكرتي مما كان، وإن كان من الصعب أن يستعاد بوصفه ونمطه"[١].

ولكنها تعتبر سيرة صراع سياسي بين النظام المصري في ذلك الوقت متمثلاً في القائمين على السجون المصرية والقضاء كمنفذين، وفي جمال عبد الناصر الرئيس المصري شخصيًا، وبين الحركات الإسلامية متمثلاً ذلك في قيادات جماعة الأخوات المسلمات وجماعة الإخوان المسلمين، وتوضح الكاتبة بحكم موقعها كرئيسة لمركز جماعة الأخوات المسلمات مجموعة من محطات الصراع، بدءاً بالمضايقات ومروراً بحل مركز الأخوات ومصادرة جميع ممتلكاته ونهاية بسجن رئيسة المركز وتعذيبها ومحاكمتها.

تقول زينب الغزالي موضحةً طرفاً من المضايقات التي تعرضت لها: "اقتحم زبانية الطاغوت دار المركز العام لجماعة السيدات المسلمات، واستولوا على محتوياته، وشردوا مائة وعشرين فتاة وطفلة يتيمات كانت جماعة السيدات المسلمات تؤويهن، وتكفل جميع احتياجاتهن من إيواء وتعليم بكل مراحله من الروضة إلى الجامعة"[٢].

تعتبر سيرة نجيب الكيلاني من النوع الإخباري حيث يحاول الكاتب جاهداً أن يرصد كل الأحداث المهمة التي عايشها، يقول معبراً عن ذلك في مقدمة الجزء الأول:"تلك مقدمة لابد منها قبل ان نبدأ في اصطياد (لمحات) من حياة مسلم ..فلاح..طالب علم..طبيب.. سجين..مهاجر.. صديق القلم..عاش في الثلثين الأخيرين من القرن العشرين الميلادي.. وليس لهذه اللمحات قيمة سوى أنها من (شاهد) على عصره { وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ }البقرة٢٨٣"[٣] ويقول أيضاً في مقدمة الجزء الثاني:"ولقد حاولت في هذا القسم من الكتاب أن أتعرض لقضية الإخوان المسلمين والثورة المصرية، من خلال ما عايشته بنفسي، دون أن أتحرج في ذكر مآخذ أو مثالب هنا وهناك، وليس من رأى كمن سمع...إن تجربة العمل الإسلامي يجب أن توضع أمام الأجيال بأساليب شتى، ومن مواقع مختلفة فليؤرخ القادة، وليكتب أفراد الجماهير في القاعدة، وليسجل العدو والصديق، فإن تلك المصادر سوف تثري البحث الجاد، وتصل بنا إلى الحقيقة..."[٤]

---

(١) الغزالي، أيام من حياتي، ٧

(٢) الغزالي،أيام من حياتي، ١٦

(٣) الكيلاني، نجيب، ذكريات نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ٦

(٤) الكيلاني، مذكرات،٨٥-٨٦

يهدف منير الغضبان في سيرته كشف المستور إلى تربية الجيل المسلم وتحويل أقاصيص حياته إلى دروساً مستفادة، لذلك فقد جاءت سيرته إخبارية تشتمل على الكثير من القصص الحياتية الملتصقة بالكاتب إضافة إلى بعض الحكايات العامة والتاريخ الحديث في سوريا وعلى وجه الخصوص تاريخ جماعة الإخوان المسلمين في سوريا.

ثالثاً: سيرة مغامرات

تعتبر سيرة عبد العزيز الرنتيسي من نوع المغامرات، فقد غامر بوظيفته كطبيب عندما حمل الراية وقارع الاحتلال للمطالبة بحقوق زملائه الأطباء. هذه الحرب أشبه بمغامرة؛ لأنها صراعاً بين طرفين غير متكافئين.وفي نفس الوقت كلها صراعات سياسية مع المحتل.

وتعتبر أيضاً صراعاً مستمراً مع الاحتلال الصهيوني فحيناً يكون صراعاً نقابيا، وأخرى يكون صراعا سياسيا للمطالبة بحقوق الشعب الفلسطيني في الاستقلال والحرية.

وفي ذلك يقول: "وأجدني مضطراً إلى العودة إلى أحداث من تلافيف الماضي البعيد التي حتماً ستسلط بعض الضوء على حجم الكارثة التي حاقت بالشعب الفلسطيني الذي لم يكن له ذنب إلا أنه شعب فلسطيني مسلم، وقد غلف اليهود جرائمهم بحق شعبنا المعذب على أيديهم بغلاف توراتي أسطوري"(١).

وقد خاض حرباً إعلامية ضد الاحتلال عندما تم تنفيذ قرار الإبعاد للجنوب اللبناني عام ١٩٩٢م في حق أكثر من ٤٠٠ من أبناء الحركة الاسلامية، وقد كانت هذه الحرب غير متكافئة فهي أشبه بالمغامرة.

أما سيرة حماد الحسنات يمكن أن نصنفها من نوع الصراع السياسي ولكنها سيرة مغامرات أيضا لأن كاتبها وإخوانه خاضوا مغامرة قلما يستطيع أحد أن يصمد في ظروف تماثلها، فهم خرجوا إلى الجنوب اللبناني لم يملك أي واحد منهم إلا خمسين دولارا في جيبه متوجهاً إلى مكان لا يعرفون عنه أي شيء ولا يسمح لهم بمغادرته حتى لو أرادوا ذلك (مخيم مرج الزهور).

الصراع السياسي في هذه السيرة دار بين الاحتلال الصهيوني وبين قيادات الحركات الاسلامية في قطاع غزة والضفة الغربية، هذا الصراع انتهى بتحقيق مطالب المبعدين وعودتهم إلى أهلهم وذويهم في قطاع غزة والضفة الغربية.

---

(١) الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ٢٩

الفصل الرابع:

مختصرات السير

١.	ذكريات	على الطنطاوي
٢.	ابن القرية والكتاب – ملامح سيرة ومسيرة	يوسف القرضاوي
٣.	مذكرات – لمحات من حياتي	نجيب الكيلاني
٤.	ذكريات لا مذكرات	عمر التلمساني
٥.	كشف المستور	منير الغضبان
٦.	طفل من القرية	سيد قطب
٧.	أيام من حياتي	زينب الغزالي
٨.	رحلتي من الشك إلى الإيمان	مصطفى محمود
٩.	هذه حياتي	أحمد ديدات
١٠.	مذكرات الشهيد	عبد العزيز الرنتيسي
١١.	ذكريات مرج الزهور	حماد الحسنات

ذكريات

علي الطنطاوي

تقع سيرة الطنطاوي في ثمانية أجزاء وهي بعنوان ذكريات، والأجزاء من القطع الصغير ويبلغ عدد صفحات السيرة ٤٨٧٦ صفحة، قسم الكاتب سيرته إلى أجزاء وقسم كل جزء إلى حلقات مرقمة، وقد بلغ عدد الحلقات ٢٤٥حلقة، وكأنها مجلد واحد، ولقد راجعه وصححه وعلق عليه حفيد المؤلف مجاهد مأمون ديرانية.

يبدأ المجلد الأول بمقدمة يوضح فيها أن ما كتبه ذكريات وليست مذكرات أو سيرة، ثم يذكر الدافع الذي دفعه لكتابة سيرته والتي جاء فيها: "بدأت كتابة الذكريات وليس في ذهني خطة أسير عليها ولا طريقة أسلكها، وأصدق القارئ أني شرعت فيها شبه المكره عليها، أكتب الحلقة ولا أعرف ما يأتي بعدها، وكثيراً ما كنت أنسى ما الذي كتبته في التي قبلها"(١)

ولقد صدق الكاتب في حديثه فعندما اطلعت علي الذكريات وجدت أن الكاتب لا يبدأ من حيث انتهى بل إنه كثيراً ما يستطرد ويبتعد عن الموضوع الذي بدأ الحديث عنه، كما أنه قد يعمد إلى تكرار الموضوع فيشعر القارئ بالملل، وربما يرجع السبب في ذلك إلى النسيان خاصة أنه ألف الكتاب في أواخر حياته.

"يبدأ حديثه عن دمشق ويصف المكان الذي عاش فيه وصفًا دقيقًا، ولكنه وصف الرجل كبير السن الذي غاب عن بلده فترة طويلة ثم رجع إليها فبدأ يقارن الحديث بالقديم، ويحنُّ إلى الأيام الخوالي"(٢).

ثم يتحدث عن أيام حياته الأولى في دمشق من الكتاب إلى المدرسة الابتدائية، ويتطرق في حديثه إلى ذكريات عامة كالحرب العالمية الأولى وذكريات خاصة كالمواقف مع أساتذته وذكرياته مع الجامع الأموي وما لهذا المسجد من أثر في تكوين فكره، ويظهر في هذا الجزء ملامح شخصيته التي بدأت تتبلور ومواقفه السياسية .

"ثم يعود للحديث عن أساتذته في (مكتب عنبر) ويعتمد على التفصيلات الدقيقة، يكاد لا يترك شاردة ولا واردة إلا ويذكرها ويبدي رأيه فيها، وإن دل على شيءٍ فإنما يدل على أن الطنطاوي

---

(١) الطنطاوي، ذكريات، ج١، ١٥

(٢) انظر الطنطاوي، ذكريات، ج١، ٢٧-٣٥

كان يقدر كثيرا العلم والعلماء"[١]. كما أنه يروى قصصا من حياته الشخصية ومنها تعلمه حساب الدوبيا وعمله بالتجارة.

وفي الصفحات الأخيرة من الجزء الأول تحدث عن والدته وعائلتها فخاله هو محب الدين الخطيب[٢]، وفي هذا الإطار تحدث عن الأسر العلمية في دمشق وأعلامها .

تطرق الكاتب إلى الثورة على الفرنسيين ودور الأبطال المجاهدين السوريين فيها، وذكر بعض الشهداء الذين يعرفهم ومنهم حسن الخراط، ويركز في حديثه على الثورة السورية ودور بدر الدين الحسني شيخ علماء سوريا فيها.

ثم يسهب في ذكر شعر الثورة كالقصيدة التى كتبها أحمد شوقي في وصف حال دمشق، بل إنه يتحدث عن شعراء الشام في تلك الفترة وينقل إلينا جزءاً من أشعارهم كالشاعر شفيق جبرى ومحمد البزم وخير الدين الزركلى وخليل مردم وغيرهم، وفي أخر الجزء يتحدث عن أول رحلة له خارج سوريا وكانت إلى مصر لزيارة خاله وزواج أخته .

وفي هذه الفترة التي قضاها عند خاله محب الدين الخطيب تعرف على الشهيد حسن البنا.

يتكون الجزء الثاني من (٦٧حلقة) تشتمل على أحداث متفرقة من حياته الخاصة وكذلك من الحياة العامة .

يبدأ الجزء بحلقة عنوانها (رسائل سيف الإسلام) يوضح في بدايتها صفة من صفاته حيث يقول:"الناس يبدؤون باللين وأنا بدأت الكتابة بالعنف، وهم يكتبون الفن والأدب وأنا بدأت النقد والإصلاح، بدأت برسائل الإصلاح، فهجت على نفسي حربًا لا طاقة لي بها،حربًا مالي فيها نفع، ولا لي في غنائمها أمل، ما غنمت منها إلا أنه كان لي راتب من الأوقاف فقطعته بيدي "[٣].

ثم يشير إلي أثر ذلك بقوله : "وقد عرف الناس من أحاديثي في الإذاعة أو الرائي أني أقرأ السب لي وأنا هادئ لا تتحرك من الغضب شعرة في جسدي، لأني لكثرة ما كتب عني (تعودت مس الضر حتى ألفته) وكل ذلك لأنه كان يعد رسالة أو مقالة عن كل قضية تثار في المجتمع ويبدي رأيه فيها فيهاجم من يهاجم ويبدي رأيه واضحاً صريحاً، وإرضاء الناس غاية لا تدرك كما نعلم.

---

(١) انظر الطنطاوي، ذكريات، ج١، ١٦٣-١٨١

(٢) انظر الطنطاوي، ذكريات، ج١، ٢٥٩

(٣) انظر، الطنطاوي، ذكريات، ج٢، ٥

عاش الطنطاوي شبابه في العقود الأولى من القرن العشرين وكان شاباً مثقفاً لذلك رأى ما لم يره كثيرون، يقول:"إن لدي من الذكريات الكثير، ما بقي منها ربما ملأ كتبا، لأني ما عشت ثلاثة أرباع القرن كما تشهد تذكرة ميلادي، بل عشت أربعة قرون، بل أن الذي رأيته من تبدل الدول وتطور الحياة لا يكون مثله في أربعة قرون"[١]فقد عاش الطنطاوي تحت راية العثمانيين ثم تحت علم الدولة العربية ثم في حكم الفرنسيين ثم تحولات كثيرة من أهل سوريا أنفسهم كما أنه شهد حروب عدة منها الحربين العالميتين الأولى و الثانية.

درس الطنطاوي الفلسفة في بداية حياته[٢]ودرس الحقوق بعد ذلك[٣]، وقد ظهر ذلك على شخصيته فهو خطيب مفوه يؤثر على الجماهير فيقنعهم ويقودهم، قادر على الحوار والجدال ظهر ذلك في قيادته اللجنة العليا للطلاب، وما رافق ذلك من أحداث. كما أن لديه أسلوباً مشوقاً مقنعاً ظهر في كتاباته كصحفي في جرائد عدة منها جريدة الأيام.

يعود الكاتب للحديث عن سوريا مرة أخرى وعن صور جمالها ونضالها ضد المستعمر[٤]، يتذكر بعض الأحداث الخاصة كما يظهر حنينه إلى أمه وأبيه[٥]، وينقل إلينا أحاديث نفسه ثم يلومها على كشفها لمكنوناتها بقوله: "ولكن هذه أسرار قلبي فلماذا أعلنها للناس؟ هل أجعل مخدع حبي الأطهر معرض صور يتجول من خلاله النقاد والذين يحبون أن يتسلوا"[٦]، يهتم الطنطاوي ببعض القضايا العامة في هذا المجلد فيفسر بعض المصطلحات التي بدأت تظهر وتنتشر في تلك الفترة كمصطلح الديمقراطية، كما يوضح رأيه في بعض العادات والتقاليد القائمة في سوريا في المناسبات السعيدة والحزينة خاصة المخالفات الشرعية في المآتم والموالد ويقف موقف المدافع عن الدين والحق إرضاء لله ومغضباً للجميع.

كليتا الطب والحقوق كان لهما نصيب في حديث الطنطاوي، ومما لفت انتباهي قوله: "وممن ذهب إلى لقاء ربه الدكتور أحمد حمدي الخياط أول من درّس علم الجراثيم، درسه في معهد باستور ثم جاء يعلمه الطلاب، وكل من صار طبيبا في الشام من سنة١٩٢٠م إلى أن تقاعد إلى أن توفاه الله من سنتين هم من تلاميذه، وكان ملماً بالعلوم الإسلامية مطلعاً عليها، يتقن العربية والتركية والفرنسية، وهو عارف الإنجليزية والألمانية واللاتينية واليونانية، وهو أحد من وضع

---

(١) الطنطاوي، ذكريات، ج٢، ٢٩

(٢) انظر الطنطاوي، ذكريات، ج١، ٣٤٠

(٣) انظر الطنطاوي، ذكريات، ج٢، ٣٥

(٤) انظر الطنطاوي، ذكريات، ج٢، ٤١-٥٢

(٥) انظر الطنطاوي، ذكريات،ج٢، ١٢١-١٣٣

(٦) الطنطاوي، ذكريات، ج٢، ١٣١

المصطلحات العربية في الطب؛ لأن كلية الطب في دمشق ما درست علوم الطب كلها إلا بالعربية"[١] فهل هذا النوع من العلماء ما زال موجوداً؟. ولا يغفل الطنطاوي الحديث عن أساتذته من النصارى وعلاقته الجيدة بهم، ولكن غوطة دمشق تسيطر على ذكرياته في هذا الجزء لذلك نراه يعود إليها أكثر من مرة ويكتب فيها قطعا أدبية جميلة.

الجدير بالذكر أن علي الطنطاوي عمل مدرسًا في أكثر من قرية قبل أن يتحول إلى القضاء ويعمل قاضيًا في محكمة دمشق،وربما هذا ما جعل أسلوبه يميل إلى التفصيل والتوضيح، كما أنه لا يغفل الأدب والشعر حيث يفرد له حلقة يتحدث فيها عن رفاقه وأساتذته من الشعراء.

يبدأ المجلد الثالث بحلقة عنوانها (شهادة للبيع) وهي مقالة كتبها عندما تخرج من كلية الحقوق في ساعة ضيق ومما كتبه فيها:" إني أعرض شهادتي هذه ولقبي الكريم (ليسانسه في الحقوق) للبيع برأس المال أي بالرسوم والأقساط، أما فوسفور دماغي وأيام عمري فلا أريد شيئاً منه ثمناً وأجري على الله"[٢].

يتحدث الكاتب في هذا الجزء من السيرة عن فلسطين قبل احتلالها، وزيارته لهضبة الجولان وجبل الشيخ ناقلاً صورة جميلة عن المناظر الطبيعية الرائعة فيه خاصة في منطقة الحمّة التي يوجد فيها الينابيع الحارة التي تصلح أن تكون أفضل منتجع صحي في العالم، ويظهر مدى تحسره على فقد تلك الأماكن داعياً الله عز وجل أن تُسترد من اليهود يوما ما. ومن أبرز الأحداث في هذا المجلد رحلته إلى الحجاز وما لقيه فيها من مصاعب ومتاعب نظرا لعدم وجود وسائل المواصلات الحديثة في ذلك الوقت[٣]، وشهر رمضان _في تلك الأوقات_ له نصيب كبير من الحديث،خاصة حديثه عن إحساسه وهو يرى طعام السحور يقدم لأول مرة [٤].

يطيل الحديث في الفرق بين جدة اليوم وجدة البارحة وما زاد فيها من عمران وتغير منها من مبانٍ وشوارع ثم يشرح بعض التغيرات التى حدثت في مكة المكرمة والمدينة المنورة وقد أطال في حديثه عن الحرم المكي وما حدث فيه من تغيرات .

---

(١) الطنطاوي، ذكريات، ج٢، ١٧٥

(٢) الطنطاوي، ذكريات، ج٣، ٦

(٣) انظر الطنطاوي، ذكريات، ج٣، ٢٧-٩٩

(٤) انظر الطنطاوي، ذكريات، ج٣، ١٠١-١٠٤

ويبرز حزن كاتبنا عند حديثه عن وفاة شيخ الشام (بدر الدين الحسني) حتى أنه يقول: "ولم أبالغ ولم أقل عجباً لما قلت أن دمشق صبرت على هذه النكبات كلها، وجزعت لما سمعت بان الشيخ بدر الدين قد مات "[١]، ويقصد بالنكبات الحروب التي مرت على دمشق كالحرب العالمية.

يبرز الطنطاوي رأيه في قضية هامة وهي ضرب الأطفال بهدف التعليم حيث يقول: "وبعض المعلمين يضربون ضرب مجرم معتدٍ أو طالب ثأر يتشفى للانتقام "[٢].

يظهر في هذا الجزء أيضا ميل الكاتب للتمثيل وجهوده في إنشاء مسرح في مدرسة الأمينية وتأليفه للمسرحيات و تدريب الطلاب عليها وإخراجها للجمهور .كما أن الكاتب ضم مقالاً بعنوان ليلة على سفح قاسيون، يوضح فيها جمال هذا الجبل والليالي الجميلة التي كانوا يقضونها عند سفحه. وفي نهاية مجلده يتحدث عن التدريس في بغداد ويتطرق في حديثه عن الشيعة وبعض عاداتهم.

الجزء الرابع من كتابه يشتمل على ٢٧ حلقة ويتحدث فيه عن :رمضان في بغداد، وفضل الملك غازي، وذكرياته في الكلية الشرعية في بيروت، ثم يتحدث عن نقطة تحول في حياته الشخصية وهي دخوله سلك القضاء وعمله في محكمتي دوما ودمشق وفي آخر حلقة يتحدث عن الحياة الأوروبية قبل نصف قرن .

ويبدو أن الطنطاوى بدأ يعانى صحياً من حصاة في كليته اليمنى، ويذكر قصة طريفة وهي قصة هروبه من المستشفى بالمنامة وحافي القدمين حتى لا يجري عملية الزايدة .

كما يطيل الحديث عن أخيه ناجي الذي كان بمثابة ابن له، وسفره إلي باريس ويسهب في ذلك موضحا رأيه في سفر الشباب إلى بلاد الكفر ومدى تأثيره السلبي عليهم.

الجزء الخامس يقع في (٢٧) حلقة، يذكر فيها بعض المؤتمرات التى حضرها ومنها مؤتمر القدس والدول التي تنقّل فيها بهدف الدعوة ومنها باكستان والجزائر وذكرياته فيها.

كما يفرد حلقات للحديث عن فلسطين فيتحدث عن يوم التضامن مع فلسطين وتجره الذكريات إلي السنوات التي زار فيها فلسطين ويحكى حكايا عاشها بنفسه توضح وقوف الإنجليز بجانب اليهود ومساندتهم لهم في المدن الفلسطينية كحيفا وعكا قبل قيام الدولة الصهيونية.[٣]

---

(١) الطنطاوي، ذكريات، ٢٥٩

(٢) الطنطاوي، ذكريات، ٢٦٩

(٣) انظر الطنطاوي، ذكريات، ج٥، ٨٥-٩٩

وفيه أيضا ينقل إلينا المقالة أو الرسالة التى عنوانها (كلمة إلى الجنرال ديغول) حيث يهاجم فيها فرنسا على ما أحدثته من ظلم ودمار في سوريا، وفي حلقتين أسماهما (دفاع عن الفضيلة (١ ، ٢) تحدث فيها عن الحجاب وعن الطالبات في احتفال يوم الجلاء وتقديمهن لعرض يكشف عوراتهن ويشرح فيها ما وصل فيه حال البنات والنساء فيما بعد، وكيف تبدلت واختلفت أحوالهن فخلعت المرأة حجابها واختلطت مع الشباب.

والجزء السادس يشتمل على ٢٧حلقة أيضاً، وينقسم الحديث إلى موضوعات رئيسة هي:الموضوعات السياسية والموضوعات الشخصية، والبلدان التي زارها، ومن الموضوعات سياسية :-

١. الوحدة والانفصال مع مصر.
٢. الصحافة الناصرية.
٣. أسبوع التسلح في الشام ١٩٥٥م.

- **ومن الموضوعات الشخصية :**

١. مقتل ابنته بنان.
٢. عندما تم إعلان وفاته وهو على قيد الحياة، والحلقة بعنوان(زعمت الصحافة الناصرية أنى ذبحت).
٣. ذكريات الطنطاوي في التعليم.

- **ومن البلدان التي زارها، والتي تحدث عن ذكرياته فيها:**

١. أندونيسيا في ستة حلقات، بعنوان. (أندونيسيا بين عسف اليابانيين ونكث البريطانين ولوحات حية من حياتها)
٢. سويسرا تحدث عنها في حلقتين، بعنوان. (سويسرا ليست من أوروبا).

أما الجزء السابع فيتحدث فيه عن قضايا فقهية وعن ذكرياته الشخصية، وبعض الدول التي زارها:

- **القضايا الفقهية:**

١. في الفقه الإسلامي والأحوال الشخصية.
٢. كيف وضع مشروع قانون الأحوال الشخصية.
٣. عرض جميع الآراء لبعض القضايا المختلف عليه.

- **الذكريات الشخصية:**

١. ذكريات رمضان.
٢. ذكرياته في الكلية الشرعية في دمشق.

- **الدول التي زارها بهدف الدعوة (ألمانيا – هولندا).**

حيث يظهر في هذه الحلقات أدب الرحلات؛ لأنه يصف كل ما يراه بأسلوب أدبي جميل.

أما الجزء الثامن والأخير من كتابه فهو يشتمل على ٣٠ حلقة، ينحصر حديثه فيه فيما يلى:

١. أبو الحسن الندوي.
٢. بعض صور الوثائق أو الرسائل الرسمية الخاصة بعمله في المحكمة.
٣. تعرضه للعلم وقيمته في العصر الحديث والملحدين وأفكارهم.

ومن أغرب ما ذكره الطنطاوى عن جنود السنغال الذين جلبهم الفرنسيون كي يحاربوا السوريين معهم، وقد التقى بأحد السنغالين وشكا له ما لقي السوريين من قسوتهم وشدتهم فقال الرجل – و"هو أستاذ سنغالي متخرج من أعلى معهد ثقافي في فرنسا فقال بأنهم مسلمون، ولكن الفرنسيين أوهموهم أنهم يقاتلون في سوريا أمة كافرة مشركة تحارب الإسلام"[١].

١. ذكرياته في الحج.
٢. حصار المخيمات في لبنان

ويصور لنا الطنطاوي بقلمه الآلام الشديدة التي ألمت به سببها حصاة في الكلية حيث،يقول: "وبت الليلة لا أشكو شيئا، فلما كان هزيع من الليل سمع في الحي صوت: آه يقتلعها مرسلها من قرارة القلب ويبعثها مسربلة بالألم، ويسمعها الجيران مرة كل دقيقتين ثم صارت مرتين كل ثلاث دقائق، ثم تسارعت وصارت تمشى مع دقة الثواني في الساعة، فكلما قالت الساعة (طق) قال هذا الصوت (آه) ! وكان مطلقها هو أنا.

وكنت أعرف هذه الآلام من القديم، ما شكوت في عمري غيرها، تقول التى تصاب بها أن آلامها تشبه آلام الولادة"[٢].

ثم يتعرض للحديث عن الشهادات وأهميتها في قبول الأساتذة في الجامعات حيث يرى أنها "ليست معياراً لتعيين أستاذاً في الجامعة، ويطول الحديث عن ذلك ليقول في النهاية: "وإن اعترفتم

---

(١) انظر الطنطاوي، ذكريات، ج٨، ١٨٥-١٩٦

(٢) الطنطاوي، ذكريات، ج٨،٢٣٦

أن الذي منح أول دكتوراه كان لا يحملها (وهذا هو الواقع) أقررتم معي بأن الشهادة ليست وحدها مقياس العلم ، بل لابد أن يكون لديه حصيلة علمية حتى يستطيع أن ينقلها للطلاب.

ويتعرض في حديثه لمستوى العلم عند طلاب الجامعات، ويرى أن الواحد منهم لا يقرأ خمسة أسطر إلا رفع فيها منخفضًا وخفض مرتفعًا"[1].

المحاور الرئيسية في سيرته:-

١. وصف تفصلي لمدينة دمشق التي ولد فيها.
٢. أيامه الأولى في مدينته والأحداث الأولى التي يتذكرها (العامة والخاصة).
٣. ملامح شخصيته.
٤. أسرته وأسرة جده لأمه والأسر العلمية في دمشق.
٥. الثورة على الفرنسيين ودور المجاهدين في سوريا.
٦. أساتذته وشيوخه.
٧. دراسته للفلسفة والحقوق.
٨. عمله كمعلم في سوريا وبغداد.
٩. رحلة لا تنسى إلى الحجاز.
١٠. زياراته لكثير من الدول الإسلامية ووصفه لها.
١١. موضوعات سياسية هامة كالوحدة على مصر، الصحافة الناصرية، أسبوع التسلح في الشام.
١٢. وفاة بعض المقربين إليه (بدر الدين الحسني، ابنته بنان).
١٣. الحديث عن بعض القضايا الفقهية مثل قانون الأحوال الشخصية.
١٤. ذكرياته عن موسم رمضان وموسم الحج.
١٥. المرض الذي يعاني منه.

(١) انظر،الطنطاوي، ذكريات، ج٨، ٣١٦

ابن القرية والكتاب ملامح سيرة ومسيرة

الدكتور يوسف القرضاوي

هذا الكتاب يقع في أربع مجلدات من القطع المتوسط يبلغ صفحات المجلد الأول ٥٠٤ والمجلد الثاني ٤٩٤ والمجلد الثالث ٤٧٩ والمجلد الرابع٧٢٥ صفحة.

يبدأ القرضاوي مجلده الأول بمقدمة بعد الحمد والثناء على الله تعالى، يشرح فيها سبب كتابة السيرة والمسيرة وسبب تأخر كتابة تلك السيرة، ثم يذكر السبب في أن الجزء الأول من حياته أكثر إسهاباً من الأجزاء المتأخرة.

ثم يتطرق إلى الهدف من كتابة سيرته، ويقدم القرضاوي اعتذاره لمن لم تذكر أسماؤهم في بعض المواقف ويطلب من القراء الذين شاركوا في الأحداث تصحيح كلامه إذا أخطأ وفي النهاية يستغفر الله على كل خطأ أو تجاوز أو إعجاب بالنفس.

يقسم القرضاوي الجزء الأول إلى عدَّة أقسام:

- صورة القرية في صباه
- صورة عن أسرته
- المراحل التعليمية
- مع الإخوان
- حل الإخوان ومعتقل الطور
- إلى القاهرة وكلية أصول الدين
- ما بعد رحلة الشام إلى شهادة العالمية

وفي كل قسم مما سبق يتحدث مفصلاً عن كل جزئياتها فمثلاً:- القسم الأول (صورة قريتي في عهد صباي – قرية صفط تراب) يتحدث عن كل الجوانب فيها: الجانب الديني، الاقتصادي، الاجتماعي، الثقافي والسياسي، وهكذا في جميع الأقسام.

ويبدو أن القرضاوي اطلع على سير مختلفة قبل كتابة سيرته، يقول:-

"لم يشأ لي القدر أن أولد وأنشأ في مدينة كالقاهرة كما نشأ أحمد أمين، أو كدمشق كما نشأ على الطنطاوي لأتحدث عن مدينتي وخصائصها وروائعها، ولكني ولدت ونشأت في قرية متواضعة من قرى الريف المصري بعيدة كل البعد عن أسباب المدينة الحديثة"[١]

(١) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ج١، ١٥

ويتحدث بالتفصيل عن القرية ومن أين جاءت هذه التسمية[١] ويخلص في حديثه إلى أن قريته هي القرية التي دفن بها عبد الله بن الحارث الصحابي الجليل الذي روى عن الرسول عدة أحاديث، ولقد أورد القرضاوي قصيدة يتحدث فيها عن بلدته صفط تراب مطلعها:

وحُق لصفطنا بل أن تسمى بصفط تبر لا صفط تراب

ثم يتحدث عن الجوانب المختلفة للحياة في قريته، ويذكر أن الدين كان محور الحياة، ويبرز بعض الأمثلة على ذلك حتى أنه في النهاية يقول: "وبهذا ترى الناس في القرية مخلوطين ومعجونين في الدين"[٢]

ثم يتحدث عن مساجد القرية خاصة مسجد عبد الله بن الحارث وإقامة الشعائر الإسلامية خاصة في شهر رمضان حيث يعتبر رمضان موسماً دينياً سنوياً.

ذكر القرضاوي الشيوخ الأزهريين الذين كان لهم دور كبير في توعية مجتمع القرية، ومنهم عبد المطلب النبيه وأخوه أحمد النبيه والشيخ أحمد محمد صقر والشيخ أحمد عبد الله المدرس بكلية الشريعة بالأزهر وغيرهم كثيرون.

تطرق القرضاوي في حديثه إلى الطرق الصوفية في القرية كالطريقة الشاذلية والطريقة البيومية والطريقة الخليلية، ولكنه اهتم أكثر بالطريقة التي نشأت في قريته على يد الشيخ محمد أبو شادي، ثم ذكر ظاهرة الموالد وأهميتها بالنسبة للمصريين خاصة الليلة الكبيرة، وتحدث الكاتب عن المواسم الدينية في القرية كيوم عاشوراء والمولد النبوي وليلة الإسراء والمعراج وليلة نصف شعبان[٣].

يفصّل القرضاوي الحديث عن الخلل في الفهم والسلوك الذي يشوب عقول وقلوب القرويين، ومنها حديث أهل القرية عن الجن والعفاريت والغيلان كالجنية أم الجلاجل.

أما عن الجانب الاقتصادي في القرية فلا يترك القرضاوي شيئاً إلا وتحدث عنه، حيث تحدث عن العملة المحلية والمقايضة وأهمية الزراعة في القرية، وقضية ملكية الأرض الزراعية وتحدث عن الخبز والبقوليات المنتشرة والفواكه واللحوم والحيوانات التي يربيها المزارع والطيور والدواجن.

ذكر القرضاوي التجارة في القرية وكذلك الصناعات البسيطة كصناعة أدوات الفلاحة .

---

(١) انظر القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ج١، ١٥-١٩

(٢) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ج١، ٢١

(٣) انظر القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ج١، – ٢٤-٤٢

يقسم القرضاوي مجتمع القرية إلى ثلاثة أقسام : طبقة عليا متمثلة في طبقة الأعيان، وطبقة دنيا تتمثل في طبقة الأهالي، وطبقة وسطى أقرب إلى الطبقة الدنيا، ويتطرق القرضاوي إلى الفهم الخاطئ للعدالة الاجتماعية في توزيع الثروات واستكانة القرويين للوضع القائم آنذاك.

ويرى القرضاوي أن أهل القرية مترابطون في السراء والضراء حيث يقول: "إذا حدث حريق في أحد المنازل – بقضاء وقدر أو بفعل فاعل – سارع أهل القرية إلى إطفائه بقوة وجدارة وكثيرا ما يكون ذلك بعد منتصف الليل، فيهب الناس من نومهم ويطيرون طيراً إلى موضع الخطر"(١).

يذكر القرضاوي دور المرأة في القرية فهي تساعد زوجها في أعمال الحقل إن احتاج إلى ذلك إضافة إلى تربية الأبناء وعمل البيت.

ويرجع القرضاوي سبب حبه للأبواب المفتوحة وكراهة الأبواب المغلقة إلى حال القرية التي يعتبر أهلها جميعاً كأنهم أسرة واحدة لا سدود ولا حدود بين بعضهم البعض.

كما يبدي القرضاوي رأيه في الإقطاع الزراعي، ويفرق بين حال الإقطاع في مصر وحاله في أوروبا ويرى أن الإقطاعيين الجبابرة والقساة لم يكونوا ليمثلوا في الإقطاعيين إلا فئة محدودة، وكانت الأكثرية منهم يتمتعون بالأخلاق والقيم الأصيلة المتوارثة، أما في حديثه عن الزواج فيرى أنه من أهم الأحداث الاجتماعية في القرية ويتعرض لبعض الأمور الخاصة بالزواج كالسن القانونية وشروط اختيار الزوجة ويرى القرضاوي أن "الزواج في غالبه موفقا، يقوم على السكينة والمودة والرحمة وهي دعائم الحياة الزوجية"(٢)

ثم يتطرق في حديثه للطلاق في القرية، ونظرة المجتمع القروي للمرأة المطلقة ويبدي القرضاوي رأيه كفقيه في هذه القضية.

يرى القرضاوي أن قريته غير محظوظة، نظراً لعدم وجود مستشفى أو محطة قطار كما لم يكن بالقرية ملاعب. كما يرى أن مستوى نظافة القرية متدنٍ، فالماء غير نظيف وكثير من البيوت لا يوجد فيها مرحاض.

والشتاء كان شديداً على القرية كما يرى القرضاوي نظراً لعدم توفر الأدوات التي تحميهم من برده القارص وأمطاره الغزيرة.

ويذكر القرضاوي مصيبة الموت في القرية والتي يرى أنها أعظم مصيبة تمر على القرية وتظل آثارها شهوراً طويلة. ويذكر القرضاوي ظاهرة الفتوة كظاهرة اجتماعية.

---

(١) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ٦٦

(٢) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ٧٣

في الجانب الثقافي يتحدث عن المسجد الذي يعتبر مصدر الثقافة في القرية بما فيه من خطبة الجمعة، ودروس بين المغرب والعشاء، أما عن الفنون ففن الغناء هو المنتشر غناء الفرح والطرب وغناء الحزن والألم، وغناء الباعة المتجولين، وغناء البنائين، وغناء المسحراتي في شهر رمضان. كما يذكر القرضاوي الغوازي اللاتي كن يغزين القرى المصرية ويبدي رأيه فيهن فيقول:- "..... وقد خلفن فيها من بذور الفساد ما خلفن، ويحمد الرجال الصالحون ربهم على ارتحالهن، وينشد من ينشد[1]:-

إذا ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

أما عن الحالة السياسية للبلد فلا يشعر بها أحد إلا نادراً، ويرجع سبب ضعفه في القرية إلى انتشار الأمية بين الناس وانشغالهم بلقمة العيش، وقد تحدث عن بعض ذكرياته من الناحية السياسية وعن معرفة البسطاء عن الثورات في مصر، وعن الحرب العالمية وقد وضح موقف أهل مصر من هتلر واعتبار أنه جاء ليخلصهم من ظلم الانجليز.

وفي هذا الجزء من الكتاب يتحدث عن انحسار دعوات العرب من الأمة الإسلامية والخلافة الإسلامية إلى النظرة الإقليمية البسيطة الخاصة بمصر وحدها.

يقدم القرضاوي صورة عن أسرته وأصولها وعن جده وأعمامه وعماته وأولادهم، ثم يتحدث عن زواج أمه بأبيه ثم كفالة عمه له بعد موت أبيه وهو في الثانية من عمره، ويشيد القرضاوي برعاية أمه له، ويفصل الحديث عن أسرة والدته ثم أسرته القرضاوية ويقارن بين الحالة الاقتصادية بين الأسرتين مبيناً سبب حبه المكوث في بيت جده لأمه.

وفي حديثه عن طفولته يتطرق القرضاوي للحديث عن الرقية والحسد والحكم الشرعي فيها.

وفي القسم الثالث والرابع والخامس والسادس يتحدث القرضاوي عن مراحله التعليمية.

ويسهب في حديثه عن الكتّاب وعن شيخه الشيخ حامد وحفظه للقرآن الكريم في تلك الفترة من عمره، وكذلك حفظه تحفة الأطفال في أحكام التجويد.كما يتحدث عن دخوله المدرسة الإلزامية في السابعة من عمره وفيها حصل على أول جائزة له في حياته، ثم تحدث بعد ذلك عن المرحلة ما بين المدرسة والمعهد والصعوبات التي واجهته حتى استطاع أن يتوجه إلى معهد طنطا، ثم يذكر القرضاوي أهم الحوادث التي حدثت له في هذه الفترة وهي الاستماع إلى الشيخ حسن البنا ووفاة والدته. ويسهب في حديثه عن المعهد الديني في طنطا ويخبرنا عن الأساتذة والزملاء الكرام الذي

(١) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ٩٠

سعد بصحبتهم فمن الأساتذة البهي الخولي ومن الطلاب محمد السيد الوزير. ويميل القرضاوي إلى ذكر رأيه في قضايا مختلفة كأهمية إرادة الإنسان في تحديد مستقبله.

وفي هذا الجزء من الكتاب تحدث عن أول درس ألقاه في مسجد في حياته، وأول خطبه المنبرية.

وتعرض القرضاوي في كلامه لحادثة قتل رئيس الحكومة أحمد ماهر، وتولي النقراشي للوزارة، ثم بعد ذلك يبدي رأيه في التعليم في المرحلة الابتدائية.

وفي القسم السابع يتحدث عن المرحلة الثانوية من عمره، وفيه يتحدث عن أصدقاء جدد وأول عمل له دخل المكتبة العربية وهو مسرحية يوسف الصديق ثم أسهب في الحديث عن شيوخه في الأزهر والمواد التي يدرسونها سواء دينية أو دنيوية.

ثم يتحدث عن تعلق فؤاده بحسن البنا في تلك الفترة من عمره ويذكر فيه مقال إحسان عبد القدوس في روزاليوسف وتحقيق محمد التابعي في آخر ساعة عن الإخوان المسلمين وعن حسن البنا خاصة.

يتطرق القرضاوي إلى دور الإخوان في قضية فلسطين واستعدادهم لحرب فلسطين وبطولاتهم فيها وكونها هي السبب الأول في محنتهم[١]

أخبرنا القرضاوي عن أحداث كثيرة خاصة بالإخوان في صفحات تتجاوز المائة ومن هذه الحوادث حادث سيارة الجيب التي اتهم فيها الإخوان بقلب نظام الحكم، وقتل القاضي أحمد الخازندار، ثم حل جماعة الإخوان المسلمين واعتقال الإخوان وغيرهم. ولكن أعظم الحوادث على الإطلاق كان اغتيال الشهيد حسن البنا، ويعتبر القرضاوي انضمام سيد قطب لجماعة الإخوان مكسباً لها.

ثم يبدأ القرضاوي حديثه عن مرحلة جديدة في الحياة العامة وهي ثورة ٢٣ يوليو، وفي الحياة الخاصة التحاقه بكلية أصول الدين. وبعد ذلك يعاود الحديث عن الإخوان وما صاحب تلك الفترة من أحداث كاختيار الهضيبي مرشداً.

القرضاوي تطرق إلى قضايا عدّة اجتماعية وسياسية ودعوية وتعليمية وتربوية وثقافية وفنية أدبية، وعاش مع الإخوان فترة زمنية طويلة لذلك يعتبر مصدراً للمعلومات إذا أردنا أن نتحدث عنهم.

---

(١) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ٢٦٠-٢٧١

يغلب على المجلد الثاني الجانب السياسي والجانب التعليمي حيث تحدث في أكثر من ثلثي المجلد عن هذه الجوانب بينما لا يتجاوز المواقف والقصص الشخصية ثلثه.

في الجانب السياسي تحدث عن الصدام الأول بين الإخوان والثورة وكذلك عن الصدام الثاني مما أدى إلى اعتقالات كبيرة في صفوف الإخوان، وأما فترة ما بعد السجن فقد بدأها بالبحث عن الدراسات العليا والحصول على درجة أستاذ وتوجهه إلى دراسة اللغة الانجليزية في مدارس فاكس هو وصديقه أحمد العسال.

بدأ بعد ذلك القرضاوي البحث عن عمل وقد عمل في المدارس الخاصة ومنها مدرسة الشرق في الزمالك. وقد أعلنت في هذه الفترة الوحدة بين مصر وسوريا، ووضح تأييد الإخوان لها ثم تحدث عن مذبحة ليمان طره التي راح ضحيتها ٢١ شهيداً من شباب الإخوان المسلمين.

القرضاوي يقدر العلماء فيذكرهم بالاسم، خاصة من استفاد منهم، فقد تحدث عن الشيخ المراغي والباقوري وآخرين وفي هذا المجلد يروي القرضاوي قصة زواجه وما يصاحب الزواج من قضايا هامة كشروط الزواج وعقد القرآن وغيرها.

ثم تحدث القرضاوي عن عمله في وزارة الأوقاف وفي الأزهر ثم ذهابه إلى قطر معاراً، وفي قطر تبدأ مرحلة جديدة من حياته حيث يبدأ التعرف على مكان جديد ومشايخ جدد لم يعرفهم من قبل، وإنشاء المعهد الديني في قطر ثم تطويره بعد ذلك.

ويصف في هذا الجزء من مجلده صورة الحياة في قطر سواءً الحالة الدينية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، ثم يتحدث بإسهابٍ عن نشاطه الدعوي وعن تدريسه بالمعهد الديني وفي الجزء الأخير تحدث عن موت أمه ورفيقه محمد الدمرداش وعن اعتقاله في مبنى المخابرات المصرية أثناء زيارته لمصر ثم السماح له بالعودة إلى قطر.

رتب القرضاوي المجلد الثالث حسب السنوات الدراسية، وأهم الأحداث في كل سنة سواء كانت شخصية أم عامة أم خاصة بالإخوان، وقد تحدث عن المحنة الكبرى للإخوان عام ١٩٦٥م ودور الإعلام فيها، وإعدام سيد قطب ورفيقيه، كما تحدث عن علاقة حركة فتح الفلسطينية بالإخوان والجفوة التي حدثت بينهم.

ويسجل القرضاوي زيارته لمدينتي الخليل والقدس عام ١٩٦٦م كما يتحدث القرضاوي بالتفصيل عن نكبة حزيران ١٩٦٧م وما رافقها من أحداث ومواقف ويقدم تحليلاً لأسبابها.

زار القرضاوي تركيا ومكث فيها فترة زار خلالها الجوامع والمتاحف والآثار وتعرف على بعض المشايخ الأتراك، وقد تحدث عن ذلك بالتفصيل، كما تحدث عن ميلاد ابنه محمد.

من أهم الأحداث السياسية العامة الانقلابات العسكرية في الوطن العربي في السودان وليبيا ومن الأحداث أيضا محاولة إحراق المسجد الأقصى وحرب أكتوبر العاشر من رمضان ثم

بعد ذلك توقيع معاهدة كامب ديفيد، ومن الأحداث الشخصية إصداره لسلسلة حتمية الحل الإسلامي وكتاب الفقه الاسلامي.ولقد تعرض في كتابه لشخصيتي عبد الناصر والهضيبي بشيء من التفصيل[١].

ومن الأحداث الثقافية: تأسيس تلفزيون قطر وإنشاء كلية التربية، وفي تلك الفترة في بداية السبعينيات كانت انطلاقة القرضاوي للعالم من خلال حضور المؤتمرات بدعوات من أهلها لذلك زار كثير من الدول بعد ذلك. وزيارته سوريا والشرق الأقصى (اندونيسيا – هايتي – سنغافورة – الفلبين – كوريا الجنوبية – اليابان – هونج كونج) وزيارة أمريكا وكندا.

ومن الأحداث الاقتصادية تأسيس أول بنك إسلامي في دبي وشركة الاستثمار الخليجي، موضحاً رأيه في البنوك الإسلامية كما تحدث عن المؤتمر العالمي الأول في الاقتصاد الإسلامي.

ومن أهم الأحداث الشخصية أيضا في سبعينيات القرن العشرين عرض منصب المرشد العام للإخوان المسلمين عليه واعتذاره عن هذا المنصب.

ونجد القرضاوي يفرد صفحات طوال للحديث عن عالم أو أستاذ، ويسهب في وصفه ويذكر المواقف الحسنة له وإن كان له أي تحفظ فإنه يذكره بشكل يليق به دون تجريح.

أهم القضايا والمحاور التي ركزت عليها السيرة:

١. وصف تفصيلي لقريته صفت تراب وعن مراحله الأولى من عمره خاصة المراحل الدراسية.
٢. الخلل العقائدي في القرية المصرية وانتشار الخرافات والأساطير.
٣. مميزات القرية وأخلاقياتها والمظاهر الاجتماعية فيها.
٤. الاخوان المسلمين ودورهم في حرب فلسطين.
٥. توجهه نحو الدراسات العليا والبحث عن عمل ومن ثم زواجه.
٦. عمله في وزارة الأوقاف ثم إعارته لقطر ووصفه للحياة في قطر.
٧. حديثه عن المحنة الكبرى للإخوان عام ١٩٦٥م.
٨. الانقلابات العسكرية في الدول العربية ومحاولة إحراق المسجد الأقصى.
٩. إصداره لبعض الكتب.
١٠. انطلاقه لحضور بعض المؤتمرات في بلدان عدّة في العالم.
١١. تأسيس تلفزيون قطر وكلية التربية فيها.
١٢. تأسيس أول بنك إسلامي وشركة الاستثمار الخليجي.
١٣. اعتذاره عن قبول منصب المرشد العام للإخوان المسلمين.

---

(١) انظر القرصاوي، ابن القرية والكتاب، ج٣، ٢٠٩-٢٣٠

مذكرات – لمحات من حياتي

نجيب الكيلاني

أطلق الكيلاني على هذه المذكرات اسم (لمحات من حياتي) في مقدمته، ملمحاً إلى أنها جزء يسير من حياته، ويقسم الكيلاني سيرته إلى خمسة أجزاء، ويرتبها ترتيباً زمنياً.

في الجزء الأول يتحدث عن قريته وأحوالها، وأهله وأخواله وأعمامه، وسنوات تعليمه الأولى في القرية ثم في المدينة، وعن تلك الأيام التي تعرف بها على دعوة الإخوان المسلمين ونشاطاته الدعوية. أما الجزئين الثاني والثالث فقد خصصهما الكاتب للحديث عن القهر والسجن والتعذيب الذي تعرضت له الجماعة كما تحدث عن تجربته الشخصية بالتفصيل. في آخر الجزء الثالث تحدث الكاتب عن نشاطاته الأدبية داخل السجون، والمسابقات التي شارك فيها وفوزه بالجائزة الأولى.

بدأ نجيب الكيلاني سيرته بمقدمة وضح فيها أهمية السيرة الذاتية للفنان والأديب بقوله: "إن القاص الذي يبدع في رسم شخصيات قصصه، ويتعمق أحلامها وهواجسها وأفكارها، ويتقن تصوير العلاقات المتشابكة التي تربط الشخصية بما يحيط بها من مؤثرات، ذلك القاص يلعب دوراً كبيراً في إبراز ملامح العصر المميزة، ويسهم في إثراء التاريخ والرصد المتشعب الواسع لحركة الحياة"[١]

ووضع مفهوم السيرة الذاتية وهدفها بقوله"::":فكاتب السيرة الذاتية حقاً هو بمثابة بؤرة تلتقي وتتجمع عندها سمات الحياة وأحداثها وردود أفعالها، وكلما نجح الكاتب في دقة التعبير عن نفسه وزمانه ومكانه وأحداثه، كلما اكتسبت السيرة الذاتية أهمية خاصة"[٢]

كما يطرح الكاتب قضية للنقاش وهي: هل القيمة العلمية والفكرية للسيرة الذاتية ترتبط بالمكانة الاجتماعية والسياسية أو العلمية لصاحبها؟ يقول: "هذا أمر شائك فما أكثر الزعماء والقادة الذين يزيفون الوقائع، ليبرؤا أنفسهم من اتهامات ألصقت بهم، أو انتقادات وجهت إليهم، أو شوائب أخلاقية علقت بهم..."[٣]

يتطرق في مقدمته إلي السبب الذي دفعه إلى كتابة السيرة بقوله: "والواقع أنني لم أفكر في كتابة سيرة ذاتية من قبل، فقد كنت أعتقد أنها من حق الأعلام البارزين وحدهم أولئك الذين تركوا آثاراً بارزة على أحداث التاريخ، أو بصمات واضحة على حركة الحياة، لكني أمام رغبات ملحة من

---

(١) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٣

(٢) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٣

(٣) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٣

بعض الأبناء الأعزاء في الدول العربية والإسلامية"[١]

وفي نهاية مقدمته يوضح نوع سيرته بقوله: "ولقد رأيت أن من واجبي نحو هؤلاء الأبناء الأعزاء، والأصدقاء الأحباء، أن أسجل ما حدث"

في الجزء الأول من سيرته بدأ الكيلاني حديثه عن قريته شرشابة موضحًا الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ومبيناً أيام الفرح وأيام الحزن في القرية، كما يتطرق إلى الحياة الفكرية والثقافية ثم ينهى حديثه بقوله: "في هذه القرية ولدت .. كان ذلك في اليوم الأول من شهر يونيو عام ١٩٣١م، وكنت أول مولود لأبى وأمي..."[٢]

جد الكاتب له حضور كبير في الجزء الثاني من السيرة، حيث إن الكاتب يتحدث بالتفصيل عن صفاته وبعض مواقفه في القرية، كما يتحدث عن موته ومدى أسفه و تأثره على فقدانه.

كما يتحدث عن عمه عبد الفتاح الذي استقى منه ثقافته الأولى، يقول: "ومع توالي الأزمات التي سببها عمي إلا أنه كان رجلا طيب القلب، حسن الثقافة، كان هو المتعلم الوحيد في الأسرة إن صح التعبير كان طيب القلب عطوفا ذكيا كريما، وكان منكباً على قراءة كتب المنفلوطي (النظرات، ماجدولين،.....الخ)، وكتب الرافعي (المساكين – أوراق الورد–.....) ودواوين شوقي ومسرحياته.... لقد كان عمي بحق هو المورد الأول لثقافتي وهو الذي أخد بيدي إلي التزود من الثقافة العامة، وكان لا يبخل على الكتب بمال ".[٣]

كما يتطرق إلي أمه وأخواله ويشيد بهم حيث يقول: "من المعروف أن أسرة الشافعي أيسر حالا، وأكثر مالا، واشد احتفالا بتعليم أبنائها في المدارس الحديثة والأزهر، وقد كان لهم فضل السبق في التعليم بالقرية".[٤] ويتحدث الكيلاني عن حياته التعليمية في الكتاب والمدرسة الإلزامية ثم كيفية دخوله المدرسة الأمريكية التبشيرية [٥]، ولم يغفل الكيلاني الأحداث التي مرت على القرية وأشهر هذه الأحداث على الإطلاق الحرب العالمية الثانية.

في الحلقة الثالثة والتي بعنوان (طريق بلا نهاية) يتحدث عن حياته في المدرسة الأمريكية وبعض المواقف الطريفة التي تعبر عن الحياة التعليمية في تلك الفترة، وأهم ما يذكره شخصية

---

(١) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٤

(٢) الكيلانى، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ١١

(٣) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ١٥

(٤) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ١٦

(٥) انظرالكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ١٨–١٩

ضابط المدرسة (انجلى أفندي) ودوره في النظام والانضباط في المدرسة [١]

في الحلقة الرابعة (منعطفات) تحدث الكيلاني عن النشاط الأدبي للطلاب في المدرسة، كما تحدث عن بعض المدرسين ومميزاتهم، ووالده له مساحة واسعة في هذه الفقرة حيث يتحدث عن صفاته وأيامه معه ومن ذلك قوله: "كان للوالد رحمه الله أسلوب خاص في التربية، لم يقرأه في كتب الفلسفة أو علم النفس، هذا الأسلوب يتضح في تعامله معي وفي علاقته بأخي الأصغر أمين بعد أن نضج، وفي باقي الإخوة، كان تعامله الثقة، ولم تكن ثقة عمياء، وأنه كان يحاسبنا برفق عندما يرى إننا قد وقعنا في خطأ، ولم يكن جبارًا عند اختلافنا في الرأي معه، كان يكتفي بشرح وجهة نظره بإيجاز، إذا تبين عدم صحة ما نراه، ولا ينتظر .. بل يتصرف، ولا يعاتب إن خالفناه، وإذا خيبت النتائج ظننا لم يبد الشماتة أو الثورة، بل يعلق تعليقا بسيطا وساخرا "إن كلام الفقير لا يسمع "ونصحك وينتهي الأمر".[٢]

في الحلقة الخامسة من الجزء الأول والتي بعنوان (ثورة الفلاحين الأولى) يتحدث عن المرة الأولى التي يقوم فيها الفلاحون بشيء ضد الملاك. يقول: "في الصباح الباكر من أحد أيام الصيف أثناء الإجازة، حدث هرج ومرج، وأن أمراً خطيراً قد وقع، لقد اكتشف الخفراء أن مساحة كبيرة من الأرض قد دمرت الزراعة فيها تمامًا، لقد تم تقطيع أعواد الذرة، وهي لم تخرج ثمرتها من الكيزان بعد، معنى ذلك ضياع المحصول، وعدم الاستفادة من الأرض خلال ذلك الموسم"[٣] ويعلق على رد فعل الملاك بقوله: "وجن جنون السادة، وأخذوا يعقدون الاجتماعات، ويتبادلون الرأي وسافر بعضهم إلي طنطا لمقابلة مدير المديرية (سعادة الباشا)، وقصد البعض الآخر القاهرة ليتصل بمن يعرف من الشخصيات الوزارية والحزبية أو وزارة الداخلية "[٤]

وفي الحلقة السادسة يتعرض الكاتب لقصص الحب في القرية ومنها قصة (محمد – وهنداوية) حيث يعتبر أهل القرية أن العلاقة بين محمد المتزوج والأرملة الفاتنة(هنداوية) انحرافاً وتصرفاً يغضب الله، ولقد تبين بعد ذلك أنه زوجها على سنة الله ورسوله ولكنه كان زواجاً في السر وبرغم زواجها منه إلا أن أهله أجبروه على فراقها[٥]

والكيلاني يوضح واقع العشاق في القرية بقوله: "لكي تبقى القرية متمسكة بالحشمة والخشية من الله في كل ما يتعلق بالعاطفة التي تشب بين الرجل والمرأة، كانت موجودة لكن كان لها آدابها

---

(١) انظر الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٢١-٢٢

(٢)(٢) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٣٤

(٣) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٣٤

(٤) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٣٨

(٥) انظر الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٤٢- ٤٣

وتقاليدها التي لا تخرج عنها وكان الحبيب يهادي حبيبته خفيه، كأن يرسل إليها زجاجة من العطر، أو غطاءً جميلاً للرأس، وكانت هي الأخرى تبادله نفس المشاعر فترسل إليه كمية من الفواكه الشهية أو منديلاً رجالياً أو وجبة دسمة تبعث بها دون أن يشعر أهلوها وذووها"[١]

في الحلقة السابعة والتي بعنوان (إلى المدينة) حيث يتحدث عن حياته الدراسية في مدينة زفتى، والمعاناة التي عاناها أثناء تلك الفترة خاصة مرضه وعملية الزائدة الدودية التي أجريت له.

كما يتطرق إلى مدينة طنطا ومولد السيد البدوي وما يحدث في تلك الموالد خاصة (زفة الخليفة)، ولقد أحب الكاتب طنطا كثيراً حتى أنه يقول عنها:- "لقد أغرمت بهذه المدينة غراماً ملك علي حواسي، فقد وجدت فيها العلم والثقافة والمتعة والذكريات الحلوة، ووجدت فيها القديم والجديد والماضي والحاضر، وعلى الرغم من رفضي للكثير من الطقوس التي يؤديها الجهلة والعوام في ضريح السيد البدوي ... على الرغم من كل هذا فقد كنت آنس بالذهاب إلى المسجد الكبير"[٢]

كما يتحدث الكاتب عن النشاط الفكري والثقافي للإخوان المسلمين، حيث يقول: "كان من الواضح أن مقار الإخوان المسلمين في طنطا، سواء شعبة قسم أول أو شعبة قسم ثانٍ أو المكتب الإداري العام، هي أثرى وأقوى هذه المراكز في العطاء الفكري والثقافي الموجه، كان الإخوان يضعون برنامجاً حافلاً للمحاضرات المختلفة، التي تضم الفكر والأدب والتاريخ والسياسة والاقتصاد والتوعية الصحية"[٣]

في الحلقة الثامنة المعنونة بـ (شعبنا المريض) من الجزء الأول يتحدث عن الوضع الصحي المتردي في القرية فيقول: "كان للموت في نفسي رهبة لا مثيل لها، وكنت أرى أغلب الذين الذين يمرضون يموتون ولم نكن نرى الطبيب إلا لماماً وفي حالات نادرة جداً..."[٤]

ويتطرق الكيلاني إلى الشعوذة والوسائل الغريبة لعلاج الأمراض في القرية ومن ذلك حفلات الزار والرقي والتعاويذ.

ثم يتحدث عن ذكريات شبابه في الحلقة التاسعة، تلك الذكريات التي عاشها وهو (بكفرة علي أغا) بطنطا ذلك الحي الشعبي العتيق، ومن ذلك ما يذكره عن فتوّة الحي وكيف أصبح زميله

---

(١) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٤٥

(٢) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٥٤

(٣) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٥٤

(٤) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٥٩

أحمد فتوة ذلك الحي بالرغم من أنه غريب عن أهل الحي، ويتطرق الكيلاني إلى قصة الحب الأولى التي عاشها والتي كانت من طرف واحد لفتاة صغيرة تسكن نفس الحي[١]

يؤكد الكيلاني في الفقرة العاشرة التي بعنوان (بعض من عرفت) على أن الوازع الديني هو الذين كان يحكم تصرفاته ويقول: "الذي لا شك فيه أن الوازع الديني كان يحكم تصرفاتنا في هذه السن الباكرة، وتبدو كما لو أن هناك قيوداً خفية تحد من حركتنا الجانحة، وتمنعنا من الزيغ والانحراف، وكنا منذ الصغر نشعر بغم واكتئاب إذا تكاسلنا عن الصلاة، أو ارتكبنا مخالفة تتنافس مع الآداب الدينية"[٢]

كما يتحدث عن الساحة الفكرية والثقافية في خمسينيات القرن العشرين والصراعات التي اشتدت في تلك الفترة بين حزب السعديين الدستوريين من جانب والإخوان المسلمين من جانب آخر، وفي هذا الباب يوضح وجهه نظره في بعض أقطاب الأدب في ذلك الوقت ومنهم العقاد ومحمود تيمور ومحمد عبد الحليم عبد الله وعلى أحمد باكثير وعبد القادر المازني وخالد محمد خالد وطه حسين.

في الحلقة (١١) المعنونة بـ (ذكريات سياسية) يتحدث عن الواقع السياسي في مصر في تلك الفترة التي احتل فيها اليهود فلسطين واستشهد فيها الإمام البنا وتولى فيها حسن الهضيبي منصب المرشد العام للإخوان المسلمين.

يبدأ الجزء الثاني من كتابه بمقدمة ثانية وضع فيها الهدف من كتابة هذا الجزء وعن ذلك يقول: "إن تجربة العمل الإسلامي يجب أن توضع أمام الأجيال بأساليب شتى، ومن مواقع مختلفة، فليؤرخ القادة، وليكتب أفراد الجماهير في القاعدة، ليسجل العدو والصديق فإن تلك المصادر سوف تثرى البحث الجاد وتصل بنا إلى الحقيقة (لكن حذار!) من ثمَّ، لأننا أدرى بما تفعله الصحف والإذاعات والتلفاز والمنشورات التي تسيطر عليها قوى السلطات الدكتاتورية في أية بقعة من بقاع العالم..."[٣]

يبدأ جزأه الثاني بحلقة عنوانها المدينة الجامعية، ويغرق الكيلاني في التفاصيل عندما يتحدث عن مدرائها وتلاميذها، ومواقفها أيام الانجليز وأشهر خطبائها، ويمدح كثيراً. حسن دوح الذي كان له دور في تدريب الفدائيين أيام حرب فلسطين عام ١٩٤٨م

---

(١) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٧٠

(٢) انظر الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٧١

(٣) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٨٦

ويقول: "كانت المدينة الجامعية كما قلت مركزاً لصراعات الرأي والفكر، بما يحتدم فيها من تيارات سياسية وفلسفية متناقضة، على الرغم من أن لائحة المدينة الخاصة تشترط على من يقيم فيها عدم الاشتغال بالسياسة، وكان الصراع السياسي فيها معروفاً لدى الجميع وقد أدركت جهات الأمن والمخابرات ذلك، فدست فيها عيوننا، وحاولت تباعاً أن تفسح المجال بشباب جدد موالين لها"[١] للمدينة الجامعية ذكريات جميلة عنده حيث يقول عنها: "لقد قضيت في المدينة أربع سنوات كانت كالحلم الجميل... شعرت أنها قلب الأم الحنون التي تضم فتاها الريفي القادم من القرية النائية يكاد يبهره البريق، ويذهله زحام المدينة الصاخبة.. وفي المدينة العزيزة لقيت أعز الأصدقاء وأحبهم إلى قلبي.. وقرأت في السياسة والأدب والطب.. وفيها عاصرت أعتى الأحداث وأخطرها."[٢]

كما يتعرض بشيء التفصيل والتحليل للعلاقة بين الرئيس جمال عبد الناصر وجماعة الإخوان المسلمون وقضية النظام الخاص الذي يرأسه عبد الرحمن السندي.

في الفقرة الثانية من الجزء الثاني (مأساة الأقلام) يتحدث الكيلاني عن دور الصحافة في مهاجمة الفساد والملك قبل ثورة٢٣يوليو كما تحدث عن معاداة الإخوان والشيوعيين للملك في تلك الفترة، ويعبر الكيلاني عن رأيه في الثورة في الخمسينات وحركات تطهيرها على الأرض بقوله: "وجاءت حركات التطهير لتخفض وترفع، وقد يكتسح طوفانها أبرياء لا ذنب لهم ولا وزر، سوى الحزازات الشخصية، أو الانتماءات الفكرية المخالفة أو الشائعات التي لا ترحم، وأخذ معظم كبار رجال الصناعة والتجارة والزراعة باتهامات كثيرة لا تفرق بين الجاني والبريء وأصبحت اليد العليا للسلطة البوليسية والمخابرات ولم يعد للقانون مكان أصيل في خضم السلطات الاستثنائية الواسعة، وتبدل الأمن إلى خوف والحرية إلى الإلزام، وأصبح الولاء الأعمى هو العصمة لمن يريد أن يعيش ويرى أبناءه، وسيطر الشك ولوثت الحقائق لمجرد أنها قديمة، وزيف التاريخ لمجرد أنه زمن ما قبل الثورة"[٣]

الفقرة الثالثة كانت بعنوان (أشواق قلب) ويتحدث فيها الكاتب عن مشاعر شباب في بداية حياته قصة من قصص الحب والغرام التي قد يحياها شاب في هذه المرحلة وفي هذه القصة يقدم نصيحة للشباب المسلم بعد أن يشرح ما حدث له: "وكانت تجربة.. وما أكثر ما يعتري سني الشباب من تجارب.. لكني من حين لآخر كنت أحاسب نفسي.. لقد كتبت آنذاك أبياتاً من الشعر العاطفي.. فيها رومانسية الجيل، وأحلامه البائسة، وذكرياته الباكية.. وآماله المحلقة في السماء..

---

(١) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني،٩٥

(٢) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني،٩٨

(٣) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني،١٠٠-١٠١

وأتذكر الآن كيف أن النظرة الأولى كانت تطول... وتطول... وتتبعها نظرة ثانية وثالثة.. وعاشرة.. وأتذكر كيف أن أيام الانقطاع الأولى عن الدروس أورثني الأرق والكآبة كان مثلي كمثل الذي أدمن على فعل شيء ثم منع عنه فجأة.. ألا نعرف أعراض وقف الإدمان؟ لقد كانت لياليا بريئة خالية من العبث تماماً.. لم تخرج عن النظرات والكلمات النظيفة.. لكن يكذب من يدعي أن نفسه لا تحدثه بشيء وهو يجلس منفرداً مع امرأة حتى ولو كان بينهما منضدة رخامية سميكة ضخمة"[١]

في الفقرة الرابعة يتحدث الكاتب عن الحالة السياسية وعن تصدر اللواء محمد نجيب الحركة السياسية في مصر، ويميل في هذه الفقرة إلى الكتابة التاريخية حيث يسرد تفاصيل قيام الثورة وتولى محمد نجيب الحكم، وتفاصيل سيطرة جمال عبد الناصر على الحكم واضطرار محمد نجيب إلى الاستقالة"[٢]

وفي الفقرة الخامسة من الجزء الثاني يتحدث عن حل جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤م وكيف وصل الصدام بين جمال عبد الناصر والإخوان إلى الاعتقالات والسجون والإعدامات.

في الفقرة السادسة والتي بعنوان[زيارة ووداع القدس] يتحدث الكيلاني عن أول رحلة له خارج مصر وقد كانت إلى بلاد مختلفة منها فلسطين والأردن وسوريا وقبرص ولبنان ويحكي في هذه الفقرات كثيراً من المواقف التي تأثر بها.

في الفترة السابعة (الحادث) ويقصد الكيلاني حادث المنشية والتي اتهم فيه الإخوان المسلمين بمحاولة قتل عبد الناصر والاستيلاء على الحكم، والاعتقالات التي طالت كل شباب وشيوخ الإخوان، ثم يتحدث بالتفصيل عن تجربته الشخصية في السجن الحربي وبالرغم من المآسي التي سردها الكيلاني والظلم والقهر والتعذيب الذي عاناه في تلك الفترة إلا أنه يذكر بعض المواقف الطريفة له ولإخوانه داخل الزنازين.

في الحلقة التاسعة والأخيرة والتي تحمل عنوان (المحاكمة) يروي الكيلاني فصول محاكمة رجالات الإخوان المسلمين، ويصورها بالمهزلة.[٣]

الجزء الثالث من سيرة الكيلاني يبدأه بفقرة عنوانها (في قرة ميدان) وهو سجن مصر الذي نقل إليه الإخوان ليقضوا فيه محكومياتهم، ومن ضمنهم الكاتب نفسه الذي حكم عليه بالسجن عشر سنوات.

---

(١) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني،١١٦

(٢) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني،١٢٣-١٢٦

(٣) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ١٩٠ – ١٨١

في الحلقة الأولى من الجزء الرابع [حياة جديدة] يتحدث الكيلاني عن الحياة خارج المعتقل ويوضح لنا كم كانت غريبة بالنسبة إليه هذه الحياة الجديدة مما يدفعه إلى الشرود والصمت دائماً، والسبب يعود إلى ملاصقة المخابرات له، يقول في ذلك: "وقبل سفري إلى الإسكندرية كان عليّ أن أذهب إلى أحد رجال الأمن المسئولين لأستأذن منه في السفر، وأسجل العنوان الذي سوف أذهب إليه، كما كان علي أن أذهب عقب وصولي إلى الإسكندرية، إلى المباحث العامة هناك لأخطره بمجيئي والفترة التي سأقضيها في الاستجمام"(١)

ويعبر عن الصعوبات التي واجهها في الكلية بعد الإفراج عنه بقوله: "وعدت إلى الكلية طالباً منتظماً، وبدأت في مجموعة تدرس أمراض العيون على يد الأستاذ الشهير الدكتور "عبد المنعم لبيب"، كان أستاذاً دقيقاً في عمله لكني بقيت ملتزماً الصمت في الأسابيع الأولى، لأن علومي القديمة بمرور الزمن في السجن لم يبق منها إلا القليل، فكان عليَّ أولاً أن أراجع ما مضى من تعلمهم في المراحل السابقة، ويبدو أن الأستاذ أدرك ذلك، فقال لي ذات يوم وهو يسجل اسمي في الحضور "إنك تعيش معنا كضيف، لماذا لا نشارك في المناقشة، وابتسمت دون أن أجيب، فلم يكن المجال يسمح بشرح الظروف"(٢)

وفي الحلقة الثانية من الجزء الرابع (دنيا الأدب والأدباء) يبدأ حديثه عن واقع الأدب والأدباء في تلك الحقبة الزمنية ويكتب ملاحظاته حول الواقع الأدبي ومن أبرزها:-

١. نظام الشلل أو التحزب أي اجتماع مجموعة مترابطة من الأدباء في مقهى أو في مكان محدد، تجمعهم رؤى سياسية أو فكرية واحدة.
٢. الحذر من البوح بالآراء السياسية مخافة القمع.
٣. ارتباط أفكار الكتاب وإبداعاتهم بسياسة الحكومة.
٤. أصبح الهجوم على الإسلام أسلوباً سائداً من خلال ربطه بالرجعية والجمود.
٥. استيلاء النقاد الماركسيون على الساحة الأدبية.
٦. الوجه الثقافي للوطن مشوهاً.
٧. أدبيات تلك الفترة مكتظة بالتعبيرات الحاقدة ضد الماضي ورموزه.
٨. لم يصاحب ذلك تجديداً في الأشكال الفنية أو الأساليب بل إن الأساليب الأدبية قد انحطت لغتها وكثرت العامية في حوارات القصص.
٩. انطمست هوية الناس أو كادت، ولم تبق سوى فئة قليلة حافظت على توازنها.

---

(١) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ج٤، ٣٠٤

(٢) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ج٤، ٣٠٤

١٠. الكثرة الغالبة في الكتابات تميزت بالقلق الفكري وعدم وضوح الانتماء.[١]

كما يتحدث عن الندوة التي كان يعقدها نجيب محفوظ يوم الجمعة أسبوعياً والتي كان كاتبنا يحضرها باستمرار حتى أصبح سكرتير الندوة. يذكر الأدباء الذين عاصرهم وكانوا يحضرون الندوة ومنهم نجيب محفوظ وعلى أحمد باكثير، عبد الحميد جودة السحار، عباس خضر، عبد الله الطوخي، صالح مرسي.

كما يتحدث عن الأطر الأدبية كمقهى الأدباء بالدقي ورابطة الأدب الحديث، والجمعية الأدبية المصرية ودار الأمناء لدى الأستاذ الكبير أمين الخولي وحرمه الأستاذة بنت الشاطئ.

في الحلقة الثالثة والتي بعنوان (رجال الأمن يعصفون بالندوة) تحدث الكاتب عن إغلاق ندوة نجيب محفوظ ومطاردة من كان يواظب على حضورها. وينقل إلينا مشاعره في تلك الفترة بقوله: "ولقد شعرت بإحباط شديد من جديد، لأن دولة ليس فيها أحزاب أو معارضة رسمية مثل مصر، كان المفكرون والكتاب يجدون ظلاً يلجئون إليه للترفيه والترويح في ذلك المناخ العصيب الذي يفتقر إلى الحرية، والتعبير الصادق عن وجهات النظر لقد كان الحديث عن الحرية في تلك الأيام أكذوبة كبرى، رغم كل ما يدعيه أيضاً ذلك العهد"[٢]

في الحلقة الرابعة يتحدث الكاتب عن اتحاد الكتاب ونادي القصة، يقول:"وموعد اللقاء فيه يوم الثلاثاء من كل أسبوع، وكان النجم اللامع فيه دون شك هو الأستاذ القاص محمد عبد الحليم عبد الله، والذي يتواجد مساء كل ثلاثاء في النادي وهو الذي يقوم بافتتاح الأمسية أياً كان موضوعها، ويقدم المتحدثين، وكثيراً ما يقوم بالتعليق، وهو الذي يختم الأمسية في النهاية"[٣].

كما يذكر فوزه في مسابقة القصة عام ١٩٥٩م حيث قدّم بقصة عنوانها (شجاع)، ولقد كان الكيلاني من مؤيدي الرافعي ويعتبره متميزاً في الأسلوب والمنهج ويوضح ذلك برده على من هاجم أدب الرافعي ورماه بجمود العاطفة في تعبيره الفني، بقوله: "وكان ردّي على العاطفة في شعره، بأن ألقيت بعض أبيات من شعره الرومانسي، وخاصة قصيدته الشهيرة التي بدأها بالبيت التالي:

من للمحب ومن يعينه والحب أهنأه حزينه
أنا ما عرفت سوى قسا وته فقولوا كيف لينه

(١) انظر الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٣٠٩ – ٣١١
(٢) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٣١٥
(٣) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٣١٨

فضجت القاعة بالتصفيق له، وختمت كلماتي بأن الرافعي بأسلوبه المتميز الرصين وتشبثه بلغة الأباء والأجداد، لغة القرآن الكريم، كان حارساً يقضاً مثابراً يسهر على تراث لغتنا، ويحميها من المخربين والأوغاد من دعاة العامية، وأعداء الإسلام."[١]

في الحلقة الخامسة (لقاء الأدباء مع عبد الناصر) تحدث عن مؤتمر كتاّب آسيا وأفريقيا عام ١٩٦٢م، وحضور عبد الناصر لهذا المؤتمر، وفي هذه الفترة ذكر الكاتب أثر الحالة الأمنية وما مرّ به من تعذيب حتى أنه لا يستطيع أن يتصرف حسب طبيعته في المواقف العادية، يقول: "كنت أشعر بالآم شديدة في ركبتي وساقيّ بسبب الوقوف مدة طويلة، وكنت أريد أن أجلس بضع دقائق لآخذ قسطاً من الراحة وتخف الآلام، لكن كيف السبيل إلى ذلك وليس هناك مقعد، هل أجلس على الأرض؟! ونظرت إلى بعيد فوجدت في آخر الساحة المجاورة جندياً عملاقاً من الحرس وبالقرب منه مقعد صغير، فتوجهت نحوه وقلت: "هل تسمح لي بالجلوس بضع دقائق؟"

قال: برقة تفضل.. ومرت دقائق، شاهت بعدها الرئيس يغادر الحفل حول كوكبة من الرجال الكبار في السلطة، وأصابني ارتباك شديد، ذلك لأن الحرس قد يشك بوجودي وحدي في هذا المكان، فماذا ستكون النتيجة لو حدث هذا الشك، ونهضت من مقعدي واقفاً بهدوء حتى لا أثير الريبة، ووقفت وقلبي يدق..."[٢]

كما يتحدث عن فوزه بجائزة أفضل رواية عن روايته اليوم الموعود وعن الاحتفال الذي أقيم بهذه المناسبة.

في الحلقة السادسة (لقاء مع سيد قطب) أبدى الكاتب رأيه في سيد قطب بقوله: " كان مجدداً في أسلوب العربية مثلما كان طه حسين مجدداً بطريقة أخرى، وكانت سطوره تصرخ بالقوة والثورة على الأوضاع الفاسدة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، التقينا معه لقاء الروح والفكر قبل أن ألتقى به شخصاً لشخص، وكان في محاضراته وخطبه واضح العبارة، عميق التأثير، قادراً على الحوار والإقناع، وكان يفسح صدره لمن يحاوره، واثقاً بفكره وإيمانه"[٣] كما يتحدث عن لقائه به شخصياً في القصر العيني حيث كان مقيماً للعلاج تحت الحراسة المشددة، يقول: "واستقبلنا الأستاذ سيد رحمه الله بابتسامه ودود ومحبة صادقة، وكان شقيقه الأستاذ محمد يقف إلى جواره، وجلسنا

(١) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٣١٩-٣٢٠

(٢)(٢) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٣٢٣

(٣) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٣٣٠

نتحدث في شتى الموضوعات ، وكان معظم حديثي كما سبق وشرحت في أحد كتبي السابقة عن الأدب الإسلامي"(١).

في الحلقة السابعة (في أسواق الأدب) يتحدث كاتبنا عن المكتبات العامة ودورها في إثراء اللغة الأدبية عنده من خلال استماعه لآراء الأدباء والنقاشات التي تدور بينهم، والمكتبات التي كان يزورها أسبوعياً وهي: مكتبة التراث، مكتبة وهبة، الشركة العربية بميدان الأوبرا.

ويتحدث باستفاضة عن أول رحلة له إلى مدينة غزة بفلسطين، يقول: "قام المرحوم يوسف السباعي بتنظيم رحلة للأدباء والفنانين إلى مدينة غزة قبل احتلالها وأعتقد أن ذلك كان عام ١٩٦٥م وفي هذا اليوم المحدد انطلقت بنا الحافلات شرقاً إلى القنطرة والعريش في سيناء وأخيراً وصلنا بعد ساعات طويلة إلى مدينة غزة الواقعة على البحر، ونزلنا في فندق الأندلس هناك، وكان هدف الرحلة هو الاطلاع على أوضاع إخواننا اللاجئين الفلسطينيين ثم الكتابة عنهم والتعبير الفني عن مأساتهم، وكان معنا من الممثلين يحيى شاهين، ومن الرسامين بيكار ورخا، ومن الإذاعيين يوسف الحطاب وكان معي طوال الرحلة علي أحمد باكثير، وعدد لا بأس به من الشعراء والكتاب و الصحافيين"(٢)

كما يذكر بعض الأعمال الأدبية الخاصة بفلسطين التي ألفها، يقول: "كنت–كما سبق وأشرت في أحد أجزاء هذا الكتاب– قد زرت القدس والضفة الغربية وباقي أرض فلسطين غير المحتلة في عام ١٩٥٤م أثناء دراستي بكلية الطب. وبهذه الرحلة الأخيرة أي بعد حوالي ثمان سنوات، زرت قطاع غزة مما جعلني الم عن كثب بأوضاع هذا البلد الحبيب، وكان حصيلة ذلك من الناحية الأدبية أن كتبت عدداً من الأعمال الأدبية منها:–

- رواية أرض الأنبياء.
- رواية عمر يظهر في القدس التي ترجمت إلى الانجليزية وعدد من اللغات الشرقية.
- رواية دم لفطير صهيون وهي خاصة باليهود وبعض معتقداتهم المأساوية
- عدد من القصص القصيرة، بعضها في مجموعة (عند الرحيل).
- بعض أجزاء في روايات أخرى لي مثل (الطريق الطويل) ورمضان العبور وغيرهما.

في الحلقة الثامنة والتي بعنوان (نصف الدين) يتحدث الكاتب عن حياته الشخصية وعن لقائه الأول بكريمة التي أصبحت زوجه فيما بعد، وعن قصة زواجه ثم عن أولاده حسام الدين وجلال الدين وعزة ومحمود.

---

(١) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٣٣١

(٢) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٣٣٣

يقول الكاتب عنها:" تبر أهلها، وتحفظ زوجها، وتقرأ القرآن، وتحب الإطلاع على المؤلفات الأدبية والدينية ومغرمة جداً بمؤلفات الغزالي وخاصة كتابه (إحياء علوم الدين) ومنذ أن تزوجنا وهي تراجع مسودة مؤلفاتي من الناحية الإملائية والمطبعية بل اللغوية أيضاً، ذلك لأن والدها رحمه الله قد أحسن تدريس اللغة لها بصورة جيدة، وتعلمت الكتابة على الآلة الكاتبة خصيصاً لنسخ مؤلفاتي عليها..."[١]

كما تحدث عن تجربته العملية في المجال الطبي في قرية شرشابة، والحرب التي شنها زميله الطبيب عليه عندما رفض نجيب الكيلاني أن يبيع الدواء الحكومي أو أن يأخذ أجراً على الفحص الطبي.[٢]

في الحلقة التاسعة (الحريق الكبير) تحدث بالتفصيل عن الحريق الذي وقع في القرية ١٩٦٣م مبيناً بأسلوبه الأدبي تأثير هذا الحريق على الفلاحين.

في الحلقة العاشرة تحدث الكاتب بالتفصيل عن الحياة الصعبة في القرية وبعض الممارسات السيئة لموظفي الحكومة في المجمع الطبي أما في الحلقة الحادية عشر فقد تحدث الكاتب عن ذكرياته في القرية وهو يعمل كطبيب في الهيئة الطبية التابعة للسكك الحديدية.

في الحلقة الرابعة عشرة يتحدث عن أخيه الأصغر محمد، وتلمح من خلال كلماته مدى حبه لأخيه، يقول. "ولقد كان أخي محمد. ومازال. الأخ والصاحب والابن، ولا أعتقد أن هناك من هو أخلص لي منه، وهذه نعمة من نعم الله علينا.. فهو إلى جواري في شيخوختي، يسهم بجهوده المتواصلة من أجل راحتي وإسعادي، ولا أذكر أنه رفض لي طلباً قط"[٣] وعن حياته الأسرية، ومعاناة زوجه وأبنائه جرّاء انتدابه من مدينة إلى أخرى.كما تحدث عن الأمراض السلوكية في المجتمع الطبي كالرشاوى.

في الحلقة الخامسة عشر يتحدث الكاتب عن قضية الحرية تحت عنوان (أدب الحياة والحرية) ويبرز الكاتب القصص والروايات التي كتبها في إطار هذا الموضوع ومنها رواية النداء الخالد ورواية الكأس الفارغة، التي لم تطبع لأنه سلمها إلى مطبعة النزهة التي فرضت الحكومة عليها الحراسة واستولت على أموالها وضاعت الرواية مع ما ضاع من مقتنيات المطبعة.

في الجزء الخامس والأخير يبدأ حلقته الأولى والتي بعنوان (الوداع يا دنيا) بقصة اعتقاله الثانية ويعبر عن واقع السجن بقوله: "هنا سوف يستقر بنا المقام لا ندري إلى متى، فلم يعد لدينا

---

(١) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٣٣٩

(٢) انظر الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٣٤٤

(٣) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٣٦

قدرة على التنبؤ بشيء، ومع ذلك يسود شعور عام بمستقبل مفزع غامض لا يعرف أي أحد تفاصيل عنه، وقد يعتقد البعض أن الذي لا يزج باسمه في قضية أو تحقيق برئ، ولا يصلح أن يقلق على مصيره، هذا الاعتقاد هراء، فالكل متهم، والكل معرض للنقمة والانتقام، وسوط الجلاد لا يفرق بين سجين وسجين، إن كل من يدخل إلى السجن، ويصبح وراء الأسوار يصبح مهدر الدم لا وزن له ولا قيمة، وهو إلى الحيوان الأعجم أقرب، لكنه للأسف لا يستمتع بحقوق الحيوان، وليس له جمعية رفق كتلك التي تهتم بالحيوان.."[١]

وفي الحلقة الثانية (مشاكل وهموم) يتحدث الكيلاني عن قصص المعتقلين داخل سجن أبو زعبل، وأحلامهم التي تدور حول الإفراج ولا شيء غيره، يقول الكاتب: "قال لي ذات مرّة، لكم يؤسفني أن أرى طبيباً وأديباً محترماً مثلك يرتدي هذا الزي المحزن. قلت بابتسامة دامية: "أنا لا أخجل أو أشمئز من هذا الملبس، فلن يغير من حقيقتي شيئاً، ولن يخفض من قدري أمام نفسي، لم رتكب عملاً ألام عليه أو خطيئة أستحي منها، وهذا أمر الله.."[٢]

وفي الحلقة الثالثة (الليالي الطويلة) يتحدث الكاتب عن الليالي التي قضوها في السجن، ويذكر بعض المعتقلين الذين اعتقلوا خطأ أو الذين اعتقلوا فقط لأنهم كانوا ضمن الاعتقالات سابقاً في ١٩٥٥م، بالرغم من أنهم حوكموا لسنوات طويلة قضوها في السجن.

في الحلقة الرابعة من الجزء الخامس والتي تحمل عنوان(أبو زعبل الجديد) يتحدث الكاتب عن قصة نقله من سجن أبو زعبل إلى سجن أبو زعبل الجديد، ويعبر الكاتب عن مشاعر الصدمة التي يشعر بها هو وزملائه عند وصولهم لهذا السجن، حيث كانوا يأملون في الإفراج عنهم، يعبر عن ذلك بقوله: "ولم يكن من الصعب علينا أن نعرف أن هذا هو معتقل أبو زعبل الجديد، وتبخرت أحلام الإفراج أمام الحقيقة المرة الواقعة، وداهمنا غم شديد حتى لكأننا نعتقل مرة أخرى، ونزلنا من السيارات وجلسنا القرفصاء، وخرج علينا رجل ضخم الجثة، مكفهر الوجه، يميل إلى السمرة، ويرتدي زي الشرطة وقال، (هل سمعتم عن الصول الجوهري؟)"[٣]

ويذكر الكاتب في هذه الحلقة بعضاً مما عاناه في سجن أبو زعبل الجديد حيث يقول:

"واستقر بنا المقام مرة أخرى في هذا المكان، لكن الذي آلمني أشد الألم هو تلك التحقيقات الرهيبة التي تجري في ساحة الدور الأرضي طوال الليل، وكان التعذيب مستمراً، وكذلك الصراخ والعويل والاستغاثة مما جعلني أعاني من الأرق بعض ليال، ولم أكن أستطيع النوم إلا ساعتين

---

(١) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٤٠٠

(٢) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٤١٤

(٣)(٣) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ج٥، ٤١٨

وقت الظهر، لكني تعودت على المأساة بمرور الوقت، وأمسيت أستطيع النوم مع صدور تلك الأصوات البائسة"[١]

ويقول أيضاً: "ما أقسى ما تمر الأيام. لقد تشوقت لرؤية أولادي، ألم يكن من العدل أن يسمح لنا بالزيارة أو حتى المراسلات"[٢]

كان مجرد النداء على اسم المعتقل في سجن أبو زعبل يبث الرعب في قلبه كما يرى الكاتب، حيث يقول: "في إحدى الليالي سمعت اسمي في الميكرفون فأصابني ارتباك شديد، وخاصة أن اسمي جاء بين عدد من أسماء شباب الإخوان القدامى أعضاء الجهاز السري، وبعض المتهمين في قضية السلاح، وكان معروفاً أن من يسمع اسمه في الميكرفون عليه أن يجمع حاجاته، ويستعد للرحيل إلى السجن الحربي، فقمت وأنا في غاية الاضطراب لأرتدي حذائي، وأربط بقجتي..."[٣]، والبقجة في العامية المصرية تعنى صرة الملابس.

وفي الحلقة أيضاً يروي قصصاً حول أولئك الذين سجنوا ظلماً بمعنى أنهم لا ينتمون إلى جماعة الإخوان المسلمين، ولكن كان سجنهم خطأ، ومن ذلك أولئك الأشخاص الذين اعتقلوا في قضية الحلبة، ومختصر هذه القصة أن أحد الفلاحين كان يسجل أسماء العمال في كراسة ويكتب أمام كل اسم ما أخذه من أجر، الطالب الذي كان مكلفاً بالكتابة في الكراس أمسكته الشرطة أثناء عودته في الحقول أثناء بحثهم عن سارقي المواشي ووجدوا الكراس معه فاتهم بتكوين تنظيم سري ضد الحكومة لقلب النظام وأمام دهشة الناس سيق الفلاحون الذين لا يقرأون إلى القاهرة، ووضعوا في السجن رهن التحقيق"[٤]

ثم يقول الكيلاني في النهاية: "الواقع أن عملية الاعتقال التي اجتاحت مصر في تلك الأيام كانت عملية طائشة عشوائية على نطاق واسع، ولم يكن لها ما يبررها، ولقد كتب صلاح نصر مدير المخابرات في عهد عبد الناصر في مذكراته أنه رفض أن يتولى قضية سيد قطب، معللاً ذلك بأنها ليست قضية مما ضايق منه عبد الناصر وقال له: "احنا كل ما نقول لك امسك حاجة تقول لأ: خلاص شمس بدران هيمسك القضية وقال صلاح نصر في مذكراته أيضاً أنه بعد صدور الحكم بإعدام سيد قطب، طلب صلاح من الرئيس عدم التصديق على الحكم لأن إعدامه

---

(١) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ج٥، ٤١٩

(٢) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ج٥، ٤٢٠

(٣) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ج٥، ٤٢١

(٤) انظر الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٤٢٢

ومجموعته (حرام) ... فتبرم عبد الناصر من كلامه وقال له: كفاية.. مراتي بتقول حرام.. وأنت بتقول حرام.. خلاص.. أنا صدقت على الحكم"[١]

في الحلقة الخامسة [السجون السبعة ونهاية المطاف] تحدث الكيلاني عن السجون التي دخلها وهي:- السجن الحربي، سجن مصر (قرة ميدان)، سجن أسيوط، سجن القناطر الخيرية، سجن القاهرة، سجن أبو زعبل، سجن أبو زعبل الجديد، سجن مزرعة طرة.

ويذكر في هذه الحلقة آثار التعذيب على المعتقلين فمنهم من أصيب بالأمراض كالكبد الوبائي والقلب والشلل وغيرها، ومنهم من أصيب بالأمراض النفسية المستعصية، ومنهم من أصيب بالجنون، ومنهم من أراد أن يرتدّ عن دين الإسلام، ولكن الكاتب يؤكد أن الكثيرين من المعتقلين ضربوا مثالاً للصبر والإيمان بالقضاء والقدر"[٢]

صفاته:

١. تميز بحبه الشديد لعائلته، وتضحيته براحته من أجلها، يقول:-

"إن الصداقة الحقة، وصلة الرحم الحميمة، يشكلان أهمية قصوى في حياتي، وأعتبرها ضرورة من ضرورات الحياة، كالطعام والشراب، بل الماء والهواء"[٣]

٢. كان الكيلاني مميزاً في دراسته:- يقول: "وكان ترتيبي الأول في دراستي مما يجعله يعتز بي في مجالسه الخاصة"[٤] يقصد أبيه.

٣. كان محباً للرياضة. يقول: "كنت أعشق كرة القدم وألعاب القوى، وكان بالقرية مساحات شاسعة تصلح للعب، كما كانت (جماعات نشر الرياضة بالقرى) والتي يرأسها الأمير عمر وإبراهيم تؤدي دوراً بارزاً للفلاحين، ولهذا استطعت أن أتقن اللعب الكثيرة مثل رمي الرمح والقرص والجلة، والوثب الطويل والوثب بالبوصة، والجري لمسافات طويلة، كما تقدمت كثيراً من لعبة كرة القدم، وأصبحت واحداً من الفريق الرسمي لمدرسة طنطا الثانوية الجديدة"[٥]

٤. يميل الكيلاني إلى إظهار وجهة نظره فيما يتطرق إليه من قضايا، ومن ذلك ما ذكره عن نظام الإقطاع حيث يقول: "وقد عانى الفلاحون الكثير من العناء والتعاسة من هذا

---

(١) انظر الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٤٢٤

(٢) انظر الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٤٣٦ – ٤٥٠

(٣) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٣٦٧

(٤) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ١٧

(٥) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ٥٢

الأسلوب الخبيث الجائر، وكانت الأراضي المستأجرة في غالبيتها تخص أثرياء من خارج القرية"[١]

٥. يلجأ الكيلاني إلى إيضاح الشيء وضده، ويقارن بين الماضي والحاضر فمثلاً عند حديثه عن الوضع الاجتماعي والصحي في القرية قارن بين الوضع قديماً والوضع حديثاً"[٢]

(١) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني٣٧

(٢) الكيلاني، مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني٦٢ – ٦٣

ذكريات لا مذكرات

عمر التلمساني

يطالعنا كتاب عمر التلمساني بغلاف تظهر فيه صورته وهو في أواخر حياته، بعد أن أصبح المرشد العام الثالث للإخوان المسلمين، وقد ظهر في الصورة من سبقه في رئاسة الجماعة وهم: حسن البنا المرشد الأول للإخوان المسلمين، وحسن الهضيبي المرشد الثاني وكأنهم يدورون حول الكرة الأرضية، والكتاب جزءً واحد يبلغ ٢٨٥ صفحة من القطع المتوسط يبدأ بمقدمة يتلوها مجموعة من الحلقات، كل حلقة تبدأ بتمهيد يوضح ما اشتملت عليه الحلقة، لم يكتبها التلمساني بل كتبها من طبع الكتاب، وقبل التمهيد يكتب العناصر الرئيسية في الحلقة.يرتب التلمساني الأحداث ترتيباً تاريخياً.

وفي مقدمة الكتاب يطالعنا المؤلف بدوافع الكتابة، حيث يقرّ أن هذه رغبة داخلية لديه، خاصةً أنه كان يميل لكتابة المذكرات مسبقاً، حيث يدون كل ما يمر به من أحداث، إلا أنه عزف عن كتابة تلك المذكرات بعد اعتقال دام ١٧ عاماً في سجون عبد الناصر، ثم أفرج عنه إلا أنه لم يفرج عن مذكراته وفي ذلك يقول:-

"زارني في مكتبي بمجلة الدعوة الأستاذ عصام غازي مندوب جريدة الشرق الأوسط في القاهرة وتحدث معي في كتابة مذكراتي، فكان جوابي أنني لا أستطيع كتابة مذكرات صحيحة مطابقة للواقع، لأن مرجعي سلب من يدي، ولكنني إذا كتبت فأكتب ذكرياتي أي ما يعلق بذهني مما مرّ بي في حياتي، ومن المقطوع به أن الذاكرة ليست العماد الراسخ في سرد الأحداث، لأنها عرضة للخطأ حيناً وللنسيان أحياناً"(١)

ثم يوضح أسباب كتابة مذكراته فيقول: مطالبتي من كل قارئ أن يبادر إلى تصحيح ما يراه من وقائع خاطئة سببها اعتمادي – بعد الله طبعاً على ذاكرتي والذاكرة كثيراً ما تنسى... ومن بين الأسباب استجابتي للكثيرين الذين يطالبون بجمع هذه الذكريات في كتيب واحد... ومن الأسباب أنني أحببت أن أعلن عن حقيقتي في مختلف مراحل حياتي كما جاء في الذكريات وأثبته هنا للتأكيد والتذكير، ولم أخف شيئاً إذ ليس في حياتي ما أخجل من ذكره وطرحه على الناصية، وإن خالفني البعض في هذا بحجة أن هذا يليق وهذا لا يليق؟ والأمر في نظري ليس لياقة ولكنه أمر الصراحة التي يجب أن يتسم بها كل من تعرض لهذا الأمر حتى يعرف الناس ما لم يكونوا يعرفون..."(٢)

---

(١) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٤

(٢) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٤،٥

ثم نرى أن الكاتب وضع لنفسه شروطاً في هذا الكتاب ومنها:

١. عدم التطرق للخلافات الداخلية، حيث يقول: "وعلى القارئ أن يلاحظ بدقة أنني لم أتعرض لخلافات أو غيرها حدثت داخل الجماعة، لأنها أمور وقعت وانقضت ولا مصلحة لأحد في نبشها وإخراجها من مثواها لتكون محل نقاش من جديد"[١]
٢. عرض منهاج الإخوان: "هذه الذكريات منهاج إخواني، وجهاز إعلامي يستطيع القارئ معه أن يعرف الكثير مما لم يكن يعرفه عن الإخوان المسلمين ومدى نشاطهم وما إذا كان لهم منهاج"[٢]
٣. عدم التعرض للشخصيات حيث يقول: "كما حرصت على البعد عن الشخصيات كي لا أدخل في نقاش مع أحد في مسائل لا جدوى من ورائها على أي حال"[٣]

ثم يقر التلمساني أن الكتاب كتب على عجل "ولولا إلحاح الكثيرين على نشر هذه الذكريات ما عنيت بها، خاصة وأنها كتبت على عجل ودون مراجع أو مراجعة"[٤]

يقسم التلمساني كتابه إلى حلقات وفي كل حلقة مجموعة من العناوين كل عنوان له قصة تعبر عن شخصية، وفي الحلقة الأولى يسلط الأضواء على طفولته وشبابه ويبدأ حديثه بقوله: "من أنا؟ مواطن مسلم مصري على وشك أن يتم الثمانين من عمره في هذه الحياة ولدت في القاهرة، حارة حوش قدم في الغورية، قسم الدرب الأحمر – في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٠٤"[٥]

وفي هذه الحلقة يعرض أيضاً أيامه الأولى، ويصف وصفاً دقيقاً المكان الذي كان يعيش فيه حيث يسكن مع أبيه وجده في السرايه التي تشبه القصر يحيط به خمسة فدادين موالح البرتقال واليوسفي والمانجو والعنب والبلح بأنواعه"[٦]

ويظهر التلمساني في مذكراته أنه ابن عز وغني فجده باشا (عبد القادر التلمساني باشا). كما أنه نشأ في بيت دين وتقوى حيث "كان الجد من أتباع محمد بن عبد الوهاب، وقد طبع كثيراً من كتب الوهابين على نفقته الخاصة"[٧]

---

(١) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٥
(٢) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٥
(٣) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٦
(٤) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٦
(٥) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٨
(٦) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٨،٩
(٧) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ١٠

كما أنه تأثر بجده وأصدقاء جده من العلماء والذين كانوا يحضرون إلى السرايه أحياناً وكان عمر يحب تلك الجلسات "كان يطيب لي أن أشهد تلك الجلسات وأصغي لتلك المناقشات، حتى تكونت لديَّ الانعطافات والميول إلى علوم الدين"[١]

كما أنه يظهر عواطفه نحو الريف فيقول "نشأت في العزبة، فأحببت الريف وحياة الفلاحين حباً ملك عليَّ كل عواطفي، استحممت في الترعة، وسبب لي ذلك مرض البلهارسيا الذي عانيت وما زلت أعاني منه كثيراً"[٢] ويقول أيضاً "كنت أعشق كل ما في الريف: الشجر، الطير، البساطة. أسبح وأنا بمفردي في عالم لا أدري ما هو"[٣] ويقول أيضا: "كم أتمنى حتى هذه اللحظة أن أعود لأحيا في الريف، بين أحضان السكون الغامر والليل الساجي، مع النجم الساهر، وصيحة الديكة في الفجر الباكر"[٤]

ثم يتعرض التلمساني إلى بعض الأمور التي لا يتفق معه في عرضها في مذكراته بعض إخوانه ومنها الموسيقى، "لم أستطع أن أكون أديباً، أو موسيقياً رغم حبي للموسيقى وعزفي على العود لسنين، ولم أستطع أن أكون شاعراً رغم كل محاولاتي الفاشلة وعرضت ما أكتب على بعض الشعراء فقالوا لي إن ما تكتبه كلام مسجوع في أبيات وليس شعراً"[٥]

ومنها أيضاً صلاته في السينما:- "وكنت أنتهز فرصة الاستراحة (الانتراكت) لأصلى الظهر والعصر مجموعين مقصورين في أحد أركان السينما التي أكون فيها"[٦]

كان التلمساني واضحاً في حياته لا يخفي شيئاً على الآخرين فبرغم معارضة من حوله ذهابه إلى السينما إلا أنه يقول: "فإذا تعجب الحاضرون أو غضبوا، فإنَّ ردّي الوحيد الدائم:

"أن الله يعلم إلى أين أذهب فكيف لا أخشى الله ثم أخشى الناس، والله أحق أن أخشاه"[٧]

والتلمساني كان أثيراً عند أبيه، يقول: "كنت موضع الحب الأول عند أبي، لأنني أنجح سنة بعد سنة دون رسوب، أما أخواي الذين يكبراني فقد زهدا في التعليم واشتغلا في التجارة وحتى هذه لم يفلحا فيها"[٨]

---

(١) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ١٠

(٢) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ١٠

(٣) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ١١

(٤) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ١١

(٥) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ١٢

(٦) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ١٣

(٧) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ١٣

(٨) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٣

كما أنه كان مثقفاً، يقول: "كنت أقرأ جريدة المقطم وأنا في سن العاشرة، وأتابع أحداث الحرب العالمية الأولى في شغف، وكنت أرجو أن يهزم الانجليز لتتخلص مصر من الاستعمار البريطاني"[١]

كما أنه كان مدافعاً عن الحق منذ طفولته،ولا يخاف في ذلك لومة لائم حيث يذكر قصة انتقاله من إحدى المدارس قائلاً: "حدثت شوشرة بالفصل خلال الفسحة فحضر ضابط المدرسة وانتهرنا، وطلب الصمت الكامل، وأخذ يمر بين المقاعد، فرأى طالباً اسمه محمد علي سالم يتحرك فجذبه من بدلته، فسال الحبر على ملابسه وعزّ عليَّ هذا المنظر، وما كنت أعلم عن حالة هذا الطالب المادية شيئاً... ولكني رأيت حالة ظلم فلم أقوَ على السكوت فالتفت إلى الضابط صائحاً: ما هذا الظلم؟.. فطلب منى مغادرة الفصل فأبيت فجذبني من ملابسي وكان أقوى طبعاً، فلم أكن إلا يافعاً.. وأخرجني من الفصل بالقوة، ثم تركني على الباب وذهب إلى الدرج الذي به كتبي وكراساتي وقذفني بهما، فتناولتها وقذفته بها، وظللنا حوالي الدقيقة نتقاذف بالكتب حتى ضاق بي ذرعاً، فأمسك بي وجرّني إلى ناظر المدرسة"[٢]

وكان محباً للرياضة خاصة الملاكمة إلا أنه يقول: "معلمي إياها ضربني بوكساً جعلني أعتزلها إلى الأبد"[٣]

في الحلقة الثانية من مذكراته يتعرض التلمساني لبعض مبادئه وأفكاره ومنها:

١. رأيه في الزواج يقول: "الزواج يجب أن يقوم أولاً على رضاء الوالدين، ورضاء الزوج، أما تخطي إرادة الوالدين،فما الزواج إذ ذاك إلا نزوة اتصال، حتى إذا تمَّ الاتصال وتكرر وأصبحت المحبوبة طوع اليمين، تبخر كل ذلك الغليان العاطفي، ولم تبق إلا صلة صداقة بين الزوجين"[٤]
٢. اعتراضه على الدروس الخصوصية: "فأي احترام يقوم بين طالب يدفع لأستاذه مالاً مقابل الحصول على المعرفة، وبين الأستاذ الذي يمد يده ليتناول الأجر من الطالب؟"[٥]

---

(١) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ١٤

(٢) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ١٤،١٥

(٣) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ١٥

(٤) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ١٩،٢٠

(٥) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٢٠

٣. المساواة بين الرجل والمرأة: "فأنا مازلت أعتقد أن الرجل رجل وأن المرأة امرأة ولذلك خلقها الله، ولا يستطيع البشر أن يغيروا حكمة الله في خلقه مهما قدموا لشبابنا المسلمين من نظريات براقة تدعو إلى المساواة بين الرجل والمرأة"[١]

٤. حلاقة الفتيات للرجال: يقول التلمساني:"كنت في فندق بمدينة كومو في إيطاليا، وحددت موعداً في صالون الفندق للحلاقة فلما دخلت لم أر إلا سيدات فسألت: من سيحلق شعري؟ فأشاروا إلى فتاة فقلت أليست من رجل قالوا: لا فقلت: لا رجل إذن لا حلاقة"[٢]

٥. ويتعرض لبعض صفات من شخصيته فيقول: "عرفت كل ما يعرفه الشبان الوارثون، عدا الزنا والخمر، من ارتياد السينما والمسرح والرقص في الحفلات"[٣]

٦. نظرته إلى الأحزاب:- "كانت الخلافات بين الأحزاب في ذلك الحين على أشدها، لكنها كانت خلافات بين رجال مهما اشتدت الخصومة بينهم في القضايا العامة، فقد كانت علاقاتهم الخاصة على أحسن ما تكون"[٤].

٧. ثم يعلق على وضع الأحزاب بعد ذلك فيقول: "وما من شك أن الحزبية في صورتها الحالية، نكسة مريرة في عالم الديمقراطية"[٥]

٨. العلاقة بين المسلمين والمسيحيين والفتنة:- "يعلم الله أنه لا فتنة هنا، ولا طائفة هناك، الكل مصري يدين بديانته دون تدخل، ويباشر نشاطه دون عراقيل ويحيا حياته هادئاً آمناً مستقراً"[٦]

٩. عدم الإساءة للآخرين:- "أخذت على نفسي عهداً بألا أسيء إلى إنسان بكلمة نابية، حتى ولو كنت معارضاً له في سياسته، وحتى لو آذاني"[٧]

وفي نهاية الحلقة الثانية يحدد التلمساني العوامل التي أثرت فيه وكوّنت شخصيته بقوله:-

"وهكذا ترى أن البيئة الدينية التي نشأت فيها، والرغبة في البعد عن السفاسف وعن العبث، ورعاية الوالد، وطريقته في تربية أبنائه، وحبي لمجالسة ومسايرة من هو أكبر مني سناً، وعزوفي

---

(١) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٢١

(٢) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٢٢

(٣) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٢٠

(٤) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٢٣

(٥) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٢٣

(٦) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٢٣

(٧) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٢٥

الكامل عن الدخول في المناقشات السفسطائية، وحيائي واحترامي لمشاعر الناس جميعاً، كل ذلك كان له أكبر الأثر في التكوين النهائي الذي أنا عليه"[١]

أما في الحلقة الثالثة يتحدث الكاتب عن موسم الاعتقالات واغتيال حسن البنا ويلقي الضوء على الإخوان المسلمين وكيف انضم إليهم، وفي الفقرة المعنونة بموسم الاعتقالات يتحدث عن بعض المواقف التي مرّت به ومنها. "فغفرت لما كان عليه من اضطراب وقلق، ووقف خلفي مسدسه – بين كتفي – ضابط كبير اسمه (عمر حسين) ولعله كان رئيس المباحث في ذلك الوقت.. وحدثتني نفسي بأن أخرج من جيبي علبة السجائر لأدخن سيجارة، ولكن في لمح البصر أدركت موقف الضابط الذي يقف خلفي بمسدسه بين كتفي وقدرت أن وضع يدي في جيبي يؤدي إلى الظن بأنني سأخرج سلاحاً، رغم التفتيش الذي قبل المقابلة، فيفرغ رصاصه في رأسي، وأموت فطيساً في غير معركة وإن كانت الميتة استشهاداً حقيقياً"[٢]

وفيها أيضاً يتحدث عن اغتيال حسن البنا وعن تخرجه من كلية الحقوق سنة ١٩٣١م، كما يعرج في حديثه عن شباب الإخوان المسلمين وأناقتهم، وعن قصة انضمامه لجماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٣٣م.

في الحلقة الرابعة يتحدث تفصيلياً عن الإخوان المسلمين ومن الموضوعات التي اهتم بالحديث عنها كالتنظيم السري للإخوان، عمله أمين خزانة الإخوان، محاولة أحد الوزراء رشوته، أما في الحلقة الخامسة فيتحدث عن المواجهة التي حدثت بين طه حسين عميد الأدب العربي وحسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين، كما أنه يذكر بعض المواقف التي جمعته بحسن البنا ويتطرق إلى قضية مهمة عند الإخوان وهي رأيهم باليهود ورأيهم بالإعلام في ذلك الوقت في الحلقة السادسة، وفي الحلقة السابعة يبين رأيهم في العنف ويحدد مفهوم القومية ورأي الإخوان المسلمين فيها، وفي الحلقة الثامنة يحدد كذلك عناصر التخلف في المجتمع وهي: الاستعمار – الحزبية – الربا، وفي الحلقة التاسعة يتحدث عن الجهاد ومظاهر الفرقة في المجتمع المصري والهدف الرئيسي للإخوان.

وفي الحلقة العاشرة يعرج التلمساني على النهج الاقتصادي الإسلامي وتحريم الكسب الخبيث

يقارن التلمساني بينه وبين من سبقه من المرشدين في الحلقة الحادية عشرة، ويوضح مدى حبه وانبهاره بسلفيه (حسن البنا وحسن الهضيبي)، ويعرج على قضية جد مهمة وهي قضية جذور

---

(١) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٢٤

(٢) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٢٦

التكفير، وفتنة سنة ١٩٥٤م في الحلقة الثانية عشر أما في الحلقة الثالثة عشر فيتحدث عن قصة الخلاف بين عبد الناصر والإخوان المسلمين وإلغاء الأحزاب.

في الحلقة الرابعة عشر يتحدث عن علاقة الإخوان بعبد الناصر بعد ١٩٥٤م، أما في الحلقة الخامسة عشر فيتحدث عن تجربته في السجن الحربي وسجن الواحات، وما لاقاه من عذاب ويعرج فيها على أهداف عبد الناصر في تلك الفترة وما سبقها ودور الإخوان في نجاح ثورة يوليو.

فلسفة الحل الإسلامي السياسية والاقتصادية تحدث عنها التلمساني في الحلقة السادسة عشر وأبرز رأيه فيها.

وفي الحلقة السابعة عشر تحدث عن أمور خاصة بالإخوان منها محاولات لتغيير اسم الإخوان، والقيادات البارزة للإخوان في حرب فلسطين.

يؤكد التلمساني في الحلقة (١٨) على أن حادث المنشية مسرحية أعدها عبد الناصر لتصفية الإخوان وينقل إلينا تصريح الهضيبي: أنا بريء من كل دماء الاغتيالات، بل إنه يقول أن من أطلق النار على عبد الناصر حي يرزق ويتمتع بمركز مرموق، كما يؤكد في الحلقة (١٩) على أنه أصبح المرشد العام للإخوان لأنه كان أكبرهم سناً واعتبر ذلك مصادفة، وفي الحلقة العشرين يتطرق الكاتب إلى العلاقة بين الوفد والإخوان والتعاون بينهما، أما في الحلقة الواحدة والعشرين فيتحدث عن قضايا شائكة منها ما أثير عن الإخوان بأنهم يتدربون على السلاح في ألمانيا وزيارة من اليهود والمستشار الصحفي الأمريكي للإخوان المسلمين، كما يعرج في حديثه على الجهاد في أفغانستان.

أهم القضايا والمحاور التي ركزت عليها السيرة:

١. وصف تفصيلي لسنين عمره الأولى ولبلدته التي ولد فيها.
٢. صفاته الشخصية ومبادئه وأفكاره والأشياء التي أثرت في بناء شخصيته.
٣. جماعة الإخوان المسلمين والتزامه بها.
٤. السجن والاعتقال داخل سجون عبد الناصر وصور من التعذيب.
٥. آرائه الفكرية في السياسة – في الاستعمار والحزبية، اليهود، الإعلام، التكفير في المجتمع المسلم وآرائه في الاقتصاد (الربا، والمنهج الاقتصادي الإسلامي).
٦. علاقته بالمرشد الأول الشهيد حسن البنا والمرشد الثاني حسن الهضيبي.
٧. حادث المنشية وأثره على الإخوان.
٨. عمر التلمساني مرشداً عاماً للإخوان المسلمين.

كشف المستور

منير الغضبان

كتاب كشف المستور يبلغ ٣٦٦ صفحة من الحجم الصغير، وهو جزء من سلسلة الريادة الذاتية (أفكاري التي أحيا من أجلها)، قسم الكاتب كتابه إلى مائة فكرة كل فكرة يضع لها عنواناً ثم يتحدث عنها بالتفصيل مستشهدا ببعض القصص والمواقف ذات العلاقة.

يبدأ كتابه بإهداء إلى العاملين في الحقل الإسلامي ثم يتحدث عن هدف السلسلة (أفكاري التي أحيا من أجلها) فيقول:- "وحتى لا نحول الفكر إلى لوحة تاريخية كتبت بالخط الفارسي أو الكوفي نأمل أن تكون السلسلة واضحة في مضامينها صريحة في آهاتها ومسراتها جديدة في توجهاتها وغاياتها لأن القديم وحده لم يعد كافياً"[١] أي أن الغاية ليست تاريخية بل الغاية فكرية تربوية، حيث يقول بعد ذلك: "ولذلك نسعى إلى إحياء معالم الفكر الطموح غير المستهلك والعقل المنجز الفاعل غير الناظر فحسب وإرادة الإنسان الكريم من خلال بث قيم الحب والتسامح والعدالة والتغافر والتناصح والكرامة"[٢] بالرغم من أن علي المقدسي مقدِّم الكتاب يرى أن الكتاب "وثيقة تاريخية لسيرة رجل كبير، قدم للإسلام عمره، وأحب وطنه واستبسل في الدفاع عنه، والنصرة له، وقوبل بطرد وتهجير واغتراب"

وفي مقدمة الكتاب يوضح الكاتب سبب كتابة كشف المستور، ويؤكد أن الأستاذ علي المقدسي كان وراء ذلك حيث أنه أقنعه بأسلوبه المهذب وبخلقه الدمث بأن من واجبه أن يكتب سيرته، لأنها تجربة قد تستفيد منها الأجيال ويؤكد الغضبان على هذه الغاية بقوله:-

"وأنا أقول: إن استفاد الشباب من هذا الكتاب فنعماً به ويكفيني إن خرجت منه كفافاً لا علي ولا لي إني إذن لسعيد"[٣]

قسم الكاتب منير الغضبان(كشف المستور) إلى مراحل:

أولا: النصف الأول من العمر، حيث قسمه إلى عدة أجزاء:

- (في الجذور مرحلة إلقاء البذار) ١٩٤٢م – ١٩٥٢م
- المرحلة الإعدادية
- المرحلة الثانوية (المرحلة الأتقى والأرقى) ١٩٥٢م – ١٩٥٧م

---

(١) الغضبان، كشف المستور، ٨

(٢) الغضبان، كشف المستور، ٨

(٣) الغضبان، كشف المستور، ٩

- المرحلة الجامعية (مرحلة الشباب الطموح والإنسان الفاعل)
- ثانيا: النصف الثاني من العمر (من الثلاثين إلى الثانية والستين) من الأفق المحلي إلى الأفق الوطني والعربي والإسلامي.
- المرحلة الأولى ١٩٧٢م – ١٩٨٠م (العمل في الرئاسة العامة لتعليم البنات في المملكة العربية السعودية).
- المرحلة الثانية من عام ١٤٠٠هـ – ١٤٠٧ (١٩٨١م – ١٩٨٧م) مرحلة العمل في قيادة الجماعة الإسلامية في سوريا.
- المرحلة الثالثة الأخيرة من عام ١٤٠٧هـ – ١٤٢٥هـ (١٩٨٧م – ٢٠٠٤م) من الخامسة والأربعين إلى الثالثة والستين مرحلة الجامعة الندوة.(المعيشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم)

يحدد منير الغضبان أفكارًا، وربما نستطيع أن نسميها دروساً مستفادة لكل مرحلة من المراحل، وإني أرى أن المسلم لو استطاع تطبيقها لأنشأ جيلاً ومجتمعاًصالحًا.

اولاً: المرحلة الأولى في النصف الأول من عمره وهي مرحلة إلقاء البذار كما أسماها (١٩٤٢م – ١٩٥٢م) فيحدد فيها أحد عشر فكرة :-

- الفكرة الأولى: أتقن وأجد فالحياة هبة من الله عليك استثمارها واستذكر لطف الله وعونه لك.
- الفكرة الثانية: استكمل مؤهلاتك الفكرية والنفسية ولا تنظر إلى الشهرة.
- الفكرة الثالثة: فجر طاقتك وادع مواهبك وكن نسيجاً فريداً.
- الفكرة الرابعة: تعرف على كل من حولك وصادق العظماء تصبح منهم.
- الفكرة الخامسة: المعرفة نماء ثقف نفسك وغذّ عقلك.. تصفو حياتك.
- الفكرة السادسة: الطفولة بعد رائع في مشاريعنا فلندعم هذا العالم الجميل الرائع.
- الفكرة السابعة: أقم علاقاتك مع أبنائك على أساس القناعة والاحترام وخالطهم بالناجح واحقنهم بخلق المناعة لا المنع.
- الفكرة الثامنة: اهتم بنقاء جو الأسرة وحفز عائلتك على الخير.
- الفكرة التاسعة: المسئولية الفردية واستشعار رقابة الله والإحساس بوخز إبرة الضمير أساس التربية الناجحة، وفي اللاوعي تنبت المحاسبة.
- الفكرة العاشرة: اعرف رسالتك، حدد مسيرتك – تصل إلى هدفك.
- الفكرة الحادية عشرة: تعامل مع الناس بحكمة واستثمر أحسن ما لديهم، وكن ذكياً في معرفة نقاط القوة عندهم.

يحكي لنا منير الغضبان في تعليقه على الفكرة الأولى، والتي من المفترض أن تكون بداية حياته رؤيته للموت أربع مرات، في المرة الأولى كان في الرابعة من عمره أوشك أن يموت على يدي سائق شاحنة لولا أن السائق استعمل الكوابح بقوة، وفي المرة الثانية غرقاً، وفي الثالثة انقلاب السيارة على حافة طريق جبلي، وفي الرابعة ضغط على دواسة البنزين بدلاً من الفرامل فطارت السيارة ولم يوقفها إلا الجدار، لذلك جعل الفكرة لهذه الفقرة أتقن وأجد فالحياة هبة من الله عليك استثمارها.

فالغضبان يرصد مواقف حدثت معه ثم يعلق عليها ويستخلص لنا درساً نافعا نستفيد منه في حياتنا مستشهداً من القرآن الكريم على هذا الدرس ثم يسميها فكرة.

أما في المرحلة الثانوية فقد ركز الغضبان على أمر مهم جداً، وهو العلاقة الطيبة بينه وبين أقرانه بغض النظر عن توجهاتهم السياسية والفكرية، كما اهتم بأثر رفاق السوء وبأنهم قادرون على أن يعينوا على الانحراف، و يبين أثر الشهرة على الطلاب في هذه الفترة من حياتهم، كما وضح وجهة نظره في الحزبية.

كما بين موقفه من عبد الناصر والوحدة حيث أيد الغضبان الوحدة، ولكنه لم يحب عبد الناصر، يقول معبراً عن رأيه: "سبحان الله وبمقدار ما كانت سعادتي بالوحدة وعواطفي ومشاعري وكياني كله معها لكن لم يدخل عبد الناصر إلى قلبي وتذكرت السجون والمعتقلات والأعلام على أعواد المشانق فلم يفتح قلبي له!"[١]

يحذر الغضبان في كتابه من أمراض النفس كالغرور والرياء وأمراض اللسان وآفاته واعتبارها من المهلكات.

كما يحث الغضبان على القراءة والمطالعة الدائمة ويعتبر أن الغذاء ضروري جداً للعقل حتى تنعم الحياة، يقول:- "كنت لا أتحرك إلا وكتابي معي، أقرأ في السيارة، أقرأ في الطريق في كل مكان يتاح لي فيه أن أقرأ"[٢]

أما في حديثه عن الحياة الجامعة يؤكد على ما يلي:-

بقدر ما يتطابق الداعية مع فكرته، وبقدر ما يؤمن بها يجد نصرة ربه واحترام من حوله،يجب على المسلم أن يكون صادقاً ولا يخاف في الله لومة لائم، كما أن لذة طاعة الله وثمرة الأجر تنسي المسلم مشاق العمل وأهواله.

---

(١) الغضبان، كشف المستور، ١٦

(٢) الغضبان، كشف المستور، ١٦٧

والنضال الفكري والجهاد المعرفي وسام شرف وعز في الحياة، ومن خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع.

كما يذكر بعض الأحداث السياسية ومنها الانفصال عن مصر أو انتهاء الوحدة بين مصر وسوريا ورأي الإخوان المسلمين فيها، ويعرج على رأي على الطنطاوي حيث كان مع الانفصال عن مصر.

كما يحدد الأساس في التعامل مع الآخرين والعلاقة بين المصالح والمبادئ ويضع قاعدة مهمة للتعامل مع الآخرين حيث يقول:"تعامل مع الآخرين مصالح بمصالح فقد تلتقي المصالح، لكن ليس على حساب المبادئ[١] كما يرى أن الأعياد والاحتفالات مواسم طيبة للتواصل مع الناس ويوجه كلامه للداعية بقوله "لا تنسَ دعوتك إلى الله أينما انتقلت وارفع هدفك حتى لا تسقط"[٢]

يبدأ الغضبان بعد ذلك حديثه عن النصف الثاني من عمره ويؤرخ للمرحلة الأولى (١٩٧٢ – ١٩٨٠) وهي عمله في المملكة العربية السعودية.

وفي هذا الجزء يتعرض إلى حياته الخاصة ويبتعد قليلاُ عن حياته العامة حيث ينقل إلينا مشاعر الفرح التي أحس بها في مناسبات محددة وهي فرحته بالنجاح (في الصف الخامس، في الصفوف الانتقالية، التخرج من الجامعة الدبلوم العام في التربية الدبلوم الخاص بالأدب العربي)

فرحته بالزواج وفرحته بالولد خصوصاً أنه لم يأت إلا بعد أربع سنين من الزواج وفرحة ظهور كتاب أبي ذر الغفاري وينقل أيضاً لحظات الحزن التي عاشها ومنها: فقدان مصطفى السباعي _رحمه الله_ وفقدانه لوالده، والحزن على الانفصال عن مصر، وكارثة الثامن من آذار وكارثة الخامس من حزيران.

ويتحدث عن تعاقده إلى السعودية وعمله موجهاً تربوياً عاماً لمدارس البنات، ويتطرق من خلال ذلك إلى أهمية التعليم في حياة المسلم.

يعود الغضبان للحديث عن حياته في الحركة الإسلامية، وعن الاختلافات في وجهات النظر ودوره في تذليل الصعوبات لإنهاء هذه الخلافات ثم يتعرض الغضبان للكتب التي ألفها ومنها:-

- إليك أيتها الفتاة المسلمة.
- الأخوات المسلمات.
- من معين التربية الإسلامية.
- المسيرة الإسلامية للتاريخ

---

(١) الغضبان، كشف المستور، ١٧٨

(٢) الغضبان، كشف المستور، ١٨٤

- الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام.

خلال حديث الغضبان عن رسالة الماجستير التي قدمها والتي عنوانها (الاتجاه الإسلامي عند الرصافي) يعلِّمنا درساً هاماً في الحياة وهو (من استعمل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه)

ثم يعود للحديث مرّة أخرى عن لحظات معنوية مؤثرة في حياته ومنها:-

- رؤيته الكعبة المشرفة لأول مرة.
- أداء مشاعر الحج.
- وصول خبر استشهاد أخيه أبي أسامة.
- صعود غار حراء.
- ولادة ابنته أروى بعد ست سنين من ولادة أخيها.
- إصابة أخيه بالأزمة القلبية.
- الحادث الذي نزل به وهو محرم في منى والذي رأى فيه الموت.
- مجزرة تدمر في سوريا ومقتل حوالي ألف أخ دفعة واحدة.

المرحلة الثانية من النصف الثاني من العمر يطلق عليه الكاتب (مرحلة العمل في قيادة الجماعة الإسلامية في سوريا)، الكاتب يؤكد في هذا الجزء على أن الجهاد دون تربية على أصوله ومبادئه أقرب إلى العصبية الجاهلية، وأن سنن الله ماضية والتاريخ مدرسة، وأن التفاوض الناجح يكون على أساس الشراكة والاحترام المتبادل كما يرى أن صفاء النفوس والتخلي عن العصبية هو الذي ينقذ الجماعة من أزمات انشقاقاتها.

في المرحلة الثالثة والأخيرة من السيرة (من عام ١٤٠٧ – ١٤٢٥هـ) ١٩٨٧ – ٢٠٠٤م من الخامسة والأربعين إلى الثالثة والستين مرحلة الجامعة الندوة (المعيشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم)، ويحكى قصة عمله في معهد البحوث العلمية والتراث الإسلامي في المملكة العربية السعودية، وتأليف كتابه فقه السيرة النبوية وكتاب عمرو بن العاص.

وأصعب ما مرّ عليه في حياته الاستغناء عن خدماته في مركز البحوث، حيث قال: "وكانت لحظة صعبة يوم وصل لي كتاب سري وإذا هو الاستغناء عن خدماتي في المركز لإحلال السعوديين محلي"[١]

انتقل إلى العمل مع الندوة العالمية للشباب المسلم بمسمى (باحث ثقافي) لا عمل له إلا الكتابة والتأليف، وفي هذه الفترة ألف كتاباً سعد به كثيراً وشعر بلذة ومتعة كبيرة، يقول: "وبعد هذه

(١) الغضبان، كشف المستور، ٣٢١

اللذة والمتعة لم يعد عندي شيء في الدنيا أصبو إليه فقد قدّر الله تعالى لي أن أكتب سلسلة المنهج التربوي للسيرة النبوية في أحد عشر مجلداً"[١]

ولقد وضح الغضبان أن عمله الدعوي في هذه الفترة تحدد في أطر عدّة هي:-

- في تقديم النصح لمجلس شورى جماعة الإخوان.
- في العمل على وحدة الجماعة.
- العمل في لجنة التقويم في جماعة الإخوان.
- العمل في خطة الجماعة العامة.
- العمل في المشروع السياسي للجماعة.

وينهي الغضبان الفكرة المائة وهي: حين تسود شريعة الله في الوطن تعني رفاهية ونماء وعدلاً وفي هذه الحلقة الأخيرة يتحدث فيهاعن أمانيه وآماله لبلده سوريا، حيث يتمنى أن يسود الحق والعدل فيها، وتصبح بلداً ذا هوية إسلامية تسود فيها الوحدة الوطنية وتنبذ التعصب الطائفي"[٢]

(١) الغضبان، كشف المستور، ٣٢٧

(٢) انظر الغضبان، كشف المستور، ٣٤٧ – ٣٥٠

طفل من القرية

سيد قطب

كتاب سيد قطب عبارة عن سيرة أدبية يبدأها بمقدمة قصيرة جداً ولكنه يرصد فيها هدفه وغايته من كتابة سيرة وهو هدف تاريخي حيث يقول: "هذه صور من حياة القرية عاصرت طفولتي منذ ربع قرن من الزمان... وفي تسجيله هنا احتفاظ بصفحات من الحياة القومية والتاريخ الحديث في سجل الفنون"[١].

ويتلو المقدمة إهداء قدمه إلى طه حسين عميد الأدب العربي يوضح فيها أن هذه الأيام تشبه في قليلها أيام طه حسين وتختلف في كثيرها.

ويسير سيد قطب في سيرته مسيره طه حسين في أيامه حيث يعتمد ضمير الغائب في حديثه، ويطلق على نفسه (الطفل الصغير) ويبدأ سيرته بعنوان (المجذوب) معبراً عن الخلل الفكري والعقائدي الذي يسيطر على قرى مصر في ذلك الوقت، ففي حديثه عن المجذوب ذلك الرجل الذي اعتبره أهل القرية من أولياء الصالحين برغم قذارته وتصرفاته التي تنم عن انفصاله عن الواقع في كثير من الأحيان.

يقول: "لقد قيل لهم إن الشيخ (يخطي) فلما طلبوا تفسيراً لهذه (التخطية) فَهِمُوا أنه ينتقل بخطوة واحدة في كل يوم من أيام الجمعة من القرية إلى الكعبة، فيصلي الجمعة هناك مع الأولياء والصالحين ثم يعود"[٢]

بل أن سيد قطب في صفحات متقدمة من كتابه يؤكد على أنه: "لم يكن يعلو على مقام العلماء في القرية إلا مقام المجاذيب والأولياء"[٣]

يكتب سيد قطب بأسلوب أدبي جميل ورقيق يشد القارئ وينقله إلى عالمه، أشعر – وأنا أقرأ السطور – بإحساس الكاتب في لحظات الخوف والرهبة فيكاد قلبي ينخلع وكأنني أشاهد فِلماً من أفلام الرعب والحركة يعرض على شاشة التلفاز.وذلك لأنه يكتب بإحساس طفل القرية الذي تزدحم في رأسه الكثير من الأساطير والخرافات .

الحلقة الثانية بعنوان ضابط الجمباز يتحدث سيد قطب فيها عن نشأته وعائلته ومرحلته الدراسية الأولى أو دراسته في المدرسة الأولية.

---

(١) قطب، طفل من القرية، ١

(٢) قطب، طفل من القرية، ٣

(٣) قطب، طفل من القرية، ٦٠

أما عن قصة ضابط الجمباز فهو ذلك الضابط الذي عينته المديرية كي يطوف القرى ليعلم التلاميذ الألعاب الرياضية ويصفه سيد بقوله: "إن الرجل يبدو في خيال هؤلاء التلاميذ الريفيين، وكأنه الشيطان في سرعة الحركة وخفة الوثب وحفظه العجيب للجمباز فكان هذا من زعقاته فيهم، وتكشيراته لهم وعصاه التي يهزها في يده مهدداً... كان له مثال رعب جارف، حتى لقد كان يوم حضوره عندهم كيوم الحشر يشيب الولدان"(١)، ومن شدّة خوفه من ضابط الجمباز هرب في أول يوم له في المدرسة ويصف سيد قطب مدرسته بالتفصيل وما حدث لها من تطوير من سنة لأخرى ومن زيادة في عدد مدرسي الوزارة أدت إلى استغنائهم عن الشيخ أحمد معلم الكُتَّاب، وفي هذا اليوم قرر والده أن يعيده للكتاب وقد حزن لذلك حزناً شديداً، ويعبر عن ذلك بقوله: "لا يذكر أن قلبه الصغير قد عرف من قبل مثل الهم الذي عرفه ذلك اليوم ولا أن صدره ضاق وجرح واكتأب كاليوم أيضاً"(٢) ثم يقارن بين الكتاب والمدرسة من حيث الشكل والمضمون، وينقل لنا حبه واعتزازه بهذا البناء الجميل ذو الفناء الفسيح وفخره بفوزه على أولاد الكتاتيب في مسابقة حفظ القرآن الكريم، كما يتعرض لبعض الشائعات التي كانت تثار في القرية ضد المدرسة ومدرسيها.

يعبر سيد قطب عن تقديره لأساتذة المدرسة بأسلوب شيق فيقول: "يذكر أن أحدهم كان قد نسى ساعته فانتدبه وسلمه المفتاح ليأتي له بها إذ كان معروفاً بأمانته في المدرسة، ويذكر أنه دخل الدار متهيباً متوجساً كأنما يدخل محراباً مقدساً أو داراً مسحورة، فانبهرت أنفاسه وهو يخطو وهو يصعد الدرج وهو يفتح باب الحجرة المقدسة وهو يتناول الساعة ثم يغلق الباب ويعود كأنه (الشاطر حسن) داخل الكنز المسحور!"(٣)

ينقل إلينا سيد قطب الحالة المرحة التي يعيشها الطلاب في أيام فيضان النيل، تلك الأيام التي يتأخر فيها المدرسون عن الحضور إلى المدرسة في الموعد المحدد: "لقد كان التلاميذ يقفون على الشط أو يبعدون في شوارع القرية القريبة أو يقفزون أو يتصايحون في فناء المدرسة... ويكمل وكانت الجرأة تبلغ ببعضهم أن يخلعوا ملابسهم ويلقوا بأنفسهم في الماء من النوافذ فيسبحوا ثم يعودوا فيتسلقوا النوافذ حيث يجدون ملابسهم أو حيث لا يجدونها إذ ينتهز بعض زملائهم هذه الفرصة فيخفونها أو ينقلونها إلى مكان بعيد"(٤)

---

(١) قطب، طفل من القرية ١٠

(٢) قطب، طفل من القرية ١٥

(٣) قطب، طفل من القرية ٢٠ – ٢١

(٤) قطب، طفل من القرية، ١٩

وكثيراً ما يتطرق سيد قطب إلى قصص الطفولة الطريفة كما ينقل إلينا بعض المواقف التي تكشف لنا عن طريقة التعليم آنذاك. يقول: "كان الشيخ مغرماً بالإعراب والتلاميذ صغار المدرسة الأولية، لكن ماذا يعنيه هو... إنه يستدعي تلميذاً منهم ليكتب على السبورة، فقد كان خط الشيخ لا يقرأ، ويملي عليه أبيات كاملة من الشعر ثم يكلف التلاميذ أن يعربوها، فإذا لم يعرفوا ففيه هو البركة، وإنه ليحفظهم الإعراب تحفيظاً"[١]، ثم يتعرض لبعض الممارسات التي تحدث من الشبان خاصة بعد ان دخلت الفتيات المدرسة،ويوضح أثر التربية العائلية في إحجامه عن بعض التصرفات السيئة كمعاكسة البنات.

كما يعرج في حديثه على قضية الجهل المنتشر في القرية وعرضه لبعض المواقف ومنها: التطعيم ضد الأمراض في القرية حيث يحكي ردّة فعل الأمهات إذا ما جاء الحكيم إلى القرية يقول: "ما إن يعلن هذا في القرية حتى ترتج وترتجف فتخرج الأمهات إلى الشوارع مولولات مذعورات، يلتقطن أطفالهن من كل مكان في ذعر وعجلة، ثم يغلقن على أنفسهن الأبواب، ويكسرونها بمساعدة الخفراء"[٢]

يذكر سيد قطب بعض المظاهر القروية التي لفتت انتباهه ومنها: (الختمة) والمقصود بها تلاوة القرآن الكريم كله داخل البيت في أيام محددة من العام، يتلوها مجموعة من القراء يعدون التلاوة وظيفة لهم ويعلق سيد قطب على ذلك بقوله: "لذلك كانت طائفة القراء في القرية محددة، وكان الإقبال على تحفيظ القرآن شديداً فالقارئ مكفول الرزق معظم أيام السنة، وهو يظفر من الطعام بما لا يظفر به كبار أثرياء القرية في كثير من الأحيان... ثم يتناول بعد ذلك كله أجراً قد يبلغ خمسة قروش في كل ختمة. وإن كان المتعارف أن يكون نصف المقدار"[٣]

ومنها أيضاً (الطلعة) وتأتي بعد الأيام السبعة للمياتم حيث يتوافد المعزون ويقرأ القرآن. ومنها (سهرة رمضان) وهو موسم سعيد لطائفة القراء حيث يكونون مكفولي الرزق، سعداء يحصلون على جنيه كامل أجراً لكل واحد.[٤]

كما يتحدث عن السيد الحكيم أو الممرض الذي يباشر علاج المرضى في القرية، ويوضح مدى أهميته بالنسبة لأهالي القرية، يقول: "ومن بين هذه الجموع الدائبة الحركة، الكثيرة العدد، كان هناك رجل ملحوظ ... كان طويلاً نحيفاً أبيض البشرة يرتدي جلباباً أبيض نظيفاً مفصلاً على طريقة البندر لا طريقة القرية، ويرتدي فوقه ميدعة نظيفة كذلك، ويلبس في قدميه شبشباً بادي

---

(١) قطب، طفل من القرية، ٢٣

(٢) سيد قطب، طفل من القرية، ٢٨

(٣) قطب، طفل من القرية، ٣٥

(٤) انظر قطب، طفل من القرية، ٣٥ – ٣٦

الأناقة (ثم يقول) فلقد كان هو المشرف على علاج هذا العدد الضخم من المسومين. ذلك الرجل الملحوظ .هو السيد الحكيم"[١].

تعرض الكاتب في حديثه عن بعض الخرافات والأساطير الخاصة بالأولياء في القرية، كما تحدث عن العفاريت وأطال في الحديث عنها لأنها تعتبر من المعتقدات الأساسية عند أهل القرية ومن المواقف المحزنة التي أثرت عليه موت صديقه (جمعة) الذي لم يستطع أن يهرب من العفريت حسب ظن الأطفال فوقع مغشيا" عليه، وظل في حالة مرضية إلى أن مات بعد ثلاثة أشهر، ويقول سيد قطب معبراً عن تلك اللحظة التي مشى فيها في جنازته : "وسار في جنازة رفيقه يبكي، وكانت هذه أول جنازة يشهدها، وارتسمت الحادثة كلها في ذاكرته لا تنسي.. ولم يعد إلى هذه الجلسة القمراء إلا بعد مضي ثلاث سنوات، حينما بلغت سنه العاشرة وصارت له في العفاريت عقيدة جديدة"[٢]

ويقصد بالعقيدة الجديدة محاولاته الوصول إلى هذه الأماكن الذي يعتقد بوجود العفاريت فيها كالبئر المهجور، الدرب الضيق والساقية وغيرها، كان يقصد هذه الأماكن ويسير فيها ويشعل عود ثقاب أي أنه كان يجري التجارب كي يتأكد من عدم وجود أي عفريت.

يتحدث سيد قطب عن الحركة الثقافية في القرية ويقول أنها تكون ثلاثة أو أربعة أيام في بعض أشهر السنة ويوضح ذلك بقوله: "تلك هي الأيام التي كان يصل فيها إلى القرية (عم صالح) حاملاً على كتفه غرارة (سكيبة) حافلة بالكتب، فيجلس في سويقة القرية متربعاً فوق الغرارة بعد إفراغها، ويرص أمامه صفوفاً، حسب قيمتها، أو حسب موضوعاتها!"[٣]

ومن هذه الكتب كتب شعر، قصص الزير سالم وأبي زيد الهلالي، وكتب الأميرة ذات الهمة والملكة حنّة، وفيها من الكتب الدينية الكثير وكذلك كتباً بوليسية وكتباً ثقافية، وكان سيد قطب يعتبر هذه الأيام التي يأتي فيها عم صالح من أجمل أيام السنة حيث يحصل فيها على ما يستطيع شراءه من قصص وكتب مما جمعه من مصروفه، ويقول موضحاً ذلك: "فإذا نفذ الرصيد استعان بوالده فطلب منه القرش والقرشين والخمسة في بعض الأحيان.. وإنه لمبلغ جسيم في ذلك الحين، فسنه لم تكن تجاوز العاشرة"[٤] وهذا يدلل على حبه العميق للقراءة والمطالعة ورغبته الجارفة في اقتناء الكتب.

---

(١) قطب، طفل من القرية ٣٨

(٢) قطب، طفل من القرية، ٤٦

(٣) قطب، طفل من القرية،

(٤)(٤) قطب، طفل من القرية، ٥٨– ٥٩

يعرج الكاتب في حديثه على آفة أسرية كانت موجودة في القرية وهي السرقة، كأن تسرق زوجة الابن من الأم أو من الأب أو يسرق الابن من والده أو يسرق الخدم من أهل البيت إذا كانوا أثرياء، ويرجع ذلك إلى الحياة الاجتماعية التي تحياها القرية حيث أن المسئول عن البيت هو الوالد وفي يده كل ما يختص بالبيت من أموال، وهو الذي يهتم بشئون البيت من طعام وشراب واحتياجات عامة، أما بالنسبة للاحتياجات الشخصية فلا يلتفت إليها، فالابن لا يملك من المال ما يجلب به لزوجته هدية صغيرة، وزوجة الابن لا تملك أن تشتري لنفسها ما ترغب به من البائعات المتجولات فيلجأن إلى السرقة.(١)

ويستعرض طريقة أهل القرية في تحديد السارق ومنها الحلف على البخاري، المندل، الفنجان

وتحت عنوان (قانون اللصوص) كتب قطب عن انطباعاته الشخصية عن اللصوص متمثلاً في موقفه من (حرحور) يقول: "كان حرحور هذا لصاً، ولكنه لم يكن اللص الوحيد في القرية إلا أنه دون من يسمع عنهم جميعاً كان يسبب له الفزع الذي يتحول بسرعة إلى مقت، حتى ليود أن يقابل الشيطان ولا يقابل هذا الرجل بالليل والنهار"(٢)

كما يقول عن اللصوصة: "اللصوصية في الريف حرفة معترف بها في أغلب الأحيان! حرفة لها أصولها وتقاليدها بل لها قوانينها المعلومة للجميع"(٣)

كما يعرج في حديثه على نوعٍ من اللصوص هم أبناء الطبقة الغنية الذين لم يخرجوا للسرقة بقدر ما خرجوا لإظهار شجاعتهم وقوتهم ويسمون ذلك (فتونة).

ثم يتحدث عن قوانين اللصوص ومنها:-

١. الرجال للرجال أي لا يسطو اللص على بيت لا يوجد فيه رجل.
٢. تقسم القرية إلى أقسام كل قسم له فرد معين ولا يجوز لفرد أن يتعدى على قسم الآخر.
٣. المسروق الذي يرد لا يسرق مرّة أخرى.

كما أن السطو على البيوت والحقول يقع أحياناً بدافع الانتقام لا السرقة، ويسوق سيد قطب حادثتين لا تزالا في ذاكرته: الأولى أنه استيقظ ذات يوم على صراخ عمته وزوجها فإذا ببهائمهم

---

(١) قطب، طفل من القرية، ٦٢ – ٦٤

(٢) قطب، طفل من القرية، ٧١

(٣) قطب، طفل من القرية، ٧٢

جميعاً إما مبقورة البطون وإما ممزقة الأحشاء وإما مسمومة بمادة كيميائية، والحادثة الثانية ثلاثة شبان أشقاء أحدهما تزوج ابنة عمه ثم أراد عمه أن يطلقها منه فأبى، فرفع عليه دعوى في المحكمة الشرعية وفي يوم من الأيام خرج الزوج وشقيقاه لحضور المحكمة وبين الحقول الخضراء الممتدة وبعيداً عن سكان القرية كَمِن لهم العم وآخران وقتلوا الثلاثة ورموهم وسط الحقول وظلت القرية ثلاثة أيام تبحث عنهم حتى انبعثت الرائحة.

ويتحدث سيد قطب أيضاً عن حادثة جمع السلاح في القرية، وكيف يتم الأمر خاصةً أن السلاح موجود في كل بيت وفي يد كل لص وكل فرد حريص على اقتناء السلاح فأصحاب الحقول والمواشي يريدون الحفاظ على أموالهم واللصوص يعتبرون عملهم وسيلة من وسائل الرزق يريدون الحفاظ عليها، ثم يعلق الكاتب على ذلك بقوله: "ولكن الأمور لا تجري في القرية بالعنف، ولا حسب الأوامر الرسمية، إنما تجري حسب المواصفات العرفية، فالعمدة يعلم بالضبط كم قطعة سلاح في كل بيت، وما نوع كل قطعة، فإذا طلبت الحكومة جمع السلاح، اتفق مع بعض من يملكونه على تقديم القطع القديمة منه، ولكي لا تكون المسألة مكشوفة، فإن بعض القطع الحديثة تزين المقدار المجموع"[١]

ولكن أحد الضباط استخدم طريقة العنف حيث طوّق القرية وجمع مشايخها في دوار العمدة واستخدم معهم الضرب والجلد حتى يقروا بأسماء من يملك الأسلحة وبنوع تلك الأسلحة واستطاع أن يجمع كماً كبيراً منها

يذكر سيد قطب موسم الحصاد الذي يعتبر من أهم المواسم في القرية، حيث يذكر فيضان نهر النيل، وكيف يغطي الطمي الأراضي الزراعية المكشوفة الواسعة، فيبدأ الفلاحون بالزراعة حتى تنبت هذه الأرض للناس والماشية طعام العام.

كما يعرج في حديثه على أفواج (الغُرْب) الذي يغدون للقرية للعمل في مرافقها كل عام، نظراً لأن قرية الكاتب أفضل حالاً من القرى المجاورة، والأيدي العاملة قليلة مقارنةً مع فرص العمل الموجودة.

وعند حديثه عن أحزان القرية يتطرق إلى قضية هامة جداً لكل فلاح ألا وهي بيع (الطين) أو بيع قطعة من الأرض بهدف الحفاظ على مستوى الحياة التي يحياها الفلاح، وموقف أمه إزاء بيع أبيه لبعض الأراضي الزراعية حيث عاد إلى بيته فوجدها تبكي بكاءً مرّاً، طالبةً منه أن يحاول استعادة ما باعه أبوه عندما يكبر، ولن يكون ذلك إلا إذا جدّ واجتهد وتعلم في القاهرة وأصبح من الأفنديات.

---

(١) قطب، طفل من القرية، ٧٩

ملاحظات على سيرة سيد قطب:-

١. لم يضع سيد قطب فهرساً لسيرته، وإنما تشعر أنها أقرب إلى الرواية ذات الأحداث المترابطة فهي سيرة أدبية بكل ما تحمل الكلمة من معنى.
٢. يضع سيد قطب عنواناً لكل جزءأ من سيرته بما يتوافق مع السطور.
٣. اهتم سيد قطب كثيراً بحياة القرية ومن هنا جاء اسم السيرة طفل من القرية، فأبرز كثيراً من مظاهر الحياة الاجتماعية في القرية.
٤. تدور أحداث سيرة سيد قطب داخل القرية في فترة طفولته وصباه لذلك فهو ينقل إلينا أحاسيس ومشاعر طفل صغير.
٥. الموضوعات التي تحدث عنها سيد قطب هي موضوعات محدودة جداً تخص أهل القرية أكثر من سواهم.

أيام من حياتي

زينب الغزالي

في مقدمة الكتاب تذكر زينب الغزالي سبب دوافع الكتابة فتقول: "نازعتني فكرة الكتابة عن "أيام حياتي" وترددت كثيراً، غير أن الكثرة ممن أثق في إيمانهم بالقضية الإسلامية، وهم من أبنائي وإخواني ورواد الدعوة وبناة فكرها الذين عاشوا معي تلك الأيام، رأوا أنه من حق الإسلام علينا أن نسجل تلك الحقبة من الأيام"[١]

تفتتح زينب الغزالي سيرتها بقصة حادث السيارة التي نقلت على إثره إلى المستشفى وهي في حالة الخطر، وتؤكد الكاتبة أن الحادث كان مدبراً من قبل مخابرات جمال عبد الناصر بهدف إغتيالها. ثم تبدأ بذكر محاولات عبد الناصر ومخابراته ضمها إلى الإتحاد الاشتراكي بالترغيب تارة والترهيب تارة أخرى، ثم بعد أن باءت محاولاته بالفشل صدر قرار بحل جماعة السيدات المسلمات.

ثم تشرح الكاتبة في الباب الثاني بشيء من التفصيل علاقتها بجماعة الإخوان المسلمين، وفي صفحات عديدة تظهر بعض شخصيات الإخوان المسلمين وصفاتهم والأهداف التي يسعون إلى تحقيقها، وتشرح كيف أنها امتنعت عن مبايعة الإخوان المسلمين ثم بعد فترة أحست بأنها أخطأت في ذلك فبعثت برسالة إلى أ. حسن البنا تبايعه على الولاء لهذا الدين وتقديم الغالي والنفيس في سبيله.[٢]

ويغلب على الكتاب شرح وافٍ وتفصيلي عن العذاب الذي لاقته الكاتبة في سجون عبد الناصر من الجلد والركل والتعذيب وتوضح ذلك بقولها:" فسدت الحياة وأسنت، ظلم، رعب، اعتقالات، مجازر، تشريد،.. سيطرت قوة الشر والباطل واستبدت، وساوت بين الجميع، بين أصحاب القلم والفكر والرأي، والوزراء والقادة العسكريين وبين المواطن العادي.

بين الشاب والشيخ.. بين الرجل والمرأة.. بين المريض والصحيح.. كلهم أمام السياط، وتحت السياط والصلب والكلام وجميع أنواع التعذيب، الكل سواء.. إنها إشتراكية التعذيب"[٣]

وفي صفحة أخرى تصف حالها بقولها: "أدخلوني هناك زنزانة فارتميت على الأرض جثة هامدة مثخنة بالجراح... كان جسمي متورماً كالكرة المنفوخة.. وأحس بأن قلبي يكاد ينخلع من مكانه.. انبطحت على الأرض لا أقوى على الأنين!!.. وأسلمت نفسي للذي بيده مقادير الأمور"[٤]

---

(١) الغزالي، أيام من حياتي، ٥

(٢) الغزالي، أيام من حياتي، ٢٧-٣٠

(٣) الغزالي، أيام من حياتي، ١٢٤

(٤) الغزالي، أيام من حياتي، ١٢٧

وفي حديثها عن الإخوان يظهر الصدق جلياً على صفحات كتابها فهي تقر أن بعض الإخوان خانوا الأمانة تحت تهديد التعذيب.. "وجاء على عشماوي.. كان علي عشماوي يلبس بيجامة من الحرير المهفهف نظيفة، أنيقة، شعره ممشط لا يبدوا عليه أثر التعذيب فلما رأيته واستعرضت في ذهني حالة الآخرين، وحالتي علمت بل تيقنت أن هذا المخلوق خان أمانة الله، وشهد على إخوانه زوراً فهوى في مهاوي الفساد الفجار الظالمين، وأصبح من رجال شمس بدران وذنباً من أذناب جمال عبد الناصر الذين لا يعرفون قيماً ولا أخلاقاً ولا ديناً"[١]

وفي الكتاب تشرح زينب الغزالي علاقتها بزوجها وصفات هذا الزوج بقولها من خلال حوار دار بينهما:

"قلت: اليوم أطلب منك أن تفي بوعدك .. لا تسألني بمن ألتقي وأدعو الله أن يجعل أجر جهدي قسمة بيننا فضلاً منه سبحانه إذا تقبل عملي. أنا أعلم أن من حقك أن تأمرني ومن واجبي أن أطيعك، ولكن الله أكبر في نفوسنا من أنفسنا، ودعوته أغلى من ذواتنا ونحن في مرحلة خطيرة من مراحل الدعوة. قال: سامحيني، اعملي على بركة الله. يا ليتني أعيش وأرى غاية الإخوان قد تحققت، وقامت دولة الإسلام يا ليتني في شبابي فأعمل معكم"[٢]

كما أنها تظهر بعض المواقف التي يظهر فيها علاقتها بأخواتها في الدعوة الإسلامية من أمثال غادة عمار وحميدة قطب وخالدة الهضيبي، وعلية الهضيبي.

"وتقبل علي عليّة تأخذني بين ذراعيها تقبلني وأنا منصرفة عن نفسي وعن الدنيا وتتساءل في ألم. أنت الحاجة؟ والتفتُّ إلى غادة فأرى عينيها ممتلئتين بالدموع تغرقان وجهها، وأسأل عليه في ألم.. تعرفيني؟ فتجيب: لا لا لا ياحاجة لقد تغيرت كثيراً، نقص وزنك إلى حدٍّ مخيف، وأصبح وجهك كأنه وجه شقيقك سعد الدين"[٣]

بعض الملاحظات على كتاب زينب الغزالي:

١. كتابها يحكي سيرتها الذاتية في فترة زمنية محدودة وهي فترة جهادها وتعذيبها في سجون عبد الناصر وقبلها وبعدها بقليل، فهي لم تذكر أي شيء عن مرحلة الطفولة أو الصبا أو الزواج.
٢. يغلب على سيرتها وصف الأحداث والمواقف التي مرّت بها شخصياً في الزنازين والسجون المختلفة وكأنها تصف حاضر السجون في تلك الفترة .

---

(١) الغزالي، أيام من حياتي، ١٣٨

(٢) الغزالي، أيام من حياتي، ٤١

(٣) الغزالي، أيام من حياتي، ٧٥

٣. تحاول الكاتبة أن تظهر الهدف والغاية التي تسعى إليها كفرد من جماعة الإخوان المسلمين وهي تحرير العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.
٤. تقوم بعملها كداعية لله وفي سبيله وتشرح منهاج الله سبحانه حتى لزبانية العذاب كأن لسان حالها يقول لعلَّ الله يهدي قلب أحد هؤلاء إلى عبادة الله.
٥. تشرح الكاتبة بالتفصيل مواقفها السياسية من جمال عبد الناصر وحكمه وموقفها من نكسة خمسة يونيو، وكأنها تريد أن يكون هذا الكتاب تعليمياً للأجيال المقبلة.
٦. تطرح في سيرتها بعض المفاهيم الأساسية في العقيدة الإسلامية مثل: الإيمان بالقضاء والقدر حقاً وظهور هذا الإيمان على سلوك الأفراد، ومسألة الحياة والموت.
٧. يظهر من خلال كتابها حفظها آيات لكثيرة جداً من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ولغتها الفصيحة القوية التي لا يفهمها الجاهلون "قلت يفعل الله ما يشاء ويختار، فقال ما هذه الرطانة العجيبة يابنت!!"[١] ويقول في موقف آخر: "كلميني بالعربي ما ترطنيش، أنا لا أفهم ما تقولين.."[٢]
٨. تظهر زينب الغزالي بعض الناس المنافقين حتى ممن يعتبرون أنفسهم حماة الإسلام والعقيدة "ووصل إلى سمعي كلمات شيخ ينعي الفقيد حامي حمى الإسلام.(تقصد جمال عبد الناصر) ولقد أقسم هذا الشيخ نفسه في بيتي قبل ذلك بسنين، إن من يسمي عبد الناصر حامي حمى الإسلام هو كافر، قد خلع ربقة الإسلام من عنقه، خسر الدنيا والآخرة"[٣]
٩. لغة السارد في الكتاب والشخصية التي تدور حولها الأحداث هي شخصية المؤلف وهي زينب الغزالي.
١٠. عنوان الكتاب (أيام من حياتي، زينب الغزالي) وفي العنوان تأكيد من الكاتبة أن هذه الأيام هي جزء من الحياة الحقيقية للكاتبة، كما أنها تذكر اسمها الحقيقي في كل فصول كتابها تأكيداً على أن هذا الكتاب جزء من سيرتها الحقيقية وما كتبته هو واقع معاش.
١١. الشخصية المركزية هي شخصية زينب الغزالي أما الشخصيات الثانوية فتنقسم إلى قسمين، بعضها لها تأثير إيجابي قوي على حياة زينب الغزالي كزوجها أ. سالم أو الإمام الشهيد حسن البنا، أو أ. حسن الهضيبي المرشد العام للإخوان أو حميدة

(١) الغزالي، أيام من حياتي، ١٠٢
(٢) الغزالي، أيام من حياتي، ١٩٩
(٣) الغزالي، أيام من حياتي، ٢٣٦

قطب، أ.عبد الفتاح إسماعيل، الشهيد سيد قطب أو حتى شخصيات ثانوية تأثيرها سيء على الكاتبة وهم قادة السجن العربي وزبانيته كحمزة البسيوني وشمس بدران.

١٢. أخذ الحوار حيز كبير من كتاب زينب الغزالي حيث أن الكتاب يشتمل على مواقف كثيرة وكلها لا تخلو من الحوار.

١٣. وظفت الكاتبة اللغة توظيفاً جيداً، مراعية الحالة الثقافية والقدرة اللغوية لكل شخص إلا أن التزامها منعها من إعادة ألفاظ الشتم والسباب والكفر التي نطق بها زبانية العذاب.

١٤. بدأت الكاتبة سيرتها بحادث سير مدبر من قبل المخابرات وكان تاريخ هذا الحادث يعود لفترة زمنية متأخرة قياساً مع أحداث أخرى تأخرت الكاتبة في الحديث عنها.

١٥. ظهر التكرار على أسلوب الكاتبة في كثير من المواقف حتى أنها نفسها تعتذر عن ذلك فتقول: "معذرة... عن هذا التكرار.. فالمقصود التفصيل والتوضيح"[١]

أهم القضايا التي ركزت عليها الكاتبة:-

١. عملها في مركز الأخوات المسلمات.
٢. حادث السير الذي نقلت على إثره للمستشفى.
٣. علاقتها مع قيادة الإخوان ومع حسن البنا.
٤. علاقتها مع زوجها وسماحه لها بالعمل.
٥. شرح وافٍ للعذاب الذي لاقته زينب الغزالي في سجون عبد الناصر.
٦. علاقتها بأخواتها الداعيات.
٧. آرائها السياسية في حكم عبد الناصر.

(١) الغزالي، أيام من حياتي، ١٢٣

رحلتي من الشك إلى الإيمان

مصطفى محمود

يبدأ الكاتب سيرته بداية مختلفة عن غيره، فإذا كان الآخرون بدأوا في سيرهم بتاريخ مولدهم،أو من اللحظات الأولى التي بدأت ذاكرتهم في العمل إلى الثالثة أو الرابعة من العمر، فإن مصطفى محمود قد بدأ سيرته بسن المراهقة يقول: "كان ذلك من زمن بعيد لست أذكره ربما كنت أدرج من الثالثة عشرة إلى الرابعة عشرة وربما قبل ذلك... في مطالع المراهقة.. حينما بدأت أتساءل في تمرد. تقولون إن الله خلق الدنيا لأنه لابد لكل مخلوق من خالق ولابد لكل صنعة من صانع ولابد لكل موجود من موجد.. صدقنا وآمنا.. فلتقولوا لي إذن من خلق الله"[١]، أي أنه بدأ سيرته بالفكرة نفسها والتي تعتبر محور سيرته وهي الأدلة المادية على وجود الله سبحانه وتعالى،وكأنه يريد أن يبرز لنا ميوله الفكرية منذ مراهقته وتوجهه نحو الإلحاد، لأنه لم يجد في القرية من يجيب عن تساؤلاته ويقنع عقله.

كما تظهر لنا مميزاته الشخصية المتمثلة فيما يلي: القوة في إبداء الرأي مهما كانت آراء الآخرين، والقدرة الكلامية التي كان يفتخر بها، ويؤكد في الصفحات الأولى من سيرته على أن وصوله للإيمان واليقين احتاج إلى فترة طويلة من الزمن، يقول: "احتاج إلى ثلاثين سنة من الغرق في الكتب وآلاف الليالي من الخلوة والتأمل والحوار مع النفس وإعادة النظر ثم إعادة النظر في إعادة النظر، ثم تقليب الفكر على كل وجه لأقطع الطريق الشائكة من الله والإنسان إلى لغز الحياة إلى لغز الموت إلى ما أكتب اليوم من كلمات على درب اليقين"[٢] الله والإنسان، لغز الحياة، لغز الموت، هي عبارة عن كتب ألفها مصطفى محمود يناقش فيها هذه المعاني بأسلوب فلسفي.

ويوضح الكاتب مظاهر شخصيته بقوله: "وغرقت في مكتبة البلدية بطنطا وأنا صبي أقرأ لشبلي شميل وسلامة موسى وأتعرف على فرويد وداروين. وشغفت بالكيمياء والطبيعة والبيولوجيا.. وكان لي معمل صغير في غرفتي أحضر فيه غاز ثاني أكسيد الكربون وثاني أكسيد الكبريت وأقتل الصراصير بالكلور وأشرح فيه الضفادع. وكانت الكلمة التي غمرت العالم هي .. العلم .. العلم.. العلم.. ولا شيء غير العلم"[٣]

أي أنَّ نظرته كانت مادية بحتة للعقيدة والعلوم والطب والكون ويعلق على ذلك بقوله "وهكذا أقمت لنفسي نظرية تكتفي بالموجود.. وترى أن الله هو الوجود دون حاجة إلى افتراض

---

(١) محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، ٧

(٢) محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، ٨

(٣) محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، ٩

الغيب والغيبيات ودون حاجة إلى التماس اللامنظور"[١] ويحدد الكاتب عناوين رئيسة يتحدث من خلالها عما يدور في خلد الكثيرين وهذه العناوين هي:الجسد، الروح، العدل الأزلي، لماذا العذاب، ماذا قالت لي الخلوة، التوازن العظيم، المسيح الدجال.

أولاً: الجسد:- يوضح مصطفى محمود طبيعة الجسد والاختلافات بين جميع بنى آدم منذ بدء الخليقة إلى الآن، ويوضح ذلك بقوله: "وتعلم الآن أن لكل جسد شفرة كيميائية خاصة به بحيث يصبح من العسير وأحياناً من المستحيل ترقيع الجسد بقطعة من جسد آخر.. فما يلبث أن يرفض الجسد الرقعة الغريبة كما لو كانت ميكروباً أو جسماً أجنبياً أو استعماراً، وهذه هي كبرى المشكلات في جراحات الترقيع ونقل الأعضاء"[٢]

ويفرق الكاتب بين الروح والجسد تفريقاً يعتمد على التفكير العقلي حيث يقول: "إن النوم ثم اليقظة وهو النموذج المصغر للموت ثم البعث يكشف لنا مرّة أخرى عن ذلك العنصر المتعالي الذي يخلق بحضوره في تلك الجثة النائمة فجأة وبلا مقدمات هتلر أو نيرون، فإذا بذلك الممدد كالثور الهامد يصحو ليقتل ويغزو ويسحق ويمحق، وإن الفرق لهائل، أكبر من أن يتغير بتغير مادي يتم في لحظات"[٣]

ثانياً الروح: يسرد مصطفى محمود بعضاً مما يحفظ من أرقام وموضوعات ووجوه واصطلاحات وأشكال وطعوم ونكهات وغير ذلك، ثم يعلق على ذلك بقوله: "كل هذا تحفظه الذاكرة وتسجله في دقة شديدة وأمانة ومعه بطاقة بالتاريخ والمناسبة وأسماء الأشخاص وظروف الواقعة ومحضر بالأقوال "معجزة إسمها الذاكرة"[٤] ثم يتساءل عن هذا الأرشيف السري الذي يحمل كل ذلك ويحفظه ويستدعيه بلمح البصر حتى ما ينساه الإنسان يكتشف في لحظة أنه لم ينسى بل اختبأ في تلافيف المخ.

ثم يبدأ الحديث عن آراء العلماء الماديين حول الذاكرة وعلاقتها بالروح وما يؤكد خطأ هذه النظرة المادية للروح.

ثالثاً: العدل الأزلي: يتحدث مصطفى محمود عن الطباع التي خلق عليها الحيوان والأخلاق التي طبع عليها: "كبرياء الأسد وترفعه أن يهاجم فريسته غدراً من الخلف وإنما دائماً من الأمام ومواجهة.. ولا يفترس إلا ليأكل.. ولا يفكر في أكل أو افتراس إلا إذا جاع. كل هذه أخلاق

---

(١) محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، ١٢

(٢) محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، ٢٢

(٣) محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، ٢٥

(٤) محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، ٣٤

مفطورة في الحشرة الحية وفي الحيوان، ثم الوفاء الزوجي عند الحمام، والولاء الجماعي في الحيوانات التي تتحرك في قطعان"[١].

ويؤكد على أن كل شيء في الكون يسير حسب نظام وقانون محدد ويؤكد على أن "العدل حقيقة أزلية وأن الله وقرها وأودعها في الفطرة".

رابعا: لماذا العذاب:- يتعرض في حديثه في هذا الجزء من الكتاب إلى عبارة (الله محبة) التي يتناقلها المثقفون، وكيف يتفق ذلك مع القول بأن الله توعدهم بالعذاب ويعلق على ذلك بقوله: "ينسى الواحد منهم أنه يحب ابنه كل الحب ومع ذلك يعاقبه بالضرب والحرمان من المصروف والتأديب والتعنيف، وكلما ازداد حبه لأبنه كلما ازداد اهتمامه بتأديبه، ولو أنه تهاون في تربيته لاتهمه الناس في حبه لابنه ولقالوا عنه: إنه أب مهمل لا يرعى أبناءه الرعاية الكافية"[٢].

ويرى أن العدل يقتضي أن يعذب الله كل ظالم ومتجبر عما فعله بالمطحونين في الدنيا.

خامسا: ماذا قالت لي الخلوة: يتعرض في هذا الجزء من الكتاب لخلق الصدق، ويرى أن كل إنسان يتصور أنه صادق ولا يكذب، ويرى أن الصادق الحقيقي يكاد يكون غير موجود كما أنه يرى الكذب في كل ما يحيط به من مظاهر بل إنه يرى على سبيل المثال أن "في عالم السياسة والسياسين وفي أروقة الأمم المتحدة وعلى أفواه الدبلماسيين نجد أن الكذب هو القاعدة"[٣]

كما يتعرض للكذب في العلاقات الاجتماعية والتي تعتبر مجاملات لابد منها، وفي النهاية يرى أن: "العلم بذاته هو النظرة الموضوعية المستقلة عن الهوى والمزاج وأداته الوحيدة" صدق الاستقراء.. وصدق الفراسة، واللحظة الأخرى الصادقة هي لحظة الخلوة مع النفس حينما يبدأ ذلك الحديث السري.. ذلك الحوار الداخلي"[٤] ويعتبر هذه اللحظة من أثمن اللحظات، لأنه تدله على الحق والصدق والطريق المستقيم.

سادسا: التوازن العظيم:- في هذا الجزء يتحدث عن التوازن في الطبيعة ويحكي لنا قصة سفره إلى أفريقيا وإلى المستنقعات الاستوائية فيها حيث ينتشر البعوض وما يجلبه من أمراض، حيث يقول:- "كانت الأشجار تومض بالفعل كأنهما مغطاة بآلاف الكهارب ثم تنطفئ فأخبرني الربان أن ما رأيت في تلك الليلة كان هو الحقيقة بعينها.. وأن تلك الأشجار يغطيها آلاف من الحشرات الحباحب المضيئة وأنها تضئ معاً لتجذب البعوض بضوئها ثم تأكله وتعود فتنطفئ

---

(١) محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، ٤٨

(٢) محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، ٥٤

(٣) محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، ٥٩

(٤) محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، ٧٥

لتضئ من جديد.. وأن هذه سنة الطبيعة كلما تكاثرت فيها حشرة اصطنع لها الله حشرة مضادة تأكلها ليحفظ للمخلوقات توازنها فلا يطغى واحد على الآخر إلا بحساب"[١]

ثم يذكر كثير من الأدلة على وجود هذا التوازن كدوران الأرض ودوران جميع الكواكب والأقمار، وسمك قشرة الأرض وعمق البحار ونسبة الأكسجين في الهواء، ومظلة الأوزون وغيرها مما حفظ هذا التوازن العجيب فجعل الأرض صالحة للحياة.

سابعا: المسيح الدجال: يتعرض الكاتب للحال الذي وصل إليه العالم في عبادته للعلم والمادة في العصر الحديث، ناسياً أو متناسياً أن كل ما وصل إليه عبارة عن وسائل وأدوات يستخدمها البشر لتسهيل أمور حياتهم، فالقطار والتلغراف والكهرباء والطاقة الذرية والأسلحة كلها وسائل، ثم يؤكد على أن العالم أصبح يعبد المادة ويعتبرها إلها، يقول: "إلى هذه الحالة انتهت بنا عبادة الدجال الذي اسمه القوة المادية"[٢]

ويرى أن من آثار ذلك ظهور الإنسان الكئيب المهموم الخائف ومن آثارها تفشي المخدرات وانتشار ظاهرتي الانتحار والجنون .

ثم يصل في نهاية حديثه إلى حقيقة أزلية هي: أن الدين ضروري ومطلوب لأنه هو الذي يرسم للعلوم الصغيرة غاياتها وأهدافها ويضع لها وظائفها السليمة في إطار الحياة المثالي"[٣]

المحاور والقضايا الرئيسية في سيرته:

١. أفكاره المختلفة عن أقرانه وتوجهه نحو الإلحاد في تفكيره.
٢. صفاته الشخصية.
٣. طبيعة الجسد.
٤. طبيعة الروح.
٥. العدل الأزلي والنظام الثابت هو قانون الكون.
٦. أهمية معاقبة الظالمين في ظلمهم.
٧. أهمية الخلوة والتأمل في الوصول إلى الحق.
٨. كل ما في الكون يسير حسب التوازن العظيم الذي خلقه الله تعالى.
٩. العلم والمادة أصبحا إلهاً يعبد في العصر الحديث.
١٠. الدين ضرورة لراحة الإنسان وسكينته على الأرض.

---

(١) محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، ٨٤

(٢) محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، ٩٨

(٣) محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، ٩٩

هذه حياتي

أحمد ديدات

يبدأ الكتاب بمقدمة (أشرف محمد الوحش) يشرح فيها وضع المسلمين في جنوب أفريقيا.

هذا الكتاب يختلف تماماً عما سبقه من كتب السيرة لأن أحمد ديدات لم يكتبه بنفسه وإنما كانت حوارات ونقاشات كان هو بطلها ولكن من كتب صفحات السيرة هو المعلق (رمضان الصفتاوي).

وكان رمضان الصفتاوي يعلق إذا ما استحق المقام التعليق وفي بعض الأحيان يكتب كلاماً ليس لأحمد ديدات بل للمرافقين معه أو كلاماً لبعض الدعاة في المركز، ويرجع السبب في ذلك إلى أن هذا الكتاب أصلاً هو عبارة عن فلم فيديو تم تفريغه على صفحات.

يتحدث ديدات بالتفصيل عن المركز الذي أنشأه في جنوب أفريقيا و كيفية حصوله على الأرض لبنائه وكيف بدأ البناء ثم كيف انطلقت الدعوة منه إلى المدن أومع أهل البلد بسلطاتهم المختلفة وحتى دورهم مع السياح الذين يزورون البلد ويوضح كيفية نسخ آلاف أشرطة الفيديو وإرسالها إلى دول متعددة في العالم، يقول: "العالم كله يلح في طلب هذه الأشرطة لأنها شيء جديد بالنسبة لهم، لأنهم تعودوا على خطب وأحاديث تخاطب المسلمين فقط.... تعلمهم كيفية الصلاة أو تحثهم على الزكاة....."[1]، بينما تلك الأشرطة موجهة إلى غير المسلمين من نصارى وهندوس وغيرهم، تناقش قضايا عامة عصرية وتعتمد على الحجة والمنطق والبرهان.

كما يوضح موضوعات الدورات التدريبية التي يقوم المركز بتنفيذها لدعاة داخل جنوب أفريقيا وخارجها في العالم الشرقي والغربي، والتي تهدف إلى تخريج داعية يجيد فن الدفاع عن الإسلام في مواجهة المستشرقين والنصارى

يفرد أحمد ديدات جزءاً من الشريط الذي تحول إلى كتاب للتحدث عن الدارسين الذين يدرسون في المركز، وعن تخرجهم، وماذا سيفعلون بعد رجوعهم إلى بلدانهم، ويذكر حديث كل دارس من هؤلاء الدارسين، مثلاً يقول عن أحدهم : "اسمي أبو بكر صديق محمد من نيجيريا لدي النية إن شاء الله في نشر الإسلام في بلدي، فبلدي يتعرض للهجمات التبشيرية من جماعة شهود يهواه وهم يدقون أبوابنا كل يوم، وليس لدي القدرة للتصدي لهم"[2]

---

(١) ديدات، هذه حياتي، ٣٩ – ٣٨

(٢) ديدات، هذه حياتي، ٥١

ويبرز الكاتب كيفية تنفيذ المحاضرات أوالعمل داخل المركز حيث ينقل لنا نص محاضرة أحمد ديدات وفيها يتحدث عن نقاط رئيسية مهمة هي:-

١. ادعاء اليهود والنصارى بالخلاص والنجاة في الآخرة وبأن لهم الجنة وأن مصير غيرهم إلى النار.
٢. يوضح رأيه في الكتاب المقدس (البايبل)
٣. يرى أن الكتاب المقدس (البايبل) يشتمل على كلام الله وكلام الانبياء وكلام مؤرخين وكلام من شهدوا بعض المواقف.
٤. يوضح أصل إنجيل متى كما يقول الكاتب جي . بي – فيليبس، ويذكر ذلك مستعيناً بآيات من القران الكريم، كما أنه ينقل بعض نصوص من الكتاب المقدس

وفي المحاضرة الثانية يركز على أمور أهمها تبشير الكتب السماوية السابقة بنبوة محمد عليه السلام.

ويعلم أحمد ديدات من يريد محاورة النصارى والتغلب عليهم أنه لابد من الحصول على دليل وبرهان ليقنعهم به في كل أمر يعارضونه ويؤكده الإسلام والقرآن "وإذا أردنا أن نتعامل معهم فعلينا أن نستخدم حججهم وبراهينهم ضدهم"(١)

بذل ديدات جهداً كبيراً في تعلم بعض الأمور بلغات أخرى غير لغته فحفظ بلغة الزولو والأفريكانا والعربية والانجليزية وغيرها ويعلق على ذلك بقوله:-

"لقد أخذت نفسي بمشقة كل ذلك، والناس يتصورون أني أتمتع بذاكرة فريدة قادرة على الحفظ، وحقيقة الأمر غير ذلك، إنما ذلك هو حصاد الجهد الشاق الذي أبذله، وبقدر ما تعمل يجازيك الله، وكلما بذلت جهداً أكبر كلما كان جزاء الله أوسع"(٢)

ثم يوضح رأيه في اللغات المختلفة حيث يقول:- "فإذا لم تكن سمعت اللغة من قبل في حياتك فسوف تبدو لك سخيفة ومضحكة ولكن الحقيقة أنه لا توجد لغة سخيفة ومضحكة.. فكل اللغات عذبة وكل اللغات جميلة، ولذلك فهي نعمة كبرى إذا استطعنا أن نتعلم المزيد من اللغات، فعندما نتعلم لغة جديدة فإن آفاقاً جديدة تفتح أمامك، وكلما تعلمت المزيد من اللغات كلما ازداد أفقك وفهمك"(٣)

---

(١) انظر ديدات، هذه حياتي، ٥٩ – ٧٧
(٢) ديدات، هذه حياتي، ٨٦
(٣) ديدات، هذه حياتي، ٩٢

يوضح أحمد ديدات الحملة الصليبية الجديدة وكيفية التصدي لها من خلال حوار مباشر مع ديدات في الجزء الأخير من الكتاب ويركز مجرى الحوار على أمور هامة هي:-

١. أهمية الدورات التي ينفذها المركز تحت إشراف أحمد ديدات.
٢. المبشرون وأثرهم في العالم الإسلامي والعربي.
٣. طرق التبشير في العصر الحديث.
٤. الطرق الناجحة في الحوار مع المبشرين.
٥. سبب نجاح المسيحيين في تنصير الأفارقة والهندوس.
٦. لابد من التحرك في اتجاه دعوة الأفارقة وغيرهم إلى الإسلام.
٧. المشكلات التي تواجه الداعية المسلم.

مذكرات الشهيد

عبد العزيز الرنتيسي

لا تتعدى ذكريات أو مذكرات أو سيرة عبد العزيز الرنتيسي ٣١ صفحة من الحجم الصغير، تأتي هذه الذكريات ضمن كتاب أعدّه عامر شماخ بعنوان مذكرات الشهيد عبد العزيز الرنتيسي في ١٠٣ صفحات من الحجم الصغير، ينقسم إلى ثلاثة أقسام تتوسط مذكرات الشهيد الكتاب في حين يبدأ معّد الكتاب عامر شماخ بقسم يتحدث فيه عن المرحلة الأولى من حياة الشهيد صاحب المذكرات والتفاصيل الأخيرة من حياته واغتياله، وردّ فعل الصهاينة عندما تمَّ اغتياله من خلال عنوان [الصهاينة يهللون لاغتياله]، وبعض من أشعار الرنتيسي كقصيدة قم للوطن وميوله الأدبية، أما تعريفه عن المؤلف فلم يتجاوز الخمس صفحات تكلم فيها عن ولادة الشهيد ونشأته والمراحل التعليمية المختلفة التي مر بها، كما ألمح إلى قضية عمالة الأطفال والتي كان الرنتيسي دليلاً على وجودها حيث أنه اضطر إلى العمل للمساهمة في إعالة أسرته وهو ما زال في السادسة من عمره.

كما أن عامر شماخ ذكر أن الرنتيسي كان متميزاً في دراسته بالرغم من كونه يجمع بين العمل والدراسة.كما أبرز العمل المجتمعي الذي أسهم فيه الرنتيسي.

وذكر المرات التي تمَّ اعتقال الرنتيسي فيها منذ عام ١٩٨٢ وحتى عام ١٩٩٨ مبيناً معاناته ومعاناة أهل بيته، كما يلفت الكاتب نظرنا إلى أن الدكتور الرنتيسي من حفظة كتاب الله عز وجل.[١]

أما في الجزء الثاني فقد تحدث عن لحظاته الأخيرة لما لهذه اللحظات من أهمية بالغة وأثر على الجماهير، ومما نقله عامر شماخ عن ابنه محمد قوله: "إنه جلس يتحدث عن زواج أخي أحمد الذي أصيب خلال محاولة الاغتيال الأولى وذلك بعد أن حصل على مدخراته من الجامعة الإسلامية وسدد ما عليه من ديون، واقتطع مبلغاً من المال لزواج أحمد وقال لنا: الآن أقابل ربي نظيفاً لا لي ولا علي!"[٢] وكأنه كان يشعر بقرب لحظة فراق الأهل في الدنيا ولقاء الأحبة في الآخرة.

وفي هذا الفصل يذكر عامر شماخ قصة استشهاد عبد العزيز الرنتيسي أي عن لحظة قصف الصهاينة السيارة التي كانت تقله، وكيفية تلقي أهله النبأ ومدى الصبر والقوة والعزيمة التي

---

(١) انظر الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ٥-١٠

(٢) الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ١١

تميزت بها زوجته"[١]، وفي نفس الوقت يوضح الصفات الشخصية التي تميز بها الشهيد كالحرص الأمني، وشدة حنانه مع أولاده برغم شدته وقسوته مع أعداء الله.

وفي الجزء الثالث الذي لا يتجاوز صفحتين فقط يذكر عامر شماخ فيها رأي اليهود في اغتياله وما ذكرته الصحف الإسرائيلية في هذا الموضوع حيث يرى الصهاينة أن اغتيال الرنتيسي سيضعف حركة حماس وأن ذلك سيؤثر على عملها في المدى المتوسط والمدى البعيد[٢]

وفي الجزء الرابع من الكتاب والذي عنونه عامر شماخ بـ(الرنتيسي شاعرا)، وأورد عدّة مقطوعات شعرية بدأها بقصيدة يبلغ عدد أبياتها ستة عشر بيتا عنوانها (قم للوطن) وبدأها بقوله[٣]:

قم للوطن .. وانثر دماك له ثمن واخلع فديتك كل أسباب الوهن

فإذا قتلت فلست أنت بميت فانعم بعيش لا يبيد مع الزمن

كما يذكر قصيدة حديث النفس والتي كتبها في معتقل النقب، حيث يغوص الرنتيسي في أعماقه ، فيخاطب ذاته الإنسانية التي تنزع إلى حب الدنيا والراحة، التي جبلت على حبهما، ويعرض ذلك الصراع الداخلي العميق الذي يدور في نفسه، ثم تنتصر فكرته الحرة وإرادته السامية، ومنها قوله:-

النفس:

ماذا دهاك يطيب عيشك بالحَزَن؟
تشري النعيم وتمتطي صهو الصعاب
ماذا عليك إذا غدوت بلا وطن
فانعم ترى ذا العيش في ظل الشباب

هو:

يا هذه يهديك ربي فارجعي
القدس تصرخ تستغيثك فارجعي
والجنب مني بات يجفو مضجعي
فالموت خير من حياة الخُنَّع

---

(١) الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ١٣

(٢) الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ١٤

(٣) الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ١٦

ولذا فشدي همتي وتشجَعي

ومن القصائد التي ذكرها قصيدة (حسبك أن كل الشعب رامي) ووجهها إلى حركة حماس وكذلك قصيدة (التحدي إلى الحكام العرب) وبدأها بقوله:[١]

أحيوا ضمائركم أما بقيت ضمائر فتجارة الأوطان من كبرى الكبائر

ثم يعلق عامر شماخ على كتابات الرنتيسي ويرى أن كلماته تتميز بالرصانة وقوة الإيحاء، كما يرى أن رؤية الرنتيسي للموت في كل مكان من العوامل التي أنضجت تجربته الإبداعية[٢]

أما القسم الأوسط من كتيب المذكرات فيشتمل على ما كتبه الرنتيسي نفسه وجمعه عامر شماخ ويشمل عدة أحداث تركت في نفس الرنتيسي أثراً واضحاً، لكنها كانت أحداثا متفرقة، وهي:

- مذبحة خان يونس عام ١٩٥٦م والتي راح ضحيتها٥٢٥ شهيداً.
- إضراب عام ١٩٨١م.
- افتتاح كلية التمريض في الجامعة الإسلامية برغم الحرب التي شنها الاحتلال عليه وعلى رفيق كفاحه الدكتور محمود الزهار.
- الإبعاد إلى مرج الزهور.

هذه الأحداث محدودة جدا بالنظر إلى زخم الأحداث التي رافقته طوال حياته، لذلك لا يمكن اعتبارها مسيرة حياة إلا أنها جزءاً مهماً من حياته.

١. مذبحة خان يونس: وهذا الحدث الأول في سيرته، ذكر من خلاله أحداثاً شخصية تركت ندوباً في نفس الرنتيسي وفي تشكيل مبادئه وأفكاره، منها قصة استشهاد عمه، يقول عبد العزيز الرنتيسي موضحاً هذا الحدث:"ولقد اقتحم اليهود بيته كما اقتحموا بيوت الجيران وكان يجلس مع زوجته وأبنائه، فصوبوا السلاح عليه فما كان من ابن عمي (موفق) ابن لتِسع سنوات إلا أن ألقى نفسه على والده ولكن القتلة اليهود لم يكترثوا لهذا المشهد ولم يترددوا في إطلاق رصاص بنادقهم فقتلوا الوالد وأصابوا الطفل بجراح متوسطة في ساعده"[٣]
٢. حياة الفقر التي عاشها الرنتيسي وأهله: حيث ينقل إلينا الرنتيسي مرارة الفقر والجوع التي عاشها الشعب الفلسطيني، ومن المواقف التي ذكرها في هذا الصدد تنازله عن حذائه الوحيد لأخيه حتى لا يسافر الأخ حافيا إلى السعودية، ذلك الأخ

(١) الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ٢٢

(٢) الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ١٥

(٣) الرنتيسي، مذكرات الشهيد ، ٣٠

الذي ترك دراسته مضطرا وتعلم حرفة الحلاقة كي يعيل الأسرة ثم سافر بحثا عن عمل لإطعام أخوته[١].

٣. كما يذكر الرنتيسي أن مرتبات الفلسطينيين في مختلف الوظائف كانت ثلث مرتبات نظرائهم من اليهود، مع العلم بأن الفلسطينيين يدفعون ضرائب أضعاف ما يدفعه اليهود[٢] مما جعله يشارك في إضراب عام ١٩٨١م الذي أعلنه الأطباء اعتراضاً على الضريبة التي فرضها اليهود.

٤. إنشاء كلية التمريض في الجامعة الإسلامية حيث كان للدكتور عبد العزيز الرنتيسي ورفيق دربه الدكتور محمود الزهار دور كبير في إنجاز هذه المهمة رغم معارضة الاحتلال، يقول الرنتيسي: "...لكن الأمر لم يرق لليهود الذين لا يريدون أن ينهض التمريض نهضة أخلاقية قيمية فبدأت المعركة، التي استمرت خمسة وأربعين يوما"[٣]، حاول خلالها جنود الاحتلال الضغط على الأهل في خانيونس من خلال الترهيب والتخويف حتى لا يذهبوا إلى عيادته.

ولقد جمع الرنتيسي الأحداث الثلاث التي ذكرتها آنفا وأعطاها رقم (١)، أما في رقم (٢) فقد قسمه إلى عدة موضوعات هي: كرامات في المعتقل، ثلاثة أشهر في السجن الانفرادي،عندما يستجاب الدعاء، ومن يهن الله فما له من مكرم.

- فقد تحدث في الموضوع (كرامات في المعتقل) عما قاساه في سجون الاحتلال والغريب أن الرنتيسي الكاتب لم يذكر معاناته الشخصية الجسدية بل اهتم أكثر بذكر المواقف التربوية التي تقوي عقيدة المسلم والتي تعتبر دروسا تعليمية للشباب المسلم، فعندما يذكر السجن ومعاناته، يذكر موقفًا تربويًا اعتبره الرنتيسي هاما جدا لابد من إبرازه، فعلى سبيل المثال ذكره لسجن النقب الصحراوي لم يكن حديثا عن شدة الحرارة وصعوبة الحياة بل تحدث عن استجابة الله سبحانه وتعالى لمن دعاه صادقا متوكلا عليه،واعتبر ما حدث من كرامات معتقل النقب يقول:" وفي آخر ليلة من رمضان استيقظنا لتناول السحور فإذا بالحرارة لا تطاق، وشعرنا بأننا أمام يوم صعب، وانتظمنا في صلاة الفجر وصلى بنا إماما طالب من طلاب الجامعة الاسلامية وقد حباه الله صوتا نديا في تلاوة القرآن، وبعد القيام من الركوع رفع إمامنا أكف الضراعة باكياً يدعو الله ونحن نؤمن من خلفه، وألهمه الله فقال في دعائه: اللهم

(١) الرنتيسي، مذكرات الشهيد ، ٣٠

(٢) الرنتيسي، مذكرات الشهيد ، ٣٠

(٣) الرنتيسي، مذكرات الشهيد ،٣٤

سق إلينا الغمام واسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين "[١] ويعلق الرنتيسي على هذا الموقف ويقول : كان الواحد منا يقول في نفسه: ومن أين سيأتي الغمام في يوم من أيام الصيف كهذا اليوم وفي مكان صحراوي كصحراء النقب؟ "ووسط دهشة السجين والسجان على حد سواء بدأ الغيم يتجمع ويصور الرنتيسي هذه الظاهرة الغريبة بقوله "فإذا بغيمة تتهادى من بعيد لتستقر فوق المعتقل مظللة جزءاً من خيام المعتقلين فلم نصدق عيوننا، ثم تبعتها أخرى، ثم جاء الغيم تباعا حتى ظلل المعتقل كاملا ومساحة حوله، فكنا نشاهد على الأرض حدود ظلال الغيوم من حولنا وبعدها تبدو أمام ناظرينا شمس تلفح سطح الأرض، ثم تساقط المطر وتساقطت معه دموع المعتقلين الذين اعتبروا ذلك آية ورحمة من الله"[٢].

- ثم تحدث عن السجن الانفرادي وما يعانيه المعتقل إلا أن الرنتيسي ركز على سبب ترحيله إلى السجن الانفرادي وهو محاولة انتزاع هيبة مدير عام المعتقل من نفوس الأسرى بحيث رفض الوقوف لمدير السجن وتحيته عند دخوله لمكان الاجتماع بممثلي المعتقلين[٣]، وعندما ذكر سجن كفار يونا فقد ذكره عندما أخبرنا عن حفظه للقرآن الكريم، يقول: "وبدأنا رحلتنا مع القرآن أما أنا فأراجعه بعد أن من الله علي بإكمال حفظه من قبل عام١٩٩٠ حيث كنت والشيخ أحمد ياسين في زنزانة واحدة في معتقل كفار يونا"[٤] ثم ذكر كيف استجاب الله دعائهم حيث دعوا الله أن يخلصهم من مكبرات الصوت التي كانت عقابا لهم فوق العقاب وحسابا فوق الحساب، بالإضافة إلى أنها كانت تعطلهم عن تلاوة القرآن والخشوع في الصلاة و تحدث ضجيجا لا يستطيعون منه النوم أو القراءة، يقول عبد العزيز الرنتيسي: "وبينما كنت واقفا مع المهندس إبراهيم في الساحة خارج الزنزانة في الساعة المقررة لنا وكنا نصغي إلى نشرة الأخبار فإذا بمدير القسم من المعتقل يشاهدنا فسأل (نير) ونحن نسمعه: ماذا يفعل الدكتور والمهندس؟ فقال له نير: يستمعان إلى نشرة الأخبار، فغاظه ذلك وقال له: اقطع أسلاك مكبرات الصوت المقابلة للزنازين ظنا منه أننا سنأسف لذلك أو أنه سيؤلمنا، ففعل نير واستجاب الله لدعائنا"[٥] ونير هو أحد السجانين. وفي الجزء الذي جعل عنوانه ومن يهن الله فما له من مكرم تحدث عن رأي اليهود السجانين في العملاء واحتقارهم لهم بالرغم من أن العملاء باعوا دينهم ووطنهم وأهلهم لليهود"[٦]

---

(١) انظر الرنتيسي، مذكرات الشهيد ،٣٨

(٢) انظر الرنتيسي، مذكرات الشهيد ،٣٩

(٣) الرنتيسي، مذكرات الشهيد ،٤٠

(٤) الرنتيسي، مذكرات الشهيد ،٤١

(٥) الرنتيسي، مذكرات الشهيد ،٤٢

(٦) انظر الرنتيسي، مذكرات الشهيد ٤٢

أما في رقم (٣) فقد تحدث عن مرافقته للشيخ أحمد ياسين في زنزانته في معتقل كفاريونا وينقل إلينا الرنتيسي بعض المواقف الغريبة منها عدم اقتراب البراغيث من الشيخ أحمد ياسين على الرغم من انتشارها داخل السجن، حيث يقول: "فذات يوم اكتشفت أن حشرات تقفز على ملابسي فأخبرت صاحبي فوجدته يعاني نفس الشيء، وقد تبين لنا أنها براغيث، فذهبت إلى الشيخ أنظر حاله فلم أجد برغوثًا واحدًا على ثيابه وشكونا الحال إلى إدارة المعتقل ولكن عبثا، واستمر الوضع قرابة الأسبوعين لا تقترب من الشيخ، فسألته مداعبا: ترى ما السبب؟ فقال: إنها تبحث عن السمان، فضحكت وقلت له: بل صدها الله عنك لأنه يعلم أنك لا تستطيع حك جلدك"[١] (السمان) أي الذين يعانون من زيادة الوزن. ومرة أخرى يتحدث الرنتيسي عن استجابة الدعاء فقد توجه الرنتيسي لله بالدعاء بقوله: اللهم إن كنت راضيا عن خدمتي للشيخ فطمئني على أهلي فإذا بالشرطي يناديه ويقول له: تعال للزيارة فقد حضر أهلك ويعلق على ذلك بقوله"والذي زاد في دهشتي أن هذا الشرطي لم أره من قبل فإذا به ونحن منطلقين إلى الزيارة يقول لي: اهتم بالشيخ، وكأن الله ألهمه أن يقول ذلك كي أعلم أن زيارة الأهل كانت استجابة للدعاء"[٢].

وفي هذا الجزء من الكتاب يتحدث الكاتب الرنتيسي عن أكبر حادثة في حياته وأعظمها أثرا وهي الإبعاد إلى جنوب لبنان، حيث يذكر بالتفصيل كيفيه تنفيذ اليهود هذه الجريمة منذ إحاطة جنود الاحتلال بيته وحتى نزولهم فيما أسموه بعد ذلك مخيم مرج الزهور، ولقد أسماها الرنتيسي رحلة العذاب ويظهر فيها مدى قسوة العدو الصهيوني وجبروته [٣]، يقول: "وانطلقت بنا الحافلات تسير أحيانا وتتوقف أحيانا أخرى ونحن على ما نحن عليه من قيد وتعمية، والوقت يسير ببطء شديد، ولقد نال منا الإرهاق وطول السفر والقيد الذي يكبل معاصمنا من الخلف منالا فلا نستطيع الجلوس في وضع مريح ولا نستطيع النوم ولم نتناول طعاما ولا شرابا ومنعنا حتى من قضاء الحاجة وكنا نصلي صلاة فاقد الطهورين"[٤].

وفي الجزء الأخير من المذكرات والذي رمز إليه برقم (٤) يتحدث فيه عن مواقف متفرقة في مرج الزهور،منها موقف المبعدين من الإبعاد ويتمثل فيما قاله الدكتور عبد العزيز نفسه في خطبة الجمعة الأولى، يقول:"وأهم ما ذكرت في خطبة الجمعة شكري للموقف اللبناني الذي أغلق الباب في وجه المبعدين وأثنيت على الحكومة اللبنانية ثناء عطرا وأعلنت أننا لن ندخل لبنان

---

(١) الرنتيسي، مذكرات الشهيد ،٤٥

(٢) الرنتيسي، مذكرات الشهيد ،٤٦

(٣) انظر الرنتيسي، مذكرات الشهيد ،٤٨-٥١

(٤) الرنتيسي، مذكرات الشهيد ،٥٠

مبعدين، وأننا سنتجذر في هذا المكان الموحش والموحل حتى نعود إلى فلسطين"[١]، واعتقد الصحفيون أن هذا الموقف سرعان ما سيتغير نتيجة للبرد الشديد وعدم توفر الاحتياجات الأساسية للحياة، إلا أن المبعدين صمدوا على موقفهم وعادوا جميعا إلى فلسطين.

ولقد سلط الدكتور الرنتيسي الضوء على شدة التنظيم التي تميز به المبعدون منذ اللحظة الأولى، وكان نتيجة ذلك التنظيم ما يلي: انتخاب الرنتيسي ناطقا إعلاميا باسم المبعدين، إقامة جامعة ابن تيمية، تكوين اللجان المختلفة التي تهتم بكل شأن من شئون المبعدين[٢]. كما اهتم الرنتيسي بذكر الشخصيات العامة التي زارت المبعدين والخدمات التي قدمتها المؤسسات المختلفة إليهم، أبرز الرنتيسي في هذا الجزء الدور الدعوي للمبعدين بل دوره شخصيا مع اللبنانيين في الجنوب اللبناني وتدخله لحل بعض المشكلات التي يعانون منها على الصعيد الاجتماعي خاصة تلك المصالحة التاريخية التي استطاع أن يحققها بين أب من ناحية وابنته وصهره من ناحية أخرى بعد أن عجز عن حل مشكلتهم الجميع[٣] وفي الصفحة الأخيرة من مذكراته يتحدث عن الشعب الأمريكي العجيب، ويحكي قصة أحد الصحفيين الأمريكان، الذي روي له تعاطف أطفال البوسنة مع المبعدين: "ولما جاء إلينا أحضر معه مبلغاً من المال تجاوز المائة دولار بقليل إن لم تخني الذاكرة، وقال لنا إن هذا المبلغ هدية مقدمة لكم من أطفال البوسنة، ولقد قمنا على إثرها باستنهاض الهمم لنجمع من المبعدين ما تجود به أنفسهم من أموال لصالح أطفال البوسنة"

وأكثر ما أذهل الرنتيسي عندما طرح عليه الصحفي السؤال التالي: "هل أنت نبي؟ فقلت لا، فقال: "هل يتنزل عليكم وحي من السماء، فقلت لا ثم أنهى اللقاء. وتوجهت إليه متسائلاً بعد نهاية اللقاء، لماذا سألتني هذه الأسئلة الغريبة؟ فقال: أنا أخاطب المجتمع الأمريكي، وهناك خواء روحي عجيب، وكثير منهم يعتقد أن ثباتكم بين الصخور والثلوج لا يمكن إلا بوحي، ويعتقدون أنك نبي جديد"[٤].

أهم المحاور التي تتناولها السيرة:-

١. ولادته وبلدته الأصلية.
٢. الأحداث التي أثرت عليه في طفولته كمذبحة خانيونس والفقر الذي عانت منه أسرته.
٣. الأحداث التي أثرت عليه في شبابه كإضراب ١٩٨١م

---

(١) الرنتيسي، مذكرات الشهيد ،٥٣

(٢) انظر الرنتيسي، مذكرات الشهيد ،٥٦

(٣) انظر الرنتيسي، مذكرات الشهيد ، ٥٧

(٤) انظر الرنتيسي، مذكرات الشهيد ،٥٩-٦٠

٤. افتتاح كلية المريض في الجامعة الإسلامية.
٥. الإبعاد إلى مرج الزهور.
٦. مواقف وأحداث في المعتقلات زادت من قوة إيمانه وعقيدته.
٧. أثر الإبعاد في نفوس المبعدين أنفسهم وأثره على العالم.

ذكريات مرج الزهور

حماد عليان الحسنات

يبلغ عدد صفحات كتاب ذكريات مرج الزهور ١٠٣ صفحات من الحجم المتوسط يروي فيه الكاتب حكاية الإبعاد إلى مرج الزهور في الجنوب اللبناني عام ١٩٩٢م.

يبدأ الكتاب بعرض الموضوعات الهامة فيه، ثم مقدمة يبدأها بحديث قصير حول الإيمان بالقضاء والقدر ثم يعرج على قضية الإبعاد وموقفه منها ثم يربطها بقضية الإيمان بالقضاء والقدر مؤكداً أن كلٌ شيء بيد الله، ثم يتعرض باختصار إلى موقف العالم من هذه القضية سواءً كانوا لبنانين أم غير لبنانين.

لا يظهر في المقدمة الدافع وراء الكتابة إلا أنه في الإهداء يلمح إلى ذلك بقوله "أن تكون بصيصاً من نور لمن أراد أن يهتدي إلى وضع الأقدام في حلكة الظلام"[١]

ويبدأ ذكرياته بعنوان رحلة العذاب حيث يشرح فيها بالتفصيل بداية الإبعاد منذ خروجه من بيته، وحتى وصوله إلى المنطقة التي أطلق عليها مخيم مرج الزهور.

في ثنايا حديثه يعرض حماد الحسنات أحاسيسه ومشاعره في كل محطة كان ينزل فيها أو يصعد منها حيث يقول: "وما حدث معي أنني شعرت بشيء من الإعياء وأخذت أتألم، فنقلوني إلى باص آخر، ثم تحرك الباص واستمر في سيره من الظهر حتى الساعة التاسعة مساءً"[٢]

ويتحدث عن رحلة الطائرة من سجن كيتسعوت (النقب) إلى شمال فلسطين بقوله: "وأقلعت الطائرة بعد ذلك، وأخذت في المسير حوالي الساعتين بصوتها المزعج الذي أشد علينا من رحلة الباص بمائة مرة"[٣]

ويظهر إصرار الحسنات ورفاقه على العودة منذ اللحظة الأولى وذلك عندما قابلوا الجنود اللبنانيين بقولهم: "أننا لا نريد من دولة لبنان أن تسمح لنا أو حتى لأحدنا بدخول أراضيها كما لا نريد من أي دولة عربية أن تسمح لنا بدخول أراضيها كذلك. وهذا الأمر نريد تبليغه فوراً للحكومة اللبنانية"[٤]

ويوضح الحسنات مشاعره مرة أخرى بقوله: "كان وقع الخبر على مسامعنا شديداً بل شديداً

---

(١) الحسنات، ذكريات مرج الزهور، ٣

(٢) الحسنات، ذكريات مرج الزهور، ٧

(٣) الحسنات، ذكريات مرج الزهور، ٧

(٤) الحسنات، ذكريات مرج الزهور، ٧-٨

جداً"[١] ويقصد بالخبر (الإبعاد) وبرغم ذلك يقول مستدركاً: "تلقيت الخبر بكل هدوء لم اشعر بذلك الأسى الذي أتوقعه"[٢] أي أنه تلقى الصدمة بهدوء برغم قوتها ويحدد عدّة أسباب لذلك:-

١. الاطمئنان القلبي والرضا بالقضاء والقدر.
٢. حقيقة أن انتظار الشر أصعب من الشر نفسه.
٣. المبعدون كلهم من الاتجاه الإسلامي.
٤. عدد المبعدين كان كبيراً.

وحوّل ذلك الإحساس إلى درس عملي، وهو كما يقول: "أن الإنسان عندما يسلم أمره تسليماً حقيقياً يرتاح جداً ولا يجد عناء الصدمة"[٣]

يعرض الحسنات في الصفحات الأولى قدرة المبعدين على تنظيم أنفسهم حيث ظهر ذلك في:-

١. اختيارهم بسرعة ناطقاً رسمياً باسمهم.
٢. تحديد موقفهم من الإبعاد مبكراً وهو "لو عضّ كل واحد منا على صخرة فلن نغادر هذا المكان فإما العودة إلى ديارنا أو الموت"[٤].
٣. تأكيدهم بأن قضية الإبعاد قضية سياسية عادلة وليست قضية إنسانية تحتاج إلى الطعام والشراب.
٤. استطاعت استثمار الصحافة العالمية لحل قضيتهم.

ويتحدث الحسنات أكثر من مرّة عن أسرته، وأثر الإبعاد فيهم وإحساسه بأسرته في الإبعاد فيقول: "منذ علمت بأنني مبعد اتجهت إلى الله وخاطبته في نفسي وهو يعلم ما يكنه صدري – وقلت يا رب أنت تعلم ما أنا فيه الآن، فأسرتي وديعة عندك – وكان ذلك ونحن في الطائرة وهي مقلعة إلى جنوب لبنان– ومنذ تلك اللحظة أقفلت الباب عن التفكير في هذه الأسرة وارتحت لأنني أودعتها عند ربي"[٥]

ويتطرق الكاتب إلى مواقف الهيئات والدول والمؤسسات من الإبعاد بين مشفقٍ ومتأثرٍ وبين خائفٍ ومرتاب من هذه المجموعة.

---

(١) الحسنات، ذكريات مرج الزهور، ٨
(٢) الحسنات، ذكريات مرج الزهور، ٨
(٣) الحسنات، ذكريات مرج الزهور، ٨
(٤) الحسنات، ذكريات مرج الزهور، ١٠
(٥) الحسنات، ذكريات مرج الزهور، ١٣

كما يتطرق إلى موقف الأفراد في الجنوب اللبناني، ويقدم مثالاً مشرفاً بقوله: "ولا أنسى في هذا الموقف ذلك الرجل الفاضل (نزيه البقاعي) الذي أكرمنا إكراماً ما قام به أحد أو هيئة، وهو أن أحضر إلينا سيارتي شحن إحداهما محملة بالبطاطا والثانية بالتفاح مما جعلنا نأكل فيها ما لا يقل عن شهر"[١]

ويتعرض لموقف الأدباء الذين أتحفوا المبعدين بقصائد رائعة ومنهم الشاعر نظمي جمال، الذي نظم قصيدة رائعة يمدح فيها المبعدين وصبرهم وجلدهم ولقد عارضه حماد الحسنات بقصيدة تحمل نفس المعنى.

ولا يقف الحديث عند هذا الحد بل يبدأ الكاتب بعرض الفعاليات التي قام بها المبعدون ومنها: مسيرة المشاعل – مسيرة العودة، يوماً إعلامياً لدفن (مصداقية الأمم المتحدة)، مسيرة البالونات، تجسيد قرار ٧٩٩، مسيرة نداء العودة، مسيرة الرسائل، زرع الأعلام، فعاليات عيد الفطر وعيد الأضحى، تكوين الجامعة، مسيرة الأكفان ويوثق الكاتب تلك الفعاليات بصور توضحها.

ويوضح حماد الحسنات أهمية الإعلام، وكيف سعى المبعدون إلى استثمار ذلك مما أدى إلى أن "العمل الصحفي اليومي جعل من مرج الزهور سوقاً إعلامياً، أخذ يرتاد هذا السوق رجال الصحافة من أي بقعة في العالم، والصحفي يجد فيه مادة للحديث والكتابة والتسجيل والتصوير سواء بالكمرات العادية أو كمرات الفيديو"[٢]

كما أنه يذكر بعض الشخصيات والوفود المهمة التي زارت المبعدين وأثر ذلك عليه شخصياً ومنهم فتحي يكن الكاتب الإسلامي، د. أحمد الملط من نقابة الأطباء المصرية، وفد الحزب الناصري المصري نقابة الأطباء الأردنيين، د. عصام العريان، د. محمد الغريب (مسيحي، أسلم وأصبح داعية)

وتحدث الكاتب بالتفصيل عن المقابلات التلفزيونية والندوات العلمية والمؤتمرات واحتفال تخريج طلاب جامعة ابن تيمية – الجامعة التي أقامها المبعدون في مرج الزهور، ويروي الكاتب ذلك بقوله: "وكان احتفالا رائعاً وزعت الجوائز على الفائزين وكذلك وزعت عباءات بيضاء على الأساتذة الذين شاركوا في مساقات علمية في الجامعة، وكان ذلك اليوم يوماً رائعاً شعرنا فيه وكأننا في احتفالات الجامعة الإسلامية التي كانت تعقد"[٣]

---

(١) الحسنات، ذكريات مرج الزهور، ١٥

(٢) الحسنات، ذكريات مرج الزهور، ٢٩

(٣) الحسنات، ذكريات مرج الزهور، ٥٦

ثم تحدث الكاتب عن الأنشطة اليومية للمبعدين وهي:_ الدراسة الجامعية، حفظ القرآن تعليم بعض المهن، الإنتاج الأدبي، الكتابة الصحفية، ممارسة الألعاب الرياضية، ممارسة بعض الفنون، ممارسات علمية وترفيهية، الزيارات المتبادلة، اكتشاف البيئة والتعرف عليها[١]

ثم يصور الكاتب مشاهد من العناية الإلهية بهم، وأثر ذلك في تقوية عزائمهم. وقد تطرق الكاتب حماد الحسنات إلى النتاجات العملية والأدبية للمبعدين ومنها:- كتابة المقالات الصحفية، وكتابة الشعر، وكتابة الأهازيج، والأناشيد، وكتابة التاريخ وتوثيق الأحداث، وكتابة المسرحيات، ونشر بعض الكتب، والمساقات العلمية والتحليلات السياسية، والتسجيلات المسموعة والمنظورة[٢]

تتناثر آراء الكاتب السياسية بين ثنايا صفحات الكتاب، حتى لا تكاد تقرأ صفحة من صفحاته إلا وتجد له رأياً فيه، كما أنه في الصفحات الأخيرة يوضح مقاصد العدو من الإبعاد، ويرى أن السحر انقلب على الساحر فلم يحقق العدو ما كان يصبو إليه ثم يتحدث عن فوائد الإبعاد على جميع المستويات والنتيجة النهائية ورحلة العودة[٣]

ومن آرائه السياسية:-

ضرورة وحدة الرأي لأن الاختلاف يحقق للعدو مقصده، يقول: "لا يختلف اثنان في أن الاختلاف في الرأي وإتباع كل لهواه لا يمكن أن يوصل إلى نتيجة صحيحة ولذلك الاختلاف في الجماعة من الأمور الضارة الممقوتة" ولعله يقصد الاختلاف الذي يفضي إلى الانقسام.

كما يرى أن هدف العدو" من الإبعاد هو التخلص من الاتجاه الإسلامي تهيئة لتمرير الحل السلمي لأنه يعتبر أنهم الخطر الحقيقي على وجودهم.

---

(١) الحسنات، ذكريات مرج الزهور، ٥٧-٦٠

(٢) الحسنات، ذكريات مرج الزهور، ٧١-٧٧

(٣) الحسنات، ذكريات مرج الزهور، ٩٥-٩٧

الفصل الخامس:
تقنيات السرد في السيرة الذاتية

- الزمان
- المكان
- اللغة
- الأسلوب
- الشخصيات
- الأحداث
- الصراع

الزمان

عندما ترى الشيب يشق مفرقيك، والتجاعيد تظهر في تعابير وجهك، أو ترى ابنك ينمو ويزيد طولا وعرضا يدفعك دفعا للرحيل من دنيا الشباب إلى دنيا الكهولة فالشيخوخة، تنظر نظرة إلى تتابع الفصول فتجد النبات يشيخ، ونظرة أخرى إلى الكون فتجد كل نجم يولد ثم يأفل، تسأل نفسك ما المخلوق الذي لا نعلم له وصفًا ولا رسمًا ولكننا نلمح آثاره في كل مكان وفي كل كائن، ندركه بعقولنا ولكن لا تدركه حواسنا، إنه الزمن "ذلك الشيء الزئبقي الذي يصعب الإمساك به، نشعر بوجوده، ونحس وطأته علينا"(١).

لذلك" الزمن من حيث التأثير في الأشياء يعد مظهراً نفسياً لا مادياً، ومجرداً لا محسوساً، يتجسد الوعي به من خلال ما يتسلط عليه بتأثيره الخفي غير الظاهر، لا من خلال مظهر في حد ذاته، إنه يظهر من خلال الأشياء المجسدة فحسب، فتراه يعايش الأفراد في كل لحظة دون أن يستطيعوا ملامسته، يعايشهم من خلال آثاره سواء في شيب الإنسان أو تجاعيد الوجه أو سقوط الشعر أو تقوس الظهر وخلافه"(٢)إذن"الزمن فكرة مجردة، اهتمت بها التيارات الفلسفية والنقدية منذ القدم وهي ركيزة أساسية في جوهر المعرفة الإنسانية التي تحاول أن تؤسس فعلها وتحقق كينونتها على المستويين التوجدي والتعاقبي، وبهذا يتجلى الزمن مكونًا مرتهنًا بالخبرة الإنسانية التي حاولت أن تفسره وتفهمه على نحو أو آخر"(٣)، والذات الإنسانية يغيرها الزمن لأن" الإنسان يتقلب عبر الزمن"(٤) حيث أن كل حدث يمر به الإنسان كل يوم يترك أثره على تفكيره وقناعاته في الكون والحياة يوضح ذلك علي الطنطاوي في بداية مذكراته بقوله:"يموت في شخص ويولد شخص جديد، والميت أنا و المولود أنا خلايا جسمي تتبدل كلها كل بضع سنوات حتى لا يبقى منها شيء مما كان، عواطفي تتبدل، فأحب اليوم ما كنت أكرهه وأكره ما كنت أحب، أحكام عقلي تتغير فأصوب ما كنت أراه خطأً وأخطئ ما كنت أجده صوابًا"(٥) وقد يكون هذا الكلام فيه شيئا من المبالغة – حيث نرى الكثير من الناس لا تتغير أفكارهم ولا أحوالهم إلا تغيرا سطحيًا،فلا يمكن أن يموت الشخص بمضي الزمن إلا إذا رحل عن الدنيا، يتغير الإنسان مع مرور الأيام والأحداث ولكن يبقى

---

(١) ايوب، محمد، الزمن والسرد القصصي في الرواية الفلسطينية المعاصرة، سندباد للنشر والتوزيع ط١، ٢٠٠١م، ٩٧.

(٢) أبو شاويش، حماد حسن وآخرون، تحليل الخطاب الروائي دراسات في الرواية الفلسطينية المعاصرة، منشورات الملتقى الفكري الأكاديمي في قطاع غزة، ط١، ٢٠٠٦م، ٢١٧

(٣) النعيمي، فيصل، العلامة والرواية دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد، ٤٣

(٤) غنايم، محمود، تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة، ٢٣

(٥) الطنطاوي، علي، ذكريات، ج١، ١٨

الإنسان القديم كامنًا في ذاته قد يخرج في أي لحظة إذا واتته الفرصة وربما خرج في قصة يكتبها أو قصيدة شعر يعبر فيها عن أحاسيسه الخبيئة، إذن"الزمن يرتبط ارتباطا وثيقا بالمكان والحركة ولولا الحركة لما استطعنا أن ندرك وجود الزمن"[١].فنحن ندركه بدوران الأرض وتعاقب الليل والنهار، ندركه في الحركة البطيئة جدا للتغيير في الكائنات الحية كالتقدم في السن.

فما هو الزمن؟ جاء في لسان العرب أن الزمن هو:اسم لقليل الوقت وكثيره، وفي المحكم : الزمن والزمان العصر، والجمع أزمن وأزمان وأزمنة. وزمن زامن: شديد. وأزمن الشيء: طال عليه الزمان، والاسم من ذلك الزمن والزمنة، عن ابن الاعرابي"[٢]"

ورغم تعدد التعريفات والمسميات عند المفكرين المعاصرين، فإنهم يتفقون على قضية هامة وهي (أن الزمن لا ينفصل عن الذات) إذ أن الإنسان لا يدرك نموه النفسي والمعنوي إلا في إطار الزمن وليس خارجه، والزمن بالنسبة للأدب هو (الزمن الإنساني) إنه وعينا الذي يدخل في الحياة المليئة بالخبرة والتذكر والتجريب ومن ثمَّ بناء الذات"[٣]

اختلف الدارسون قديما وحديثا في تحديد أنواع الزمن، فالعرب قديما قسموا الزمن إلي الماضي والحاضر والمستقبل، فالماضي ما مضى وانتهى، والحاضر وقت الكلام، والمستقبل ما كان في حكم الغيب لم يقع بعد وإن كان" منبع الزمان عند العرب هو الحال أو اللحظة الحاضرة وعليه فقد انطلقوا من لحظة التكلم ليبحثوا إعرابيًا أو تركيبيًا عن بعد الزمن، فهم يرون أن الفعل لا ينصب بعد حتى إلا إذا كان مستقبلاً بالنسبة إلى لحظة التكلم، ولا يرفع الفعل بعد حتى إلا إذا كان حالاً"[٤]، ففي العصور التي سبقت الإسلام، كان مفهوم الزمن عند العربي يتحدد في اللحظة والساعة واليوم، وفي أفضل الحالات عُبِّر عنه بالقلق من الشيخوخة وتقدم السن وظلت العلاقة مع الزمن غائمة غير بارزة، حتى أن قصائد الجاهلية الشهيرة تكاد تخلو من رؤية واضحة لمفهوم الزمن عند العربي.

أما في نظر العربي المسلم فالزمن ينقسم إلى نوعين: زمن الدنيا الفانية القصير، والزمن الأبدي بعد المبعث والقيامة، لذلك لابد أن يسعى المسلم لفعل الخير لأن ما يفعله في هذه الفترة الزمنية المحدودة(دنيا الفرد) سيجازى عليه في الزمن اللامحدود(اللآخرة)، فلا وقت يضيعه في

---

(١) أيوب، محمد، الزمن والسرد القصصي، ٩٧

(٢) ابن منظور، جمال الدين محمد، ج١٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٥٥م، ١٩٩

(٣) عودة، علي محمد، الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية ١٩٥٢-١٩٨٢، ط٢، رام الله، ١٩٩٧م، ١٩

(٤) أيوب، الزمن والسرد القصصي في الرواية الفلسطينية المعاصرة، ٩٨

التفاهات و"مع تطور الحياة العربية في العصر العباسي، والاختلاط بالثقافات والأفكار الأخرى، برزت في الحياة العربية نظرة العربي للزمن والحياة واختلطت هذه النظرات برؤيا فلسفية للموت والبعث والزمن"[١]

نظرة الغرب إلى الزمن:

" وقد تدرجت نظرة الغرب للزمن من السلبية إلى الايجابية، فقد اصطبغت هذه النظرة بصبغة سلبية تشاؤمية ترى الزمن عنصرًا هدامًا يقضي على قوى الإنسان وهذه النظرة سادت التراث الغربي منذ العصر الإغريقي حتى القرن التاسع عشر ولكنها أخذت في التغير"[٢]

في العصر الحديث اتسعت النظرة للزمن"فلقد تعدي مفهوم الزمن عند الإنسان مجرد الوصف والتسجيل ليصل إلي لب الأشياء وجوهرها عن طريق ربط الماضي بالحاضر والمستقبل، وبالتالي التأثير في تشكيل الذات"[٣]وربما تشكيل ذوات المجتمع عامة.

ولقد قسّم النقاد البناء الروائي إلى شكل ومضمون، كما قسّموه إلى عناصر أساسية لا تخلو منها قصة، من هذه العناصر الأحداث، والشخصيات، والبيئة أو الوسط (المكان)، والزمان، والحبكة القصصية بمظاهرها المتعددة مثل الفكرة أو مركز الأحداث الذي تلتقي فيه حين تبلغ قمة تعبيرها عن الفكرة، أما الإطار، فهو الذي يربط بين الأحداث والعقدة"[٤]، ولا يمكن أن يستغني الكاتب عن أي من هذه العناصر، فكل عنصر له أهميته، كما أن هذه العناصر لا يمكن فصلها عن الآخر فالحدث لا يمكن أن يتم إلا من خلال الشخصيات، كما أنه يحتاج إلى مكان ليتم فيه ولا يمكن أن يتم إلا من خلال حركة الزمن، كما أن الأحداث لا تتم من خلال وتيرة واحدة فلا بد من تصاعد الأحداث وهبوطها مروراً بالعقدة أو العقد المختلفة للأحداث وصولاً في النهاية إلى الحل، وكل ذلك لابد أن يكون لإبراز فكرة، أو قضية أو هدف.

أنواع الزمن في النص الروائي :"يرى محمد أيوب أن الآراء اختلفت حول أنواع الزمن، فمنهم من قسم الزمن إلى :

١. زمن طبيعي فيزيائي(كاختلاف الليل والنهار وما ينشأ عنها من: أيام وشهور).

---

(١) انظر عودة، الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية، ١١

(٢) أيوب، الزمن والسرد القصصي في الرواية الفلسطينية المعاصرة، ١٠١

(٣) عودة، الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية، ١٨

(٤) أيوب، الزمن والسرد القصصي في الرواية الفلسطينية المعاصرة، ٧١

٢. زمن حدثي موضوعي(وهو زمن الأحداث التي تغطي حياتنا كمتتالية من الوقائع).

٣. زمن لساني(يرتبط بالكلام ومنبعه الحاضر).

٤. زمن نفسي سيكولوجي (ويبدو في الخبرة الإنسانية كما تحسه وتراه(وهو الزمن الأكثر أهمية في الأدب عمومًا وفي الرواية خصوصا).

٥. زمن تاريخي (وهو الذي تقع فيه الأحداث)"[١]

ويركز الدارسون والنقاد على النوع الرابع لما له من أهمية بالغة في الأدب، حيث يقول ليون في كتابه فن السيرة "إن ساعة زمنية تدخل في نطاق ذلك العنصر الغريب من النفس البشرية قد تمتد لتصبح خمسين أو مائة ساعة بالحساب الآلي"[٢]، وهذا هو الزمن النفسي أو السيكولوجي.

فاليوم له قيمة زمنية عند الكبير تختلف عن الطفل الصغير، كما أن قيمة اليوم عند السجين تختلف عن قيمته عند الإنسان خارج أسوار السجن، والساعة عند المريض تختلف في وقعها عند السليم المعافى، وهذا ما يؤكده محمد أيوب بقوله: "...الزمن السيكولوجي زمن نسبي داخلي يقدر بقيم متغيرة باستمرار، بعكس الزمن الخارجي الذي يقاس بمعايير ثابتة"[٣]، كما أن الزمن السيكولوجي له دور في تحديد رأي القارئ فإذا كانت الرواية تتحدث عن آلام السجن وعذاباته والقارئ يعيش في جو من الظلم والقهر تفاعل القارئ مع أحداث القصة، وأحس بمشاعر شخوصها وربما فرت الدموع من عينيه تأثرًا، وهذا ما شعرت به عندما قرأت أيام من حياتي، فكلما قرأتها شعرت وكأنني أقرأها للمرة الأولى فأنفصل عن واقعي المعاش وتنهمر الدموع من عيني وأتذكر كل أسير فلسطيني داخل السجون وما يعانيه من مرارة السجن والسجان.

"ويعتقد النقاد الروائيون المعاصرون بوجود ثلاثة أضرب من الزمن تتلبس بالحدث السردي وتلازمه ملازمة مطلقة:-

١. زمن الحكاية أو الزمن المحكي.
٢. زمن الكتابة ويتصل به زمن السرد مثل سرد حكاية شعبية ما...

---

(١)انظر، أيوب، الزمن والسرد القصصي في الرواية الفلسطينية المعاصرة ، ١٠٣

(٢) ليون، فن السيرة، ترجمة صدقي خطاب، ٢٢٣

(٣) النعيمي، أحمد حمد، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤، ٢٥

٣. زمن القراءة، وهو الزمن الذي يصاحب القارئ وهو يقرأ العمل السردي."[١]ولكل منها أهميته الخاصة، وافترض ميشال بوتور:"أن مدة هذه الأزمنة تتقلص تدريجيا بين الواحد والآخر، فالكاتب مثلا يقدم خلاصة وجيزة لأحداث وقعت في سنتين (زمن المغامرة) وربما يكون قد استغرق في كتابتها ساعتين (زمن الكتابة) بينما نستطيع قراءتها في دقيقتين (زمن القراءة)"[٢] فالزمن الحدثي أو زمن المغامرة في سيرة على الطنطاوي على سبيل المثال يبلغ ثمانين عاما وزمن الكتابة استغرق شهورًا أما زمن القراءة فقد يستغرق أيامًا أو أسابيع.

كما أن (بنفست)يميز في هذا الإطار بين ثلاثة أنماط من الأزمنة وهي :

١. الزمن الفيزيائي / الطبيعي للعالم:وهو زمن خطي غير متناه يقيسه الفرد على وفق إحساساته وإيقاع حياته (زمن ذاتي)
٢. الزمن الحدثي :وهو زمن الأحداث الذي يغطي حياتنا بوصفة متتالية من الوقائع (زمن موضوعي)
٣. الزمن اللساني :وهو مرتبط بالكلام، ومنبعه الحاضر، وهو في الواقع زمنان زمن الخطاب، ويتميز بمستوى الحضور، زمن الحكي، ويتميز بمستوى الانقضاء"[٣]

أما بالنسبة للزمن الروائي فينقسم إلى :-

- الزمن المتواصل: قابل للتوقف والانقطاع.
- الزمن المتعاقب:وهو زمن دائري مغلق.
- زمن الكتابة:عدد الساعات التي يقضيها المؤلف في كتابة روايته.
- زمن القراءة:الزمن الذي يستغرقه القارئ في قراءة الرواية مقدرا بالساعة.وهناك أيضا الزمن الغائب[٤]وزمن المخاض الإبداعي وهي مرحلة المخاض التي يمر بها الكاتب قبل بدء الكتابة.

---

(١) مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨، ٢٠٩
(٢) بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، ١١٤
(٣) الغنيمي، فيصل، العلامة والرواية، ٤٦
(٤) انظر، مرتاض، عبد المالك، في نظرية الرواية،

وقد تستغرق فترة المخاض الإبداعي أسابيع أو شهور حتى تختمر الفكرة في ذهن الكاتب، ويتحكم في زمن القراءة مدى استمتاع القارئ بالنص، طول النص أو قصره، وضوح الخط وجودة الطباعة، بينما يتحكم في زمن الكتابة قوة الدافع لدى الكاتب، وتوفر الظروف الملائمة للكتابة وقدرة الكاتب اللغوية والأسلوبية.

"وقسم سعد العزايزة الزمن في الرواية الفلسطينية إلي: الزمن الواقعي، الزمن النفسي، الزمن التاريخي،والزمن الكوني" [١]وأيٍ كانت تقسيمات الزمن، وآراء المختصين حولها فإن الزمن في السيرة الذاتية له طعم خاص؛ لأن الزمن معناه حياة المؤلف بما حملته من أحداث.

الزمن في السير الذاتية المنتقاة(موضوع البحث):

عمد كتاب السير قديمًا إلى مراعاة التسلسل الزمني أثناء الكتابة، نرى ذلك في كتب الطبقات والتراجم "وغالباً ما يعتمد كتاب السيرة في سيرهم الالتزام بالترتيب الزمني، ولكن هذا لا يعني بالضرورة الالتزام بوصفة قاعدة"[٢] فالسير الغيرية اعتمدت التسلسل الزمني في معظم الأحيان أما السير الذاتية فبعض كتابها التزموا بالتسلسل الزمني خاصة الأقدمين، وبعضهم خرج عن هذا الخط خاصة المحدثين.

ولقد "قسمت ندى محمود الشيب النصوص من حيث الترتيب الزمني إلى ثلاث مجموعات:

١. نصوص كانت بداياتها تقليدية حيث تبدأ بالاستهلال، بالحديث عن الأسلاف والأهل والولادة.
٢. نصوص بداياتها أقل تقليدية، تبدأ زمن الطفولة الواعية.
٣. نصوص حديثة تبدأ من التركيز على صراع رئيس للمادة الذاتية".[٣]

والنوعين الأول والثاني يعتمد فيهما كتاب السيرة على التسلسل الزمني التقليدي للأحداث، بينما يعتبر النوع الثالث حديثا اعتمد تقنيات حديثة في السرد الروائي.

---

(١) ابو شاويش، حماد، تحليل الخطاب، ٢١٧

(٢) الشيب، ندى محمود، فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني بين ١٩٩٢-٢٠٠٢، رسالة ماجستير، جامعة =النجاح الوطنية، ٢٠٠٦، ٧٦

(٣) الشيب، فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني بين ١٩٩٢-٢٠٠٢، ٧٦

الشيخ يوسف القرضاوي قسم سيرته إلى أربع أجزاء، كل جزء يحكي فترة زمنية هامة من حياته ولو تأملنا الصور على الأجزاء الأربعة نرى خطوط الزمن تزداد اتساعًا من جزء لآخر وكأننا نركب معه قطار الزمن،في الجزء الأول نرى صورة له وهو ما زال فتياً وفي الجزء الثاني تظهر صورته وهو في مرحلة الشباب، بينما صورة الغلاف على الجزء الثالث فهي صورته في طور الرجولة، في الجزء الرابع نجد صورته تعبر عن مرحلة الشيخوخة، إذن سيرته من النوع الأول التقليدي، حيث تحدث القرضاوي عن مولده ونشأته وقريته صفط تراب، يقول القرضاوي في مقدمته:"وسيجد القارئ الكريم الجزء الأول من حياتي أكثر إسهابًا من الأجزاء الأخرى، لأني أتذكر هذا الجزء بتفاصيله جيدا بخلاف الأجزاء الأخيرة برغم قرب زمانها، ولكن الذاكرة في الأخير قد شاخت، ولم تعد كما كانت في الماضي"[١]ومن هنا نلمح نية القرضاوي في استخدام التسلسل الزمني في الأحداث.

منير الغضبان في كشف المستور قسم حياته إلى مراحل وكل مرحلة محددة بفترة زمنية حسبها بالسنين فالمرحلة الأولى على سبيل المثال عشر سنين وسماها [(في الجذور مرحلة إلقاء البذار) ١٩٤٢-١٩٥٢م]' لذلك يمكن أن نعتبر سيرته من النوع الثاني(شبه التقليدي)، ونستدل على ذلك من قوله:"هذا ما تبقى في الذاكرة من أول وعيي على الدنيا"[٢]حيث يقص علينا قصةً رأى فيها الموت بعينيه وهو في الرابعة من عمره ولا يتذكر شيئا سواها في هذه المرحلة العمرية، كما أنه لا يتذكر أي حدث يسبقها.

أما سيرة زينب الغزالي – أيام من حياتي – فهي من النوع الثالث فقد اعتمدت في سيرتها على إبراز الصراع من الصفحة الأولى، ولم تلتزم بالتسلسل الزمني وإن دلَّ ذلك على شيء فإنّه يدل على قوة الصراع وإحساس الكاتبة القوي به، ففي الصفحات الأولى من السيرة نرى زينب الغزالي في المستشفي وقد أصيبت في حادث سير، ومع مرور الصفحات نكتشف أن الحادث كان مدبرًا-حسب اعتقادها- كما أنها لم تضمن في السيرة كل حياتها أي من مولدها حتى كتابة السيرة بل تتضمن فترة زمنية محدودة –عدة سنوات لا تتجاوز سبع سنين – من حياتها، وهي تلك الفترة التي تعرضت فيها للمضايقات في البداية ثم السجن والقهر والتعذيب في سجون جمال عبد الناصر.تقول زينب الغزالي:" في مساء يوم من أيام الشتاء، وفي أوائل شهر فبراير عام ١٩٦٤م كنت عائدة إلى بيتي، حين انقلبت بي عربيتي إثر اصطدامها بعربة أخرى، كانت الصدمة قاسية

(١) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ج١، ١٠

(٢) الغضبان، كشف المستور، ٢٦

فذهبت في شبه إغماءة"[١] بدأت الكاتبة بذكر الكلمات (مساء يوم) من (أيام الشتاء) (أوائل شهر فبراير) (عام ١٩٦٤م) متتالية، فقد حددت الزمن الذي وقعت فيه الحادثة بالضبط فهو زمن المساء بما حمل المساء عند الكاتبة من معاني الآلام والتعذيب، وهو زمن الشتاء بما يحمل من قسوة البرودة ومعاناتها وزمن بداية فبراير أي في أوج البرودة، وزمن الستينات من القرن العشرين الزمن الذي رفع فيه عبد الناصر الحربة في وجه الإسلاميين.

كما أن الكاتبة وضعت عنوانًا واضحًا للباب الأول وهو (عبد الناصر يكرهني شخصيًا). حيث لم تترك للقارئ الفرصة لإصدار حكم على عبد الناصر وأعوانه. تذكر زينب الغزالي الأحداث المهمة العامة في حياتها باليوم والشهر والسنة ومنه قولها: "وعقد مجلس إدارة السيدات المسلمات اجتماعا عاجلا في ٩ جمادى ١٣٨٤هـ الموافق ١٥-٩-١٩٦٤وهو نفس اليوم الذي وصل فيه قرار الحل"[٢]

الجدير بالذكر أن الكاتب تلتفت للزمن في كل جزء من الكتاب فبعد العنوان مباشرة نجد للزمن حضوره، تقول تحت عنوان كلهم أحمد راسخ:"لم يمض أسبوعان على الزيارة الأولى حتى فوجئت بزيارة رجل يدعى أحمد راسخ قدم لي نفسه على أنه من المباحث العامة"[٣]وتحت عنوان (وكانت بيعة) تقول أيضا:"لم تكن صلتي بجماعة الإخوان المسلمون حديثة كما توهمها العابثون إذ كانت تعود بتاريخها إلى سنة ١٣٥٧هـ-١٩٣٧م"[٤]، استخدمت الكاتبة بعض الكلمات التعبيرية التي تدل على الزمن، فزمن المساء له حضور قوي عند الكاتبة تكاد لا تمر صفحة بدون ذكره فالمساء عندها الوقت الذي يشتد فيه العذاب وتلهبها السياط، تقول: "فذات مساء فتحت الزنزانة وفاجئني الشيطان صفوت بالسوط يضرب به كل شيء ويضرب به الحائط ثم أخذني من ذراعي بوحشية وأخرجني من الزنزانة إلى حوش السجن"[٥]، وتقول أيضا:"وعقب صلاة العشاء فتح باب الزنزانة ودخل الشرير صفوت الروبي ومعه جندي آخر وأخذاني إلى المكتب الذي سبق أن دخلته مرتين قبل ذلك".[٦]

---

(١) الغزالي، أيام من حياتي، ٩

(٢) الغزالي، أيام من حياتي، ١٥

(٣) الغزالي، أيام من حياتي، ٢١

(٤) الغزالي، أيام من حياتي، ٢٧

(٥) الغزالي، أيام من حياتي، ٦٧

(٦) الغزالي، أيام من حياتي، ٨١

النهار بالنسبة للغزالي أقل وطأة بل أحيانا يكون وقتًا سعيدًا حيث تغيب عنها وجوه الشياطين – كما تسميها – وترى وجوها أفضل، تقول :"في عصر اليوم التالي سمعت أصواتًا أعرفها وأحبها، قمت بصعوبة إلى الباب ونظرت من الفتحة الضيقة، فرأيت الشيطان حمزة البسيوني وتابعه صفوت يسدان علي الفتحة، ألا أني سمعت أصوات أعرفها، وما لبث الشيطان وتابعه أن تحركا فرأيت الوجوه الغالية: علية حسن الهضيبي، وغادة عمار"[١]

الزمان عند الرنتيسي له طعم مختلف فهو قائدٌ أمضى حياته وهو يقارع أعداءه لذلك فقد لعب معه الزمن دوراً مهماً، فالأحداث التي تكلم عنها واعتبرها محورًا لحياته كانت أزماناً لها أهمية كبرى لأمته، فقد أرخ للأحداث التي أثرت فيه وفي تشكيل شخصيته في البداية ثم أرخ للأحداث التي شكلت توجهات الشعب الفلسطيني بصورة عامة. خرج عن الإطار التقليدي في كتابة السير إلى كتابة جزء يسير من حياته وجب أن يُطلق عليها (أيام يجب أن تحكى).

والأزمنة التي ذكرها عبد العزيز الرنتيسي في سيرته هي:

- ١٩٥٦م: تاريخ مذبحة خانيونس وبما أنه ابن هذه المدينة فقد تحدث عن آلامها. وكان استشهاد عمه حامد الرنتيسي، وإصابة ابن عمه نتيجة إطلاق الرصاص المباشر عليه من قبل جيش الاحتلال جزءًا من هذه الآلام."[٢]
- ١٩٦٢م: عام الفقر والألم حيث فقد فيه والده، وعاش حياة الفقر والجوع هو واخوته ويتذكر الرنتيسي تلك الأيام بقوله:"في عام ١٩٦٤م عقد العزم على السفر(يقصد أخيه)، وفي هذا العام كنت أشق طريقي إلى الثانوية العامة فخرجنا لوداعه بعد صلاة الفجر مباشرة نسير على أقدامنا متجهين إلى محطة القطار، وبينما نحن نسير إذا بالوالدة رحمها الله تقول لي: يا بني أعط حذاءك لأخيك حتى لا يذهب إلى السعودية حافي القدمين وأما أنت فيرزقنا الله ونتمكن من شراء حذاء لك قبل بداية العام الدراسي"[٣] ولقد فعل وأعطى الحذاء لأخيه، ذلك الحذاء الذي اشتراه من الأحذية المستعملة.

---

(١) الغزالي، أيام من حياتي، ٧٤

(٢) انظر، الرنتيسي، ٢٩-٣٠

(٣) الرنتيسي، ٣١

- ١٩٨١م:اعتبره الكاتب عام الطبيب الفلسطيني الذي وقع فريسة مضايقات العدو وظلمه، ذلك العام الذي ظهر فيه الرنتيسي قائدا قويا يدافع عن حقوق زملائه[١] كما ذكر
- ٩-١٢-١٩٨٧م : بدء الانتفاضة والإعلان عن حركة المقاومة الإسلامية حماس، والذي يعتبر كاتبنا أحد مؤسسيها.
- ١٥-١-١٩٨٨: اقتحام بيت الرنتيسي واعتقاله بعد اشتباك بالأيدي مع جنود الاحتلال.
- ١٩٨٨م:استجابة الله لدعاء السجناء وتحول المناخ وهطول الأمطار في سجن النقب الصحراوي.
- ١٩٩٠م: حفظ عبد العزيز الرنتيسي للقرآن الكريم خلال فترة قصيرة في السجن.
- ١٩٩١م: كسر الرنتيسي لهيبة شلتئيل –مدير عام المعتقل– في نفوس السجناء.
- ١٤-١٢-١٩٩٢م:الإبعاد إلى مرج الزهور في جنوب لبنان .
- ١٨-١٢-١٩٩٢م:خطبة الجمعة الأولى في الإبعاد. إذا تأملنا الأزمنة التي حددها الرنتيسي.

فالزمان عند الرنتيسي نابع من أهمية الأحداث، وكل تلك الأزمنة لها علاقة بمواقفه من القضايا العامة ما عدا وفاة والده وحفظه للقرآن الكريم.

علي الطنطاوي كتب في سيرته ما استطاع أن يتذكره، لذلك نجده يلتزم بالتسلسل الزمني حينًا ولا يلتزم أحيانًا أخرى يقول: "بدأت كتابة الذكريات وليس في ذهني خطة أسير عليها ولا طريقة أسلكها، وأصدق القارئ أني شرعت فيها شبه المكره عليها، أكتب الحلقة ولا أعرف ما يأتي بعدها، وكثيرا ما كنت أنسى ما الذي كتبته في التي قبلها فجاءت غريبة عن أساليب المذكرات وطرائق المؤرخين"[٢]كما يرى أن ذكرياته جاءت مشوشة ويعدنا إن مد به العمر أن يعود إلى ما كتب فيستأنف النظر فيها، ويرتبها ترتيباً زمنياً يقول مؤكدًا على ذلك:"فأنظمها في خيط واحد،

---

(١) انظر، الرنتيسي، ٣١

(٢) الطنطاوي، الذكريات، ج١، ١٥

(يقصد الذكريات) أضم النظير إلى نظيره، أجمع الأشياء وأؤلف بين النظائر حتى يأتي الحديث مسلسلاً"[١]

ولقد تحدث الباحثون عن الترتيب الزمني للأحداث في السير ولكني رأي ندى الشيب التي تقول"وغالباً ما يعتمد كتاب السيرة في سيرهم الالتزام بالترتيب الزمني، ولكن هذا لا يعني بالضرورة الالتزام بوصفه قاعدة"[٢]حيث يبدأ الكاتب بذكر مولده مع وصف القرية أو المدينة التي نشأ فيها ثم يتحدث عن طفولته الأولى ثم مراحله التعليمية المختلفة ثم أحداث هامة في شبابه كالزواج والإنجاب والعمل ومن خلال هذا الترتيب الزمني التقليدي للأحداث يعرج على الأحداث العامة التي كان لها صدى في حياته وكان لها تأثيرا قويا عليه وعلى من حوله.فالقرضاوي في سيرته يعتمد التسلسل الزمني حيث يقول في مقدمة الجزء الثالث"وتشمل هذه المذكرات من سنة ١٩٦٥م إلى سنة ١٩٧٨م... قد رتبت هذه المرحلة من حياتي على نظام(الحوليات) الذي اتبعه مؤرخونا الإسلاميون الكبار، مثل الطبري وابن الأثير وغيرهم، وإن كنت قد اخترت أن يكون ترتيبها وفق السنوات الدراسية لسهولتها علي وتمايزها عندي بوضوح"[٣]

بينما لم يراع الطنطاوي ذلك حيث لا يتصاعد الزمن بخط مستقيم بل يعمد إلى كسره ويعود ذلك إما بسبب ميله الواضح إلى الاستطراد ، أو يعود إلى آفة النسيان وأعتقد أن النسيان هو السبب الرئيس؛ لأن علي الطنطاوي كتب سيرته وهو في الثمانين من عمره، فهو يكتب أحداثاً وبعد أن ينتقل إلى أخرى يتذكر جزءاً من الأحداث لم يكتبه، فيعود مرة أخرى لكتابته، يقول: "مهما يكن الأمر فلابد لي من رجعة إلى الوراء، أرجع سنة أو أكثر لأن هذه السنة ١٩٣٦م ومثلها السنة التي قبلها ١٩٣٥م كانتا حافلتين بالأحداث"[٤]

كما يعتبر الزمن في السيرة زمن تخيلي زمن مضى؛ لأن السارد يقص علينا أحداثا يعرف بدايتها ونهايتها أحداثا عاشها بنفسه.

تقسيمات الزمن في السير الذاتية محور البحث:

١- **زمن الطفولة والدراسة:** تحدث القرضاوي بإسهاب في هذا الجانب حيث كتب مجلدا كاملا يبلغ خمسمائة صفحة، أي ما يقارب ثلث ما كتب، أما منير الغضبان في كشف

---

(١) الطنطاوي، الذكريات، ج١، ص١٦

(٢) الشيب، فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني بين ١٩٩٢-٢٠٠٢، ص٧٦

(٣) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ج٣، ٨

(٤) الطنطاوي، الذكريات، ج٣، ٣١٧

المستور فقد تحدث عن طفولته ومراحله الدراسية ٢٢٥صفحة من أصل٣٦٦ صفحة وتحدث علي الطنطاوي عن أيام الطفولة والدراسة بما يقارب مجلدين من أصل ثمانية، أي ما يقارب ربع الكتاب، بينما نجد التلمساني كتب في هذا الجانب ٢٩ صفحة من أصل ٢٨٥ صفحة، أما عبد العزيز الرنتيسي فلم تتجاوز كتابته صفحتين من أصل ثلاثين صفحة، أما في سيرة زينب الغزالي وحماد الحسنات فلم يكن لهذه المرحلة أي وجود، في حين غلب على سيرة سيد قطب فترة الطفولة.

جدول ٥.١ : نسبة زمن الطفولة والشباب في السير

المؤلف	النسبة المئوية
الرنتيسي	٧
القرضاوي	٣٥
الطنطاوي	٢٥
الغزالي	٠
لتلمساني	٣
الحسنات	٠
سيد قطب	١٠٠
الغضبان	٦٥

شكل ٥.١: رسم بياني يوضح نسبة زمن الطفولة والشباب في السير

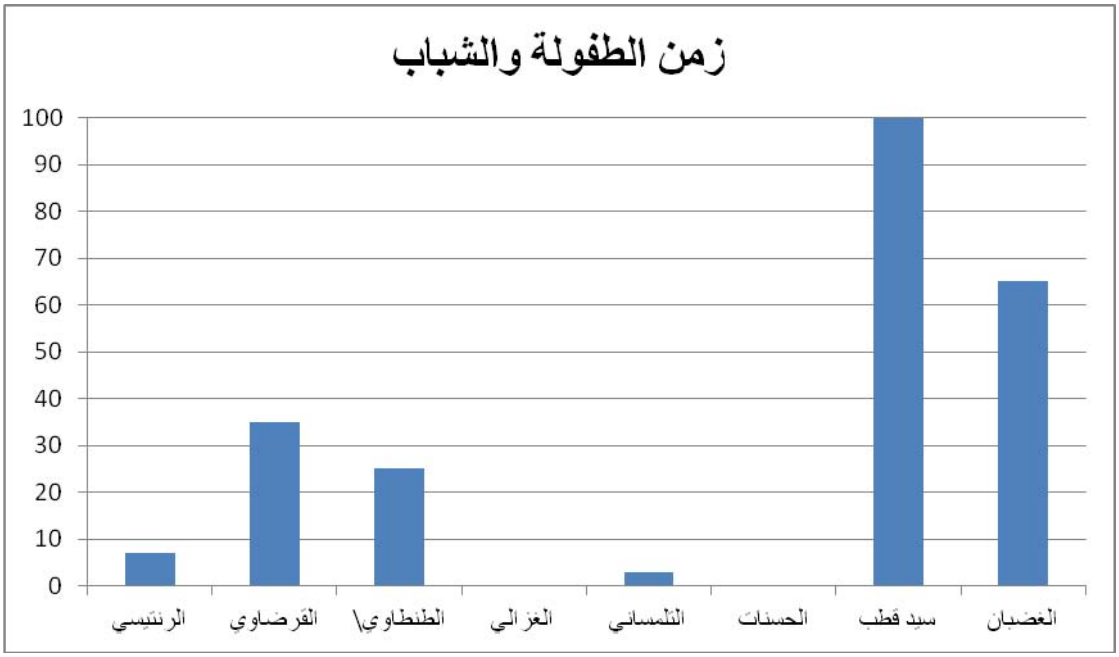

ومن خلال الجدول والرسم البياني السابقين نستنتج ما يلي:

١. السير الذاتية الطويلة تشتمل على أحداث متنوعة ومفيدة من زمن الطفولة والشباب، وقد لاحظت ذلك في سير كل من: القرضاوي والطنطاوي وسيد قطب والغضبان.

٢. السير الاسلامية القصيرة غالباً ما تعبر عن زمن المحنة في حياة الكاتب وغالبا ما تكون هذه المرحلة في زمن الرجولة، وهذا ما رأيته جليا عند التلمساني والغزالي والحسنات .

٢- **زمن السجن والتعذيب:** ربما غلب هذا النوع على سير الإسلاميين في العصر الحديث فزمن السجن هو زمن المحنة بالنسبة لهم، وهو زمن تاريخي"هذه الفترة المرجعة تمثل أحلك الفترات التي عاشها الكاتب يكابد صراعات الموت والحياة .. صراع الزمن كي يبقى على قيد الحياة"[١] وقد طغى هذا النوع على سيرة زينب الغزالي فهي تحكي سيرتها داخل السجن بكل تفصيلاتها.

ويتطرق الرنتيسي إلى حياة السجن في سيرته معبرا عن اللمحات المضيئة في حياة السجن، ومن ذلك الرؤى التي كانت سرعان ما تتحقق، الهيبة التي يشعر بها الأعداء تجاهه، استجابة الله لدعاء السجناء"[٢] أما عن سيد قطب فلم يتطرق إلى هذه الفكرة أبدا بالرغم من أنه قضى فترة من عمره في السجن، كما أنه أعدم داخل سجون عبد الناصر، ويرجع السبب في ذلك في تقديري إلى أن سيد قطب كتب سيرة هذا الجزء من حياته قبل دخوله المعتقلات ومعترك السياسة.

لقد ذاق عمر التلمساني مرارة السجن وظل محفورًا في ذاكرته برغم مرور الزمن يقول: "ومرت السنون وأمضيت من عمري سبعة عشر عامًا في السجون، ولست آسفًا على ما حدث ولكني شاكر كل الشكر أن ثبتني الله على المحنة دون أن أحني رأسي لظالم"[٣]، حماد الحسنات يتطرق في سيرته إلى زمن السجن والتعذيب وإن غلب عليها الإبعاد والتشريد، يقول:"...لذلك عندما وصلنا إلى السرايا أنزلوني إلى الطبيب

---

(١) بنت موسى، فريدة ابراهيم، زمن المحنة في سرد الكاتبة الجزائرية – دراسة نقدية، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠١٢، ٦٦

(٢) الرنتيسي، ٣٨-٤٤

(٣) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ١٤٤

فقام بفحصي، وعملوا رسم قلب لي ثم أخرجوني وأركبوني في الباص ثانية ، وتحرك الباص إلى أنصار وعندما وصلنا أنزلوني وأركبوني لوحدي في سيارة جيب، وأعادوني إلى السجن المركزي وأدخلت إحدى الزنازين..."[١]

٣- **زمن الترحال:** زمن السفر والترحال غلب على سيرتي يوسف القرضاوي وعلي الطنطاوي، فكلاهما داعية وكلاهما وهب حياته للدعوة إلى الله، زار القرضاوي في أسفاره الكثير من البلدان العربية والإسلامية كما زار بلادًا أوروبية ؛لحضور مؤتمرات عدة ،وتلقى دعوات من مؤسسات عالمية إسلامية كثيرة لإلقاء المحاضرات والمشاركة في الندوات، ولقد ظهر ذلك في الجزء الثالث وكان أكثر وضوحًا في الجزء الرابع، أما على الطنطاوي فقد لازمه الترحال في جميع مراحل حياته تقريبًا أي في جميع أجزاء الكتاب فقد سافر لأسباب متعددة منها العمل ومنها الدعوة، زمن الترحال عند الرنتيسي زمنًا إجباريًا تمثل في إبعاده عن بلده فلسطين إلى الجنوب اللبناني، كذلك سفر أخيه للسعودية كلا الزمنين أثار في نفسه ذكريات حزينة فالأول يذكره بالقهر والاحتلال والثاني يذكره بالفقر والعوز.

٤- **الزمن الغائب:** غاب زمن الطفولة والتعليم والشباب في سيرة زينب الغزالي ليحل محله زمن المحن، وهذه الفترة استغرقت عشرات السنين من حياتها كذلك غابت هذه الفترة عن سيرة حماد الحسنات؛ لأنه كثف السرد على عام واحد من حياته وهو عام الإبعاد إلى مرج الزهور في الجنوب اللبناني عام ١٩٩٢م.

يقول التلمساني ملمحاً إلى الزمن الغائب الذي لا يتعدى ثلاث سنين من عمره:"وما أن بلغت الثالثة من عمري حتى رحلت العائلة..جدي وأبي ومن معهما إلى العزبة- في قرية نوى مركز شبين القناطر من أعمال مديرية القليوبية- قبل أن تسمى محافظة ...(ثم يقول)بدأت أتبين ما حولي في الرابعة من عمري[٢]

عبد العزيز الرنتيسي أغفل فترة طويلة من عمره فلم يذكر من طفولته في التسع سنوات الأولى إلا حادث التهجير يقول:"كنت أقيم في مخيمها(أي خانيونس) منذ أخرجت مع أسرتي من قريتي يبنا التي تقع بين أسدود ويافا وأنا ابن ستة أشهر"[٣]ويرجع ذلك إلى أن اغتصاب فلسطين

---

(١) الحسنات، ذكريات مرج الزهور، ٦

(٢)التلمساني، ذكريات لا مذكرات،٨

(٣) الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ٢٩

وتشريد أهلها كان هو الحدث الأقوى شخصياً وإقليميا وعالمياً، كما أن الأحداث العامة في حياته طغت على الأحداث الشخصية.

تعتبر فترة الغياب عن الوعي نوعًا من أنواع الزمن الغائب وقد وظفته زينب الغزالي فمثلا تقول موضحة ما حدث لها بعد حادث السيارة :"واستغرق إجراء العملية –تعاد بعد التحضير والتخدير– ثلاث ساعات ونصف الساعة..عشت بعدها فترة ونذر الخطر تحيط بي"[١]

وإذا نظرنا نظرة أوسع نجد أن بعض الأدباء يلجئون إلى تحطيم الترتيب الزمني واستخدام ما يسمى بالتقنيات الزمنية الحديثة للرواية، ومنها الاسترجاع، الاستباق، الحذف:

الاسترجاع:

السيرة الذاتية تعتمد على تقنية الاسترجاع لأن الكاتب يكتب أحداثًا انقضت منذ سنين يستدعيها وينقلها للقارئ، "ينشأ زمن الاسترجاع، أي استرجاع الذكريات من تناقض بين المعيوش والزمن الذي مضى، فالذكريات الجميلة تعتبر مكافأة لصاحبها عن معاناته من واقعه المرير، وهي تنبعث مجدداً كلما اصطدم الواقع بصور مختلفة لصورة الماضي"[٢] ولكن لا يمكننا أن نعتبر رأي محبة معتوق السابق قاعدة؛ لأن الكاتب قد يعود للماضي مستذكراً لحظات السعادة، بالرغم من حياته المستقرة الناجحة

وقد تغرب علي الطنطاوي عن بلده سوريا متجهاً تارة إلى العراق وأخرى إلى مصر وثالثة إلى السعودية ومكث زهرة شبابه ورجولته خارج الوطن وعندما عاد إليها أخذ يسترجع ذكرياته ومظاهر مدينته ليعيش لحظات من السعادة يسرقها من ماضيه. ومن ذلك ما ذكره عن أستاذه، عندما زار سوريا بعد غياب وشاهد مدرسته حيث يظهر حنينه المتدفق إلى ماضيه في المدرسة ولأستاذه الفلسطيني، يقول: "وكان من معلمينا فيها شاب (أعني أنه كان يومئذ شاباً) من نابلس، وهو أول من علمني الإنشاء العربي، كان يأخذ مقالات المنفلوطي فيجعلها بحيث نفهمها ثم يكلفنا أن نكتب مثلها، وكانت مزيته الأولى صوته، فما عرفت على كثرة ما سمعت من الأصوات ما هو أحلى منه وأطرب. وقد أنشد يوماً في اجتماع عام نشيد (ويلي على أوطاني... من غارة العدوان) أمام الشريف فيصل فأعجب به وجعله مدرس الموسيقى في السلطانية الأولى"[٣]

---

(١) الغزالي، أيام من حياتي، ص١٠

(٢) معتوق، محبة حاج، أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٤، ٢٥٩

(٣) الطنطاوي، علي، ذكريات، ج١، ص٧٥

وقد يسترجع الكاتب بعضاً من ذكرياته المؤلمة، ومن ذلك تذكره لهجوم الجراد على دمشق، حيث عند زيارته لها، يقول:"حتى كان يوم رأيت فيه سماء (الصحن) الواسع مغطاة بسحابة سوداء دانية منها ليست بعيدة عنا، وكان يسّاقط شيء منها على رؤوسنا... لا، لم تكن قطرات المطر فلم تكن سحابة ممطرة، وإنما كانت رِجلاً من الجراد، ملأ سماء الشام وأرضها وأتى على الأخضر واليابس من زرعها، وكان شيئاً رهيباً"[١]، ويرى أحمد النعيمي أن الاسترجاع " هو سرد حدث في نقطة ما من الرواية بعد أن يتم سرد الأحداث اللاحقة على ذلك الحدث"[٢]وظهر ذلك عند الغزالي حيث ذكرت في بداية السيرة حادث السيارة المدبر ثم سردت بعض الأحداث التي سبقت ذلك، ومنها على سبيل المثال محاولة النظام الناصري ضم زينب الغزالي إلى الاتحاد الاشتراكي العربي، وحل مركز الأخوات المسلمات، ثم العرض المغري الذي قدم إليها وهي أن تكون رئيسة تحرير مجلة شهرية مع راتب مرتفع، وبيعتها لجماعة الإخوان المسلمين، ثم بعد ذلك تعود للحديث عن حادثة السيارة التي بدأت سيرتها بها.تقول:"وخرج الأستاذ سيد قطب من السجن، وسبق خروجه بشهور عملية محاولة اغتيالي التي لم تنجح، والتي تحدثنا عنها في بداية هذه المذكرات"[٣]

الاستباق:

يعتبر الاستباق من تقنيات السرد القصصي الحديثة، ولقد أطلق عليه آخرون الاستشراف،وهو تمهيد لأحداث لاحقة يحمل القارئ على توقع حادث ما، أي أنه أشبه بمنظار وجه نحو المستقبل، ويرى حسن بحراوي أنه"كل مقطع حكائي يروي أو يثير أحداثاً سابقة عن أوانها أو يمكن توقعها ويقضي هذا النوع بقلب نظام الأحداث في الروايةعن طريق تقديم متواليات حكائية"[٤] كما إن "الاستباق يعني فيما يعنيه الولوج إلى المستقبل، إنه رؤية الهدف أو ملامحه قبل الوصول الفعلي إليه"[٥]

وأصحاب السير المنتقاة كانوا مقلين في هذا النوع ومن ذلك قول الكيلاني في مذكراته:"كان الطالب (ب.ب.غ) هو سكرتير اللجنة الوفدية للطلبة بمحافظة الغربية، وكان يمشي في مدرستنا الثانوية منتفخ الأوداج، يتكلم من أطراف أنفه، ويتعالى على خلق الله، رغم وضعه العلمي العادي

---

(١) الطنطاوي، ذكريات، ج١، ٥٥-٥٦

(٢) النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، ٣٢

(٣) الغزالي، أيام من حياتي، ٤٧

(٤) بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي – الفضاء – الزمن – الشخصية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٩، ١٣٢

(٥) النعيمي، أحمد حمد، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، ص٣٨

وملابسه المنفرة، وطربوشه العتيق، وذات يوم أمره أحد مدرسي اللغة الانجليزية بالعودة إلى فصله، فلم يمتثل للأمر وحدثت مشادة كانت نتيجتها للأسف الشديد أن ضرب الطالب أستاذه بالكتب التي معه، وهنا ثارت ثائرة الأستاذ، وذهب على الفور، وهدد بالاستقالة إذا لم يفصل الطالب، وفوجئنا إذ رأينا المدرسين عن بكرة أبيهم يمتنعون عن إلقاء الدروس، ليس هذا فحسب بل قدموا استقالتهم تضامناً مع زميلهم، كانوا يعرفون مكانة الطالب في التنظيم الحزبي ، والحزب لا يمكن أن يضحي بأحد أتباعه المخلصين، وكان الطالب هو الآخر واثقًا من ذلك حتى أنه قال: ولا الملك فاروق نفسه يستطيع أن يصدر قراراً بفصلي"[١] وهذا السرد للأحداث يدفع القارئ إلى توقع أحداثاً بغض النظر عن ماهيتها فلا يمكن أن نتوقع فصل الطالب ويمكن أن نتوقع قبول استقالة المعلمين وخاصة أن وزير المعارف في تلك الفترة فؤاد سراج الدين أحد أعمدة حزب الوفد في ذلك الوقت.

ويطلق حسن بحراوي لفظ الاستشراف على الاستباق حيث يقول: " في حالات كثيرة يكون الاستشراف مجرد استباق زمني الغرض منه التطلع إلى ما هو متوقع أو محتمل الحدوث في العالم المحكي، وهذه هي الوظيفة الأصلية و الأساسية للاستشرافات بأنواعها المختلفة"[٢]

ومن ذلك قول القرضاوي:"وبعد عدة سنوات من قدومي إلى قطر عرض علي سكرتيري في المعهد الديني أن أشترك معه في شراء أرض للبناء"[٣]فوافق على ذلك إلا أن ثمن الأرض لم يتغير بمرور السنين فباعها بثمن شرائها، وبعد سنة واحدة تضاعف سعرها؛ لأنها أصبحت أرض مبانٍ، و يذكر حظه في التجارة والمال في مصر وفي قطر مستبقا الأحداث ثم يعود مرة ثانية للحديث عن زمن ما قبل المعهد عندما كان طالباً.

يقول ليون في معرض حديثه عن الاستباق والاسترجاع مادحًا من يستخدم هذه التقنيات: "من ثمَّ لا أجد هناك سبباً يمنع كتاب السير من الخوض في لجة الزمن بيسر مستبقين أزمان الحوادث في سردهم، مقدمين ومؤخرين، كما كان يفعل بروست في سرده لذكرياته وما اتصل بها من أمور... وقد أوضحت في محاضرتي الأخيرة أننا بهذه الطريقة نجعل السيرة أكثر حيوية، وليست مجرد حياة إنسان يعيشها حسب التقويم الزمني والساعة"[٤]

---

(١) الكيلاني، مذكرات، ٧٩

(٢) بحراوي، بنية الشكل الروائي، ١٣٣

(٣) القرضاوي، يوسف، ابن القرية والكتاب، ج١، ص١٣٨

(٤) ليون إدل، فن السيرة الأدبية ص١٤

الحذف:

لكل مرحلة من مراحل العمر أهميتها وتختلف هذه الأهمية من كاتب إلى آخرحسب الأحداث المؤثرة التي عاشها صاحبها، لذلك فقد يعمد إلى حذف بعض الفترات الزمنية عن قصد، وهذا ما يسمى بالحذف أي أنه" يؤشر على الثغرات الواقعة في التسلسل الزمني وتتميز بإسقاط مرحلة بكاملها من زمن القصة ولذلك فهو يعتبر مجرد تسريع للسرد"[١]، ونور الدين صدوق في كتابه يحدد الهدف من الحذف بقوله:"إنه يواجه إنجاز النص بالحذف: حذف ما يتصور أنه لا يضيف إلى النص أو أنه يشوهه"[٢]، حيث أن الكاتب يقفز فوق الأحداث في فترة زمنية محددة دون أن يذكرها.، كما ظهر ذلك جلياً واضحاً عند زينب الغزالي حيث نرى علامة الحذف (...) لتنبه القارئ إلى الكلمات المحذوفة، وكثيراً ما تكون سباب وشتائم تعففت الكاتبة عن ذكره، ومنه قولها: "وانطلقت القذارة من فم حمزة البسيوني بأبشع ما يمكن أن يتخيله إنسان... سب فاضح صارخ وقال: "يا بنت ال... أنقذي نفسك وقولي كل شيء."[٣]

وتقول أيضاً: "وخرجت سهام نارية من عيني شمس بدران إلى حمزة البسيوني ومن معه. وقال وهو يضغط على الألفاظ: ما هذا؟ ألف سوط يا صفوت. البنت سخرت منا كلنا.. أين كنت يا حمزة أين كنتم جميعاً؟ فانهالت السياط كالعادة وألقى الورق على الأرض واستطرد: البنت سخرت منا. لعبت بعقولنا كلنا يا حمزة.. إنها أكثر من خطيبة على منبر.. يا بنت ال..!!"[٤]

المشهد:

تحدثنا سابقاً عن تسريع السرد الحكائي من خلال الحذف ونعرج قليلاً الآن على ما هو متصل بإبطاء السرد،" يجري تعطيل الزمن القصصي على حساب توسيع زمن السرد مما يجعل مجرى الأحداث يتخذ وتيرة بطيئة، وذلك بواسطة استخدام صيغ مثل السرد المشهدي rect sceneique الذي يعطي الامتياز للمشاهد الحوارية، فتختفي الأحداث مؤقتا وتعرض أمامنا تدخلات الشخصيات كما هي في النص أو بتوظيف تقنية الوقف pause وهي محطة تأملية تتخذ شكل وقفة وصفية أو تحليل نفسي للشخصيات" إذن المقصود بالمشهد السردي هو"هو الذي يحقق تقابلاً بين وحدة من زمن القصة ووحدة مشابهة من زمن الكتابة... الشيء الذي يعني بمصطلحات

---

(١) بحراوي، بنية الشكل الروائي، ١٢٠

(٢) نور الدين، صدوق، البداية في النص الروائي، ط١، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ١٩٩٤، ١٢

(٣) الغزالي، أيام من حياتي، ١١٧

(٤) الغزالي، أيام من حياتي، ١٧٩

ريكاردو، أن يكون هناك نوع من التساوي بين المقطع السردي والمقطع التخيلي مما يخلق حالة من التوازن بينهما، ويقوم الم شهد أساساً على الحوار"[١]

وقد يكون الحذف محددا بفترة زمنية وقد لا يكون محددا ومن الحذف المحدد بفترة زمنية قول زينب الغزالي في أيامها:" وبعد يومين أو ثلاثة جاءت مكالمة أخرى من الاتحاد الاشتراكي"[٢] ومنه أيضاً قولها:" ومرت أيام وجاءت الأسرة لزيارتي"[٣] ومن ذلك قول التلمساني:"وبعد أيام حضرا إلى في مكتبي وأخبراني بأنهما حددا لي موعداً مع فضيلة المرشد العام"[٤]

تقنية الوقف:-

الوقف أو الاستراحة هي تعطيل لسرد الأحداث واللجوء إلى الوصف الذي يوقف حركة الزمن، يقول حميد لحمداني:"أما الاستراحة، فتكوّن في مسار السرد الروائي توقفات معينة يحدثها الراوي بسبب لجوئه إلى الوصف ، فالوصف يقتضي عادة انقطاع السيرورة الزمنية، ويعطل حركتها"[٥] هي تعطيل الرايميل الطنطاوي إلى توظيف هذه التقنية في الوصف وكأنه يكشف الستار عن مشهد ممتع نحبه ونتفاعل معه، "وهو عبارة عن تعطيل زمنية السرد وتعليق مجرى القصة لفترة قد تطول وقد تقصر"[٦]

يقول علي الطنطاوي متحدثا عن شيخه عبد الرحمن سلام: " الذي كان عجبا من العجب، إذا احتاج أن يتكلم في موضوع لم يكن عليه إلا أن يفتح فمه ويحرك لسانه، فإذا المعاني في ذهنه والألفاظ على شفتيه والسحر من حوله، والأنظار متعلقةً به، والأسماع ملقاة إليه، والقلوب مربوطة بحركات يديه، وكان يرتجل الشعر كما يرتجل الخطب"[٧] ويقول أيضا واصفا القطار:"وصفر القطار يحملنا إلى مصر، فازداد القلب خفقانًا واضطرابًا ثم نفث دخانه كأنما هو حي تملكه موقف وداع فزفر زفرة الحزن الدفين والألم الحبيس، ثم هدر وسار وراحت المحطة تبتعد عنا."[٨]ومن ذلك

---

(١)انظر، بحراوي، بنية الشكل الروائي، ١٦٥-١٦٧

(٢) الغزالي، أيام من حياتي،١٤

(٣) الغزالي، أيام من حياتي،٢٨١

(٤) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٣٣

(٥) لحميداني، حميد، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩١م ٧٦

(٦) بحراوي، بنية الشكل الروائي،١٧٥

(٧) الطنطاوي، ذكريات، ج١، ٢٠٢

(٨) الطنطاوي، ذكريات، ج١، ٣١٦

ذلك وصف زينب الغزالي للنيابة حيث تقول:"نظر وكيل النيابة إلي وضمادات الشاش تغلف قدمي ويغلف نفسي إعياء وضعف..لا يكاد صوتي يخرج من بين شفتي .. ووكيل النيابة يجلس خلف جبل من الدوسيهات .. أمامه أوراق مكتوبة سكرتير النيابة جالس إلى مكتب صغير وأمامه كومة من الأوراق البيضاء وبيده قلم مستعد لتنفيذ الأمر.."[١]

الحوار الداخلي (المونولوج):

وهو الحوار الداخلي للنفس البشرية، والذي نعرف من خلاله مكنونات النفس ولواعجها، أي من خلال الحوار الداخلي بين الإنسان ونفسه نستطيع أن نتعرف على ملامح الشخصية، ولقد شبه ميلان كونديرا الحديث الداخلي بمكبر الصوت حيث يقول:"لقد وضع جويس في رأس بلوم مكبر صوت وبفضل هذا التجسس العظيم الذي هو المونولوج الداخلي تعلمنا الكثير عن أنفسنا"[٢]

يحكي التلمساني أحداث قصة دارت بينه وبين حسن البنا عندما كانا يتجولان في القرى والنجوع بهدف الدعوة إلى الله قائلاً:-

"ودخل سريره وأرخى ناموسيته، وفعلت مثلما فعل على السرير الآخر، وكان التعب والإجهاد قد بلغ مني مداه، فاعتراني قلق وبعد خمس دقائق تقريباً سألني فضيلته: هل نمت يا عمر، قلت: ليس بعد. ثم كرر السؤال فترة بعد فترة، حتى ضقت بالأمر، وقلت في نفسي: ألا يكفيني ما أنا فيه من إجهاد وقلق حتى تضاعف عليّ المتاعب؟ ألا تدعني أنام؟ كان هذا حديثاً صامتاً يدور بيني وبين نفسي فصممت ألا أرد على أسئلته موهماً إياه أنني نمت. فلما أطمأن إلى نومي نزل من سريره في هدوء كامل، وعند الباب أخذ (القبقاب) بيده وسار حافياً حتى وصل دورة المياه حيث توضأ، وأخذ سجادة صغيرة، وذهب إلى آخر الصالة بعيداً عن الغرفة، التي ننام فيها وأخذ يصلي ما شاء الله له أن يصلي"[٣]ومن خلال ذلك الحديث الداخلي عرفنا مدى التعب والاجهاد الذي يشعر به ونستطيع أيضاً أن نحكم على كلا الشخصيتين وأن قوة إيمان وقدرة حسن البنا على التحمل تفوق قدرة التلمساني لذلك يمكن القول أن "ثمة عدة طرق لإدراك الأنا عن طريق الفعل أولا ثم في الحياة الداخلية"[٤]

---

(١) الغزالي، أيام من حياتي، ١٨٠

(٢) كونديرا، فن الرواية، ترجمة بدر الدين عرودكي، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م،

(٣) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٤٨

(٤) كونديرا، ميلان، ترجمة بدر الدين عرودكي، ٣٦

وكثيراً ما كان علي الطنطاوي يحدث نفسه خاصة إذا وقعت وثيقة أو صورة بين يديه تذكره بالماضي، يقول: "أمسكت الصورة أنظر إليها وأفكر: أتكون صورة على الورق أبقى من حياة إنسان على الأرض؟ أيموت الإنسان ويهدم المكان وتثبت الصورة؟ نعم، ولكن في هذه الدنيا، والدنيا – كما تعرفون – مؤنث الأدنى أما الحياة العليا فهي الحياة الأخرى "وإن الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون"[1]العنكبوت آية٢٩ (الحيوان أي الحياة)

(١) الطنطاوي، ذكريات، ج٢، ص٢٩٩

المكان

تركز الرواية في العصر الحديث على الحدث، ولكن أين يتم هذا الحدث؟ لا بد أن يشغل حيزا من المكان، إذن مكان الرواية هو المساحة التي تحدث فيها الأحداث، وتنفصل بواسطتها الشخصيات بعضها عن بعض، وهي تفصل القارئ عن عالم الرواية، فتنقله من مكان إلى آخر ليتعرف على أماكن شتى فالمكان هو الذي يجعل الخيال خصبًا ويحول الأحداث إلى مشاهد مرئية، ويرى القواسمي أن "المكان شيء محسوس، بخلاف الزمان الذي هو مرتبط بإدراك الإنسان النفسي، فإذا كان الزمان يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث، فالمكان يمثل إطارها...ويلاحظ أن وصف المكان في الرواية يمهد للحدث ويكون إطاره، ويساعد على إظهار جوانب كثيرة غامضة في نفوس الشخصيات"[١]ولكني أرى أن المكان أيضًا يرتبط بإدراك الإنسان النفسي فقد يثير المكان في نفس كاتب أحاسيس ومشاعر لا يثيرها في كاتب آخر، فمشهد مغيب الشمس يمكن أن يولد في نفس أديب مشاعر الأمل والحب والسعادة في حين يرى فيه أديب آخر الدماء والضحايا المتناثرة.والمكان يمكن أن يكون له بعدًا سلبيًا منفرًا، أو بعدً إيجابيً فاعلًا، أو بعدً رومانسيًا حالمًا، او بعدً اقتصاديًا، أو بعدًا رمزيًا نفسيًا.

ويعتبر شاكر النابلسي المكان مظهرًا جماليًا في النص الأدبي بل ربما كان المكان أهم المظاهر الجمالية الظاهراتية، في الرواية العربية المعاصرة، مما يستدعي من النقاد العرب وعلماء الجمال العربي الاهتمام به وتقصيه ودراسته، ويرى الكاتب أن غالب هلسا قسّم المكان في الرواية العربية إلى أربعة أنماط: المكان المجازي وهو المكان المفترض، ذو الوجود غير المؤكد...، والمكان الهندسي، وهو المكان الذي تعرضه الرواية بأبعاده الخارجية يلتزم فيه الروائي بصفة حياد المهندس أو سمسار الأثاث... والمكان الثالث هو المكان ذو التجربة المعاشة، وهو المكان الذي عاشه الروائي وبعد أن ابتعد عنه أخذ يعيشه في الخيال، وهو المكان القادر على إثارة ذكرى المكان عند القارئ، والمكان الرابع وهو المكان المعادي، وهو المكان الهندسي المعبر عن الهزيمة واليأس.وقد أورد النابلسي (٢٩) نوعا من الأماكن عند الكاتب غالب هلسا منها على سبيل المثال لا الحصر: المكان الانبائي أو الافتتاحي، المكان الصوتي، المكان الحنيني، المكان المقارن، المكان الرمزي، المكان النفسي ... وغير ذلك[٢].

---

(١) انظر،القواسمة، محمد، البنية الوراثية في رواية الأخدود لعبد الرحمن منيف، ١٠٥

(٢) انظر،النابلسي ، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩٤، ١٠-١٣

ويؤكد علي عودة على ذلك ويوضح بعض الأنواع بقوله "ومع تطور الرواية العربية واكتمال ملامحها الفنية الراسخة تتعدد صور العلاقة مع المكان، حتى أن بعض النقاد ذهب إلى تصنيف الأماكن التي وردت في الروايات العربية تصنيفاً افتراضياً، وذكروا المكان المجازي وهو الذي تعرضه الرواية من خلال وصف أبعاده الخارجية بدقة بصرية، والمكان المعادي وهو الذي يتخذ تجسيد السجن والطبيعة الخالية من البشر ومكان الغربة وما شابهها والمكان القادر على إثارة ذكرى المكان عند القارئ"[١].

المكان في السيرة الذاتية هو مكانٌ حقيقيٌ واقعيٌ حدثت فيه أحداثاً واقعيةً وحقيقية.المكان موجود في السيرة الذاتية من زوايا متعددة، من الدائرة الضيقة إلى الدائرة الأوسع، من الأجزاء الصغيرة إلى الكون الأرحب، من البيت إلى البلد الذي يحمل بين جوانبه كل أبنائه،كما أن المكان موجود ببعده النفسي حيث يوجد المكان الذي يثير في النفس معاني الأمل أو الرجاء أو معاني الألم والعذاب و اليأس ونرى المكان الذي يثير في النفوس معاني العداوة والكراهية أو معاني الحب والعطاء، فبعضهم تحدث عن البيت الذي عاش فيه ووصفه بدقة حتى يخيل للقارئ أنه يراه ويعتبر البيت من الأماكن التي لا يمكن نسيانها؛ لأنه مسقط رأس الإنسان وأول مكان تقع عليه عينيه، لذلك سرعان ما يظهر في جميع كتابات الأدباء، "فأهمية البيت هنا (المكان الصغير) تكمن في أنه يحفظ ذكرياتنا"[٢] تلك الذكريات الجميلة التي تعطي الإنسان قوة الدفع لمواصلة الحياة أملاً في أن يعيش لحظات أخرى مشابهة، يصف عمر التلمساني البيت الذي تربى فيه بقوله:"ولدت في القاهرة حارة حوش قدم ... في حي قديم بكل معاني القدم قديم في هندسة مبانيه في ضيق الحواري واتساع الغرف بشكل غير مألوف .. الحمامات تسخن مياهها خارجها –بما يشبه سخانات اليوم الكهربائية والبوتاجازية – و(الليوان) خارج الحمام مباشرة لتستريح قليلاً فيه قبل أن تخرج إلى الشقة ذاتها مساحة المنزل ثمانمائة مترٍ مربع شقة واحدة في الدور والحوش ثماني حمامات بدورات مياهها بعضها بالرخام وبعضها بالبلاط العادي"[٣] فالكاتب قدم وصفًا دقيقًا للبيت يعبر فيه عن حنينه لذلك المكان، ونلمس بين ثنايا السطور أمله في أن تعود تلك الأيام من جديد.

قد يكون المكان مفتوحًا يبعث في النفس البشرية الراحة والهدوء والطمأنينة، وقد يكون مغلقا يشعر الإنسان بالضيق والحرج، ومن الأماكن المفتوحة المدن والقرى والأرياف والشوارع والمقاهي، ومن الأماكن المغلقة السجن وزنازينه.

---

(١) عودة، الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية، ١٣٩

(٢) قطوس، بسام، مقاربات نصية، مؤسسة حماد للدراسات الجامعية، عمان، ٢٠٠٠م، ٢١

(٣) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ص٨

ويرى نمر سرحان أن" ملامح البيئة المحلية حظيت باهتمام قليل في الرواية إذا ما قورن ذلك بالتركيز على الوقائع التي تشكل هيكل الحكاية"[١] أما في السيرة الذاتية فنجد أن المكان حظي باهتمام كبير خاصة عند الكتاب الفلسطينيين بعد أن هجروا من بلدهم،وذلك لأن المكان هو أكبر همهم فمن أجله هجروا وشردوا ومن أجله فقدوا أحبابهم وأعزائهم، كما أن لفلسطين مكانة خاصة في السير الذاتية عند العرب والمسلمين بشكل عام لما لها من بعد ديني، إذن الأدباء الإسلاميون ارتبطوا ارتباطاً وثيقا بالمكان وتمثل ذلك في أمرين هامين:-

الأول: أنهم ارتبطوا بالوطن، سواءً كان البيت، أو الشارع، أو القرية، أو المدينة، أو البلد الذي يعيشون فيه.

الثاني: كان ارتباطاً بالعالم الإسلامي ودوله نظراً لأنهم يؤمنون بأن رابطة الإسلام تعلو فوق كل رابطة، ويظهر مدى ارتباطهم عند زيارتهم لتلك الأماكن بهدف الدعوة لله.

ولكتاب السيرة الذاتية الفلسطينيين خصوصية في هذا المجال حيث شكل حضور فلسطين بمدنها وقراها في جسد النص الأدبي علامة واضحة،ونالت اهتمامًا كبيرًا فاق اهتمامهم بالأماكن الأخرى باعتبارها مخزونًا نفسيًا يذكرنا بالتشريد وفقدان الحرية، إذ أنهم أثاروا قضية فلسطين من خلال حديثهم عن قراها ومخيماتها خاصة تلك النصوص الأدبية التي ظهرت بعد الهجرة عام ١٩٤٨م ليعبروا عن تمسكهم بأرضهم وعدم تنازلهم عنها "فتشبث الإنسان بالمكان لا يقل عن تشبثه بالزمان، الذي يعني، فيما يعني تشبث الإنسان بالحياة ضد الموت، فيزداد الإنسان إحساساً بالمكان إذا حرم منه"[٢]

يطفو على السطح في كتابات الفلسطينيين حديثهم عن طفولتهم في قراهم التي هُجروا منها، فالرنتيسي مثلا يذكر قرية يبنا في أكثر من موقع في صفحات سيرته، ففي معرض حديثه عن مذبحة خانيونس يقول: "ولكن هذه المرة في مدينة خانيونس حيث كنت أقيم في مخيمها منذ أخرجت مع أسرتي من قريتي يبنا التي تقع بين أسدود ويافا وأنا ابن ستة أشهر لأجد نفسي في معسكر خانيونس"[٣] وفي موقع آخر يتحدث الكاتب عن بيت عائلته في يبنا ويظهر في ثنايا كلماته شدة حنينه إليها، يقول "لقد كنا في وطننا نعيش حياة كريمة ميسورة، بيت جميل في (يبنا)

(١) سرحان، نمر، الحكاية الشعبية الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٨م، ٣٣

(٢) قطوس، مقاربات نصية، ١٩

(٣) الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ٢٩

ما زال قائمًا حتى يومنا هذا وقد ولدت فيه وبستان واسع يحيط بالبيت"[١] والتعبير (مازال قائماً حتى يومنا هذا) يوحي بأن الكاتب مازال يسأل عن قريته، ويزورها إن سُمح له بذلك، والجدير بالذكر أن الرنتيسي لم يفصل الحديث عن قريته يبنا ويرجع ذلك إلى أنه هاجرها مع والديه وهو ابن ستة أشهر، وبالرغم من ارتباطه بوطنه الأم إلا أن الرنتيسي تحدث عن أماكن مختلفة في لبنان ويرجع السبب إلى حادث الإبعاد عام ١٩٩٢م والذي بموجبه تم إبعاد أكثر من ٤٠٠ فلسطيني إلى الجنوب اللبناني، كان من بينهم الرنتيسي الذي أصبح متحدثاً باسمهم في تلك الفترة. فكما"التقى الزمان بالمكان في كثير من الشعر، وبخاصة في البكاء على الأطلال في الشعر الجاهلي، فكان الشاعر الجاهلي إذا تذكر الماضي مع الحبيبة حدد مكان ذلك الماضي كأن يكون (سقط اللوى) أو غيره"[٢]، كذلك التقى زمان الإبعاد بمكانه في مخيم مرج الزهور للمبعدين فكلما رأى المبعدون – ومن بينهم الرنتيسي–جنوب لبنان كلما تذكروا تلك السنة التي لو حقق اليهود أهدافهم فيها لكانت كارثة على الشعب الفلسطيني، وبداية حقيقية لتنفيذ مخطط الترانسفير الذي يهدف إلى تفريغ فلسطين من أهلها.

لذلك فقد تأثر الرنتيسي بأماكن عدّة في الجنوب اللبناني ومن تلك الأماكن:

١– بوابة أو معبر زمريا على الحدود اللبنانية الفلسطينية، يقول:"وانطلقت بنا الشاحنات من معبر زمريا الذي يمثل نقطة الحدود الشمالية للشريط الأمني الذي كان يسيطر عليه العميل لحد"[٣]، وكأن الكاتب يريد أن يعبر عن أثر مرورهم من هذه النقطة المرورية على حياته وحياة أسرته ومدى إحساسه بهذه اللحظة العصيبة . فمعبر زمريا اعتبر نقطة حدودية فاصلة بين المكوث في الوطن وبين الإبعاد، بين حق المواطنة وبين التشريد، بين رؤية الأهل والأحباب وبين الحرمان منهم.

٢– قرية مرج الزهور:وهي قرية لبنانية أقام بجانبها المبعدون مخيمهم والذي أطلقوا عليه نفس الاسم مخيم مرج الزهور.[٤]

٣– المزرعة: وهي ضيعة صغيرة مجاورة لمرج الزهور، كان للمبعدين –خاصة الرنتيسي– دورٌ في حل مشكلةٍ اجتماعيةٍ شائكةٍ فيها.[٥]

---

(١) الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ص٣٠

(٢) قطوس، مقاربات نصية، ٢٠

(٣) الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ٥١

(٤) انظر الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ٥٢

(٥) انظر الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ٥٢

ومما سبق نجد أن" علاقة الإنسان العربي ترتبط بالمكان في العصر الحديث، وبروزها في الأدب العربي المعاصر بالظروف السياسية والاجتماعية التي مرّ بها الوطن العربي في أوائل هذا القرن"[١] الإسلاميون – أكثر من غيرهم– تعرضوا داخل البلاد العربية للسجن نتيجة الظروف السياسية والاجتماعية؛ لذلك فقد ظهرت أدبياتهم حافلة بالحديث عن السجون، أما الأدباء الفلسطينيين فقد كان لهم نصيب الأسد في هذا الجانب فمثلا الرنتيسي تحدث عن أهم السجون التي قضى فيها أيام شبابه منها:

١- سجن غزة المركزي: ولهذا السجن ذكرى مؤلمة في ذاكرة الفلسطينيين كونه محطة انتظار يؤخذ الأسرى بعده إلى سجون مختلفة، يقول عبد العزيز الرنتيسي:"في معتقل غزة المركزي استيقظت ذات يوم وكان آخر يوم في شهر رمضان على رؤية فأخذت أقصها على الإخوة في غرفة رقم "٣"قسم"ب" وقلت لهم : لقد رأيت أني أركب حافلة متجهة صوب الشمال "[٢]وإذا كانت الحافلة تحمل معنى الراحة للإنسان لأنها توفر الوقت والجهد فهي عند الفلسطيني تحمل بعدًا نفسيًا منفرًا، فالحافلة هي التي يركب فيها الأسرى الفلسطينيين عند اعتقالهم أو عند نقلهم من سجن إلى آخرأو عن إبعادهم إلى خارج الوطن.

٢- سجن كفار يونا:يقول الكاتب:"وبعد يومين تم نقلي إلى سجن كفار يونا المطل على مفترق بيت ليد حيث زنزانة الشيخ أحمد ياسين، ولأن الشيخ لا يستطيع أن يحرك يدًا ولا قدمًا حيث يعاني شللًا رباعيًا فإنه دائمًا بحاجةٍ إلى اثنين من المرافقين على أقل تقدير "[٣].

ومن الملاحظ أن الرنتيسي لم يتطرق إلى ألوان العذاب التي لاقاها داخل السجن أو إلى الحالة النفسية الصعبة التي يحياها بل تطرق إلى المواقف الإيمانية والتربوية التي عاشها، وكونه على الحق فإن كل شيء يهون بهذا الاستعداد الكبير للتضحية.، وهذه إحدى الرسائل التربوية التي حفلت بها سيرة الرنتيسي

وتظهر السجون في أدبيات الفلسطينيين كثيراً فقلما نجد فلسطينياً لم يجرب السجن وعذاباته.

---

(١) عودة، الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية، ١٣٧

(٢) انظر الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ٤٤

(٣) الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ٤٤

ومما سبق نجد أن الرنتيسي تأثر بالمكان الذي عاش فيه تجربة مؤلمة، وعبر عن ذلك من خلال حديثه عن مدينة خانيونس ومخيمها حيث يتطرق إلى مواقف متعددة تشرح مدى الألم الذي عاشه الفلسطينيون في المخيمات خاصة ما مر بهم من مذابح وفقدان أعزاء[١]، فالمخيم هو مكان الفقر والبؤس والحاجة.

ولو تأملنا كلماته عن كل مكان دخله، نجد أن كل المواقف التي مرت لم تؤثر عليه تأثيرا سلبيا فالهدف الذي يسعى إليه أكبر من المكان والزمان والحوادث، بل أكبر منه ومن أهله ووطنه فهدفه هو تحقيق الحق والعدل وإرجاع الحق لأهله.

أما عند زينب الغزالي فالمكان ينقسم إلى عدة أنواع:-

١- النوع الأول هو المكان الآمن: والذي يتمثل في المركز العام لجماعة السيدات المسلمات حيث كانت زينب الغزالي رئيسة هذا المركز، لذلك فقد تحدثت عنه كثيرا في فصول الكتاب بل كان بؤرة الأحداث في الفصل الأول إذ تعرضت لحادثة إغلاق المركز ومصادرة أمواله[٢].

٢- النوع الثاني مكان الألم وهو مستشفى هليوبوليس، بدأت زينب الغزالي حكايتها بحدث هو اصطدام السيارة التي تركبها وانقلاب السيارة ثم استيقاظها لتجد نفسها في المستشفى. تقول"وحين تنبهت وجدت نفسي في مستشفى هليوبوليس وبجانبي زوجي وأشقائي وشقيقاتي وبعض زملائي في الدعوة وزميلاتي"[٣].

ولا نعرف لماذا بدأت حديثها بهذا المكان وبهذه الحادثة بالرغم من أنها ليست بداية الحكاية، فربما كان السبب أن كل ما سبق هذه الحادثة ليس مهماً في نظرها، وربما لأن هذه الحادثة لها الأثر الأكبر في حياتها. ولكني أرجح أن السبب يكمن في أن هذا الحدث كان أكبر حدث في حياة زينب الغزالي، وكان له أكبر الأثر في علاقاتها الاجتماعية وفي حياتها الأسرية والدعوية وفي أفكارها السياسية بعد ذلك .

٣- مكان القهر والعذاب: وتمثل في السجون المصرية وزنازينه خاصة السجن الحربي بل إن الكاتبة تحدثت بالتفصيل عن بعض حجراته حيث تدور غالبية أحداث الذكريات

---

(١) انظر الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ٢٩-٣١

(٢) أنظر الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ١١-١٩

(٣) الغزالي، أيام من حياتي، ص٩

في السجن وزنازينه: "وقبضوا عليّ وأدخلوني عربة وجدت فيها ابن أخي ايه يا محمد؟ فلم يجيبني ففهمت أن التعليمات إليه أن لا يتكلم"[١] ثم تقول: "وأخذت العربة تنهب بنا الطريق حتى وصلت السجن الحربي"[٢]وكان هذا السجن بمثابة جهنم الدنيا بالنسبة للكاتبة لذلك فقد فصلت الحديث عن حجراته وزنازينه، ومنها:-

- الحجرة رقم ٢٤: قالت "وما إن انتهيت من الصلاة حتى انكب الشيطان عليّ في وحشية، قيل له: اذهب بها إلى غرفة ٢٤"[٣] وكان لهذه الغرفة وقع عظيم عليها لما كان فيها: "الحجرة مليئة بالكلاب! لا أدري كم!! أغمضت عيني ووضعت يدي على صدري من شدة الفزع، وسمعت باب الحجرة يغلق بالسلاسل والأقفال وتعلقت الكلاب بكل جسمي، رأسي ويدي، صدري وظهري ..."[٤]
- والزنزانة رقم ٣، حيث تقول الغزالي: "وفتح باب الزنزانة ٣ .. فابتلعتني واختطفتني ظلمتها وأغلق الباب خلفي في اللحظة التي أشعل فيها مصباح معلق في سقف الزنزانة كان الضوء مخيفا مرعباً لشدته لا تستطيع أن تفتح عينك فيه. فعرفت للتو أنه للتعذيب أو الإرهاق"[٥]
- زنزانة الماء: تقول "وفتح باب زنزانة فرأيت خلف الباب سداً حديدياً يرتفع لأكثر من متر. أمرني صفوت أن أخلع ملابسي وأقفز هذا السد الحديدي ..." ثم تقول "وحملني الثلاثة وقذفوا بي إلى البئر!! وأفتح عيني فإذا بي أقف على أرض صلبة!! فأتجه إلى الله سبحانه وأقول باسمك اللهم وعرفت بأن الماء لم يكن بئراً وإنما هو زنزانة من الماء!!"[٦]
- مستشفى السجن، حيث تقول زينب الغزالي "مكثت يوماً في المستشفى، وسعدت، لا لأني بعدت عن التعذيب فالتعذيب في جسمي ضارب أنيابه، ولكني سعدت من تغيير

(١) أنظر الغزالي، أيام من حياتي، ٥٢
(٢) أنظر الغزالي، أيام من حياتي، ٥٢
(٣) أنظر الغزالي، أيام من حياتي، ٥٤
(٤) الغزالي، أيام من حياتي، ٥٥-٥٦
(٥) الغزالي، أيام من حياتي، ٥٧
(٦) الغزالي، أيام من حياتي، ١٠٩

المكان .. نعم، كنت في زنزانة في المستشفى، ولكن شعوري أني في المستشفى أدخل عليّ بعض الراحة"[١]

- الحجرة ٣٢ حيث تقول عنها: "ودخلت زنزانة وجدت بها عمودين من الخشب متصلين من أعلى بعمود أفقي تتدلي منه حلقات ... أوقفوني على كرسي وأمروني بالسوط أن أمسك الحلقتين عندئذ أزاحوا الكرسي من تحت قدمي فصرت معلقة في الهواء ..!! لم أستطع أن أستمر في الحلقتين أكثر من عشر دقائق فهويت على الأرض وتلقتني الزبانية بسياطهم المجنونة"[٢].

وتعتبر هذه الأماكن، أماكن معادية بالنسبة لها، والغريب أن المكان الآمن بالنسبة لها في تلك الفترة هو مستشفى السجن وهو المكان الذي شعرت فيه بالسعادة.

إذاً المكان عند الكاتبة مكان له علاقة مباشرة بالحدث فهو مكان الأنس والسعادة إن كان الحدث سعيدا، وهو مكان البؤس والشقاء إن كان الحدث مؤلماً.

أما المكان الطاغي في هذه السيرة فهو السجن الحربي بزنازينه، والمكان الذي يعتبر نقطة انطلاق الصراع هو المستشفى والذي يحمل دلالة المرض والمعاناة، ولكنه عند زينب الغزالي يحمل دلالة الصدمة والدهشة بجانب دلالة التعب والألم.

والمكان المغلق يفترض أن يوحي بالأمان لا بالوحشة؛ لأن الانسان يمتلك فيه خصوصية، لكن السجن مكان مغلق مستباح فالزبانية والكلاب والمحققون يقتحمون عليهم الخصوصيات ويحققون كل الألم، لذلك خرج المكان المغلق هنا عن العادة ليكون مكاناً موحشاً، لكنه ما زال يخضع لقاعدة المكان بشكل عام فلولا غياب الخصوصية لكان المكان آمناً، لكنه أصبح كالصحراء الموحشة.

تحدث القرضاوي في الجزء الأول عن (صفط تراب) وهي المكان الذي ولد فيه وتحدث عن الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فيها وتطرق إلى عادتها وتقاليدها الحسنة والسيئة وعن الخلل في المفاهيم والسلوك في (٩٨ صفحة) إلا أنه لم يصف القرية وصفاً حسياً، وإنما سرد سرداً معلوماتياً لذلك يمكن أن نسمي سيرة القرضاوي سيرة أحداث، ولكن القرضاوي كان ماهراً في وصف المكان حيث تميز في هذا الجانب، لذا يمكننا القول أن القرضاوي ركز في سيرته على

---

(١) الغزالي، أيام من حياتي، ١٢٨

(٢) الغزالي، أيام من حياتي، ١٣٦

الأحداث أكثر من الأماكن وإن زار أماكن متنوعة أكثر من غيره، منها أماكن مركزية وأخرى لا مركزية. فمن الأماكن المركزية مكان الولادة قرية صفط تراب، حيث ذكر الكثير من المعلومات المرتبطة بها كبحثه حول أصل هذه التسمية، وأهم المظاهر الاجتماعية والاقتصادية فيها،وأماكن الدراسة مثل الكتاب، والمدرسة الإلزامية، والمعهد الديني في طنطا، وكلية أصول الدين.وأماكن العمل مثل المعهد الديني في قطر، وكلية التربية في قطر.وأماكن السجن والتعذيب:- مثل معتقل الطور، ومبنى المخابرات المصرية.

وأما الأماكن اللامركزية مثل أماكن الدعوة:- السفر إلى الشام، الدوحة، البحرين، الإمارات، لبنان، السفر إلى الخليل والقدس، عمان عاصمة الأردن، مكة المكرمة، تركيا، باكستان، ليبيا، ماليزيا، اندونيسيا، سنغافورة، الفلبين، كوريا، هونج كونج، السودان، الهند، أمريكا، بنجلاديش، سويسرا، المغرب، الجزائر، نيجيريا، كرواتيا.وأماكن اقتصادية كالبنوك الإسلامية، وأماكن للعلاج مثل لندن، مدينة ميونيخ.

إن الأماكن المركزية هي التي تركت التأثير الأكبر في حياته، ويشعر بشوق وحنين إليها والدليل على ذلك أنه أطلق على كتابه اسم ابن القرية والكتاب وكأنه اختزل سيرته كلها في فترة طفولته وشبابه، أما الأماكن اللامركزية فقد كان تأثيرها محدود عليه لأنه انتقل إلى العالمية وأصبح هو من يؤثر على تلك الأماكن.

وتنوعت الأمكنة عند الطنطاوي أيضاً، ولو أردنا تحديد أنواع الأماكن لديه نجدها كما يلي:-

١. النوع الحنيني:- وهو المكان الذي يذكرنا بالماضي أكثر مما يذكرنا بنفسه"[١]، ومن ذلك قوله متحدثاً عن دمشق:- "ميراث ضخم من الماضي جعلها أقدم المدن المسكونة في الأرض بلا خلاف، وفيها من كل شيء: فيها الجبل والوادي، وكل ذلك ألم به بنظرة والجنان والبساتين، والأنهار في قاسيون، وأين منى بيتي وأين قاسيون؟[٢]

فهو يتحسر على مدينته كيف كانت وكيف أصبحت بعد خمسين عاماً، ويشعر بالحنين إليها كما يشعر بقسوة الغربة والبعد عنها، وفي ثنايا الكتاب يصف دمشق وما حولها وصفاً تفصيلياً معبراً عن شوقه إليها.

---

(١) النابلسي، شاكر، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص١٥

(٢) الذكريات، ج٢، ص٤٢ – ٤٣

يقول محمد القواسمي "يميز في الرواية نوعاً من الوصف: الوصف التفصيلي الموضوعي الذي يتم بتتبع جميع العناصر التي يتكون منها الشيء، والوصف التعبيري الذي يقدم فيه الشيء حسب وقعه على الشخصية وإحساسها به"[١] والطنطاوي لديه قدرة رائعة على وصف المكان بكلا النوعين، خاصة المكان الذي تربطه به رابطة قوية كوطنه سوريا.

فدمشق وغوطتها لها حضور قوي في كتابه ويظهر في الصفحات الأولى من المجلد الأول مدى انتماء الكاتب لبلده دمشق ومدى عشقه للأيام التي عاشها بين بساتينها، يقول علي الطنطاوي واصفا جبل قاسيون وصفا تعبيريا:

"الجبل الذي يلوح لي جاثماً على حافة الأفق هو قاسيون، وهذه المنازل الماثلات صفوفاً كالأولاد المدللين في حضن الأب الحاني هي أحياء السفح (الأكراد) و(الصالحية) و (المهاجرين) العمد البيض السامقة التي تشبه إصبع التشهد يشير بكلمة الحق نحو السماء هي مآذن المساجد"[٢]

كما يقول واصفا صحن الدار وصفًا تفصيليًا:"وفي صحن الدار أشجار لا بد من مثلها في دور دمشق: الليمون والنارنج، ودوالي العنب تمتد جذوعها حتى تبلغ (المشرقة) وهي سطح الدور الثاني – وأكثر المنازل من طابقين أو دورين، أرضي للصيف وعلوي للشتاء – ويقام لدوالي العنب عريشة وهي سطح من جذوع الخشب تتمدد عروقها عليها، تثمر العنب البلدي وثمرته بيضاء مستطيلة قاسية أو الحلواني (وهو مستدير أشقر قاسي)"[٣]

وكثيرا ما كان يصف دمشق كيف كانت قديمًا وكيف أصبحت حديثًا، يقول: "وطفت في هذه الشوارع المتشابهة أفتش عن دمشق التي عرفتها وأحببتها ومن يعرف دمشق (تلك) ويملك نفسه ألا يحبها؟ وطفقت أسأل المحسنين من المارّين ألا من يدلني على دار الحبيب؟ ولكن ما من مجيب. حتى هبت نسمة من جهتها شممت فيها طيبتها، فهداني أريجها إلى مكانها، فإذا أنا في ساحة (المرجة) تلك التي كانت طرف البلد فصارت وسط القديم منه"[٤]

ومنه أيضا وصفه لأماكن العبادة أو الرحلات فقد وصف علي الطنطاوي رحلة الحجاز الأولى في (٣٢صفحة) في الجزء الثالث، والرحلة تعبر عن معاناة العربي قبل اختراع وسائل المواصلات الحديثة، شعرت وأنا أقرأ الصفحات كأني أحد أفراد الرحلة أعاني كما يعانون ويتسرب

---

(١) القواسمة، محمد، البنية الوراثية في رواية الأخدود لعبد الرحمن منيف، ص١٠٣

(٢)الطنطاوي، ذكريات، ج١ ٢٨

(٣) الطنطاوي، ذكريات، ج١، ٣٣

(٤) الطنطاوي، ذكريات، ج١ ٣٠

الخوف إلى قلبي فينتفض، يقول علي الطنطاوي:"كنا نعتسف البوادي، نسير في أرض نبصر أولها ولا ندري إلى أين ينتهي بنا آخرها نطأ الحجارة، نواجه الصخور، نغرق في كثبان الرمل الناعم فنخرج من سياراتنا ونربط الحبال بأكتافنا وأعناقنا لنخرج السيارات الغارقة فيها، ضعنا أياما، بتنا ليالي والوحوش قريبة منا والعقارب كانت تدب من حولنا ونحن ننام على الأرض، قل معنا الزاد فكدنا أن نشرف على الهلاك، فقدنا الماء حتى إذا وجدناه والدود الأحمر يملأه نزعنا العمائم من فوق رؤوسنا وصفيناه بها فشربنا ما قطر من الماء ونفضنا الدود نفضا"[1]

هذه هي رحلة الحج التي خاضها علي الطنطاوي في عشرينات القرن الماضي فهل تقارن برحلة الحج في أيامنا هذه.

ومنه أيضا وصفه لأماكن العلم: أماكن العلم عزيزة عند الكاتب وتعتبر من الأماكن الحنينية؛ لأن الكاتب يحب العلم والعلماء لذلك فقد ذكرها ذكراً تفصيليًا، الأماكن التي تعلم فيها والتي علّم فيها ومنها المدرسة الأمينية، مدرسة سَلَمْيةَ، مدرسة سقبا، حيث أخذ على الطنطاوي علومه على أيدي أساتذة يجلهم ويحترمهم، وقدّم العلم لطلاب أصبح منهم العلماء والسياسيين والإعلاميين والكتاب والأدباء، ولأماكن العمل وجود قوي في كتابه؛ لأنه تنقل إلى مدن وبلدان مختلفة حيث عمل الطنطاوي معلماً وعمل قاضياً في أماكن عدة في سوريا، وغيرها من الدول العربية ولكل بلد حكاية ضمنها ذكرياته ومنها ما هو خارج سوريا في بغداد والبصرة ومحكمة النقض في القاهرة والمملكة العربية السعودية وكلية التربية في مكة، ومنها ما هو داخل سوريا (كدير الزور)، و(دوما)، ومحكمة دمشق، والكلية الشرعية في دمشق، ومحكمة النقض في دمشق.

ولفلسطين كمكان حنيني تواجد كبير في سيرة الطنطاوي فقد زارها قبل اغتصابها أيام الاحتلال البريطاني كما أن الجولان المحتل له ذكريات جميلة عند الكاتب حيث زار الجولان و جبل الشيخ يقول الطنطاوي :"ولقد سرنا على كتف الوادي نشرف عليه من فوق كأننا نراه من طيارة، ثم صعد بنا الطريق وصعدنا معه نمر بالقرى العامرة والمشاهد الساحرة حتى بلغنا قلعة جندل حيث تصطف بيوت القرية صف الجند تقوم في لحف الجبل على علو ١٥٠٠متر من وجه البحر، فإذا تحتنا منظر يعجز عن وصفه القلم يمتد إلى السهل الواسع الذي تذكرون برؤيته منظر سهل البقاع وسهل الزبداني والإطار البارع لهذه اللوحة كلها جبل الشيخ فحيثما توجهت من عرنة إلى قلعة جندل إلى بقعسا إلى كفر حور إلى عين الشعرة (التي كان من حقها أن تسمى عين الشعراء)،

(١) الطنطاوي، ذكريات، ج٣، ٢٨

هناك تجد الجبل أمامك مغطى بالثلج الأبيض النقي إذا خالطه شعاع الشمس كان له مشهد عجيب، لا يكاد ثلجه يفارقه أبدا"[١]

الأماكن التي زارها بهدف الدعوة:زار علي الطنطاوي أماكن كثيرة بهدف الدعوة إلى الله منها: الجزائر، الموصل في العراق وإربل، باكستان، دهلي بالهند، أندونيسيا، سويسرا، ألمانيا، هولندا، مكة المكرمة، وحضر في هذه الدول مؤتمرات علمية كثيرة، وأكثر مكان كان يجذبه في أي بلد هو المسجد، يصف الطنطاوي المساجد في العالم ويصفها وكأنه يريدنا أن نراها بعينيه، ونحن إليها ونسعى إليها ومن ذلك قوله:"وأما المسجد فهو من أعظم مساجد الهند بل هو أعظم مساجد الأرض، لم أرَ أروع منه، وهو قائم على قاعدة إليها على درج عريض جداً يزيد على أربعين درجة أو له سور عالٍ فيه ثلاثة أبواب على كل باب برج كأنه عمارة"[٢]

٢- المكان المعادي مثل مكان العلاج:- مستشفى بيروت حيث أراد أن يجري فيه عملية الزائدة، المستشفى المركزي في الرياض، مستشفى المواساة في دمشق لكل مكان من الأماكن السابقة ذكرى ألم جسمي لا يحتمل،فمثلا جاءه الألم ليلاً فأيقظ زميله الشيخ صلاح، فأحضر له طبيبًا، ولكن الألم استمر حتى الصباح فأعطاه طبيب المستشفى مسكنًا قويًا ثم أخبره بأنه يحتاج إلى عمليةٍ جراحيةٍ، يقول الطنطاوي ناقلاً الحديث الذي دار بينه وبين الطبيب:"قلت وقد خفت من العملية: وهل يُشق بطني؟ قال: وهل تريد عملية بلا شق بطن؟ فشعرت من ألمي أنه يسخر مني أو توهمت ذلك من كلامه، وأحسست أنه يكلمني باستخفاف فلم ينسيني ما أنا فيه أن أغضب لكرامتي التي تخيلت أنها مُسَّت فقلت للممرضة لأصرفها: أحضري لي كأسا من الماء ... وصرفت الطالب بحجَّةٍ اخترعتها وهبطت السلم هاربًا، وكنت بالمنامة(البيجامة) فسقطت النعل من رجلي فوصلت الشارع حافيًا"[٣]

٣-النوع الثالث الذي يربط الحاضر بالماضي ويسحب الإنسان إلى الماضي البعيد، ومنها قوله متحدثاً عن الهند، وعَن المسجد الجامع الذي بناه شاة جيهان باني تاج محل:- "ولما وقفت عليها وأحاط بي صمتها وهدوؤها أحسست كأني قد انفصلت عن حاضري وغبت عن نفسي وأنني قد عدت إلى الماضي القريب، وشعرت كأني أسمع في أرجاء القلعة دوي الطبول وهتاف الجند،

---

(١) الطنطاوي، ذكريات، ج٣، ٢١

(٢) الطنطاوي، الذكريات، ج٥، ٢٨٢

(٣) الطنطاوي، ذكريات، ج٤، ٧٨

وصدى الآذان تردده منارات المسجد"[1]، وهذا النوع مكان صوتي لأن الصوت هو أكثر ما نتذكره من المكان.

منير الغضبان نجد الأماكن عنده إما مفتوحة أو مغلقة، ومن الأماكن المغلقة:

١- السيارة:- للسيارة أهمية خاصة عنده، فبالسيارة كاد أن يقتل ثلاث مرات الأولى وهو في الرابعة من عمره مرة، ووالثانية وهو في الحادية والثلاثين، والثالثة وهو في الثانية والثلاثين من عمره. أربع مرات رأى الموت بعينيه ثلاث منها كانت السيارة هي الأداة.

٢- المدرسة الابتدائية وقريته والمدرسة الثانوية في دمشق

٣- المرآب الذي مثل فيه الغضبان هو وزملائه أول مسرحية كانت من تأليفه، وهو مكان يحن إليه ويحن إلى أيامه.

٤- المركز العام للإخوان المسلمين في سوريا،وهو مكان محبب لدى الكاتب، لأنه عاش فيه النشاط المستمر والتفاعل الدائم.

٥- المسجد مكان مغلق من الناحية المادية إلا أنه مكان مفتوح من الناحية المعنوية مفتوح على كل المسلمين في العالم.

٦- أماكن العمل مثل المدارس في قرية جزرة الميلاج وقرية حرستا القنطرة و معلماً في بلدة التل.

٧- السجن مكان العذاب والقهر والألم وهو مكان معادي يكرهه الكاتب لأنه معادل موضوعي للموت.

٨- مركز البحوث في جامعة أم القرى بالسعودية وهي مكان حنيني استطاع أن يؤلف فيه عدداً من كتبه.

٩- حماة المدينة سورية التي قام نظام الأسد بمحاصرتها وقتل فيها خمس وعشرين ألفا من أبنائها فيما عرف بمذبحة حماة.

ولو تأملنا هذه الأماكن نجد أن بعضها كانت من النوع المنفر كالسيارة وحماة فبالأول أوشك على الموت وفي الثانية قتل الكثير من إخوانه في جماعة الإخوان المسلمين كما أن السجن هو مكان الألم والقهر عنده.

---

(١) الطنطاوي، الذكريات، ج٥، ٢٨٣

أما بالنسبة للمدارس ومركز جماعة الإخوان والمسجد ومركز البحوث فهي أماكن حميمة كان يسعد الغضبان بمكوثه فيها.

أما الأماكن المفتوحة:

١- قرية حينة (يسكنها دروز) وبالرغم من أنه مكان مفتوح ويفترض أن يشعر الكاتب بالارتياح فيه إلا أنه شعر بالضيق في بداية مكوثه فيها، لأنه شعر بالوحدة لأن عقيدة الدروز تختلف اختلافاً بيناً عن عقيدته.

٢- بلدة التل التي ولد فيها وعاش فيها أيام صباه، وهي تعتبر من الأماكن الخاصة والحميمية من أكثر الأماكن التي أحبها الكاتب فهي مسقط رأسه.

٣- الكعبة المشرفة / من الأماكن الحنينية عند الكاتب فكثيراً ما كان يذكرها ويتمنى لو يحج إليها، إلى أن حقق له الله غايته

في سيرة حماد الحسنات تدور أحداث قصة الإبعاد في مكان واحد رئيسي هو مخيم مرج الزهور، وإن وجدت أماكن ثانوية ومنها الباصات التي حملت المبعدين والطائرة التي حملتهم من سجن النقب إلى معبر زامريا بين فلسطين المحتلة والجنوب اللبناني ومعبر زامريا نفسه الذي أنزل فيه المبعدين، وسجن غزة المركزي الذي تجمع فيه المبعدون، القرى المجاورة لمخيم مرج الزهور،ولقد وضح الكاتب طبيعة الأرض في مخيم مرج الزهور في الجنوب اللبناني معبراً عن أهميتها خاصة في تلك الظروف حيث أنها منطقة غير سكنية بعيدة عن العمران حيث يقول:-

"لم نكن نعرف أي شيء عن هذا المكان، وهو أرض جرداً إلا من الصخر، ووقفنا طيلة اليوم لأننا لا نستطيع الجلوس حتى على الصخور وذلك بسبب الرطوبة والمطر المستمر في النزول"[١] فالإبعاد كان في فصل الشتاء ويتميز الشتاء في هذه المنطقة بالبرودة الشديدة والتساقط المستمر للثلوج التي تمكث لفترات طويلة لساعات وربما لأيام.

ويقول أيضاً "حضر وقت الجمعة وأردنا صلاة الجمعة، ولكن الأرض مبللة ولا يمكن السجود عليها لما بها من طين فصلينا وقوفاً"[٢]

(١) الحسنات، حماد، ذكريات مرج الزهور، ١٤

(٢) الحسنات، ذكريات مرج الزهور، ١٥

مخيم مرج الزهور الذي تحدثت عنه آنفا يقع في لبنان وهي الدولة التي اختارها الاحتلال لتكون المكان الذي سيبعد إليه الفلسطينيون الذين صدر القرار بإبعادهم

لبنان كمكان بديل غير مرغوب فيه عند المؤلف حيث استخدم التعبير "لقد قذفت بنا سلطات الاحتلال أرض لبنان مع الفجر، وقد وضعت في جيب كل واحد منا خمسين دولارا"[١] .إذن المكان عند حماد الحسنات من نوع واحد وهو المكان المغلق، فمخيم مرج الزهور يعتبر كالسجن الاختياري الإجباري فمن ناحية منعوا أنفسهم من مغادرته ومن ناحية أخرى أجبروا على الخروج من الوطن وليس أمامهم إلا مكان واحد يقصدونه وهو أرض جرداء قريبة من قرية مرج الزهور، واتفقت رغبتهم هذه مع رغبة حكومة لبنان في تلك الفترة، كما أن الباصات والطائرة وسجن غزة المركزي كلها أماكن مغلقة، كما يعتبر مخيم مرج الزهور مكاناً معادياً لأن المبعدين ذهبوا إليه رغماً عنهم.

الأماكن عند مصطفى محمود أماكن مفتوحة فمكتبة البلدية بطنطا وهو مكان مفتوح لكنه صغير: مكان القراءة والمطالعة والمعرفة بالنسبة للكاتب حيث غرف منها علومه الأولى بدون توجيه أو مراقبة من أحد، المكان الذي تشكلت فيه مبادئه وأفكاره يقول: "وغرقت في مكتبة البلدية بطنطا وأنا صبي أقرأ لشبلي شميل وسلامة موسى وأتعرف على فرويد وداروين"[٢]

كما التقى في كلية الطب عددا من الطلاب والمعلمين يحملون بعضاً من أفكاره وتساؤلاته،لذلك تعتبر المكان الذي تكونت فيه قناعاته بتميز الغرب يقول:

"ودخلت كلية الطب لأتلقى العلوم باللغة الإنجليزية وأدرس التشريح في مراجعه الإنجليزية وأتكلم مع أساتذتي في المستشفى باللغة الانجليزية.. ليس لأن انجلترا تحتل القناة لكن بسبب آخر مشروع وعادل... هو أن علم الطب الحديث كان صناعة غربية تماماً"[٣]مما أكد عنده هذه المعتقدات التي كان يحملها، والتي عنوانها أفضلية الغرب على الشرق وتخلف الشرق عن الغرب.

ويغلب على سيرة مصطفى محمود الطابع الفلسفي، لذلك فالكون كمكان كبير و مفتوح له حضور قوي بما يحمله هذا المكان العام من دلائل على قدرة الله عزّ وجل، يقول مصطفى محمود مبرزا هذا تأثيره الإيماني:"الكون كله مبني وفق هندسة وقوانين دقيقة. وكل شيء يتحرك بحساب من الذرة المتناهية في الصغر إلى الفلك العظيم إلى الشمس وكواكبها إلى المجرة الهائلة التي تحوي

(١) الحسنات، ذكريات مرج الزهور، ٨

(٢) محمود، مصطفى، رحلتي من الشك إلى الإيمان، دار المعارف بمصر، ١٩٧٦، ٩

(٣) محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، ١٠

أكثر من ألف مليون شمس.. إلى السماء المترامية التي يقول لنا الفلك إن فيها أكثر من ألف مليون مجرة"[١]

يتأمل مصطفى محمود في سيرته خلق الإنسان خاصة المخ والذاكرة، وأثناء هذه التأملات يبحث عن مكان الذاكرة في مخ الإنسان وبعد طرح سلسلة من الآراء الرأي والرأي الآخر، وعرض الأدلة المنطقية لكل رأي يرى أن للذاكرة مكان افتراضي هو المخ ولكن هذا غير مؤكد و "هكذا تتحطم النظرية المادية للذاكرة على حائط مسدود، ونجد أنفسنا أمام ظاهرة متعالية على الجسد وعلى خلايا المخ، وسوف تموت وتتعفن الخلايا المخية وتطل الذاكرة شاخصة حية تفصيلاتها ودقائقها تذكرنا في حياتنا الروحية الثانية بكل فعل فعلناه"[٢]

ومن الأماكن المغلقة السفينة في أدغال أفريقيا، فها هو يصفها قائلا:"لا أنسى تلك الليلة منذ سنوات وأنا في رحلتي في أدغال أفريقيا الاسترالية أشق النيل العريض في سفينة نيلية وقد تجاوزنا الملكال ودخلنا منطقة يكثر فيها البعوض وينبسط النيل على شكل مستنقعات على مدى البصر"[٣] فالسفينة المغلقة تحمل معنى الحماية والأمان، حيث يكثر في هذه المنطقة الحشرات الضارة والزواحف القاتلة والحيوانات المفترسة.

إذن فالمكان عند مصطفى محمود مفتوح مهما كان مغلقاً؛ لأن المكان المغلق لا يمكن أن يحكم عقل الإنسان أو يمنعه من التأمل والتفكر في خلق الله، فبالعقل يستطيع الإنسان أن يتجاوز كل الحواجز وينطلق إلى رحاب الكون.

الشرق والغرب كمكان:- الشرق مكان التخلف والتأخر عن التكنولوجيا الحديثة، ويعبر الكاتب عن رؤية الشرق لنفسه فيقول: "وقد افتتن الناس بهذا المسخ فعبدوه (المقصود العلم)، وأمام هذا الاستعراض الباهر للتقدم العلمي الغربي فقدنا نحن الشرقيين ثقتنا بأنفسنا ونظرنا باحتقار إلى تراثنا وديننا"[٤]

والغرب مكان التقدم والرقي المادي وعصر التكنولوجيا،ولكنه مكان يخلو من الروح لذلك فقد اعتبره موطن المسيح الدجال ذو العين الواحدة ويقصد به العلم يقول: "وهذا المسيح الشائه ذو العين الواحدة كما يقول ليوبورفايس هو: التقدم المادي والقوة المادية والترف المادي.. معبودات هذا

---

(١) محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، ١١

(٢) محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، ٣٧

(٣) محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، ٨٣

(٤) محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، ٩٦

الزمان مدينة العصر الذري، العوراء العوجاء، التي تتقدم في اتجاه واحد، وترى في اتجاه واحد هو الاتجاه المادي"[١]

والعالم كله:-"كمكان أصبح مسرحاً مجنوناً يهرول فيه المجانين في اتجاه واحد نحو القوة المادية المسيح الدجال الأعور ذو العين الواحدة. معبود هذا الزمان. لا إله إلا المادة هذه هي الصلاة اليومية"[٢] وهنا تظهر رغبة الكاتب في التغيير وفي ذلك اتحاد الزمان مع المكان لتكوين زمان جديد تكون الغلبة فيه للتوازن بين الروح والمادة.

المكان عند سيد قطب:

القرية في سيرة سيد قطب المكان الرئيسي الذي تدور حوله الأحداث حيث تدور أحداث السيرة حولٍ طفل عاش في القرية، ومن خلال الصفحات المتعاقبة ينقل الكاتب إلينا مظاهر الحياة في القرية، مبينا أحاسيسه ومشاعره، خوف وحزن وفرح طفل صغير.

يظهر المكان المخيف بجلاء في سيرة سيد قطب ذلك المكان الذي يبعث في قلب الطفل ووجدانه كل الرعب والخوف فيرتجف جسمه وترتعد أطرافه،وهذا المكان هو الطريق المعوج الذي يتوهم أهل القرية وجود العفاريت فيه ويؤمنون بخروج هذه العفاريت في الليالي غير المقمرة، يقول الكاتب موضحا أثر المكان في أسطورة العفاريت:"الظلام الذي يخيم عليها بعد الغروب فتصبح شوارعها مظلمة وحالكة لا يرى فيها السائر مواضع قدميه ولا يأمن أن يصدم في كل خطوة بمجهول، والطرقات المتعرجة كمسار الثعبان بحيث لا يدري السالك ما وراء كل ثنية وكل وكل متعرج كان أمنا وسلاما، أم شرا وحربا فهو أمام كل ثنية يتوقع مجهولا غير مأمون"[٣]. سيد قطب وصف المكان المعادي المخيف بالنسبة إليه وصفًا دقيقًا وقد أجاد في تشبيه الطريق المتعرج المظلم بالثعبان ذلك الكائن المفترس الذي يصطاد فريسته بسرعة ويقتل صيده ببطءٍ وقسوة، والغريب أن القرية تثير في نفس الكاتب الكراهية والبغض لوجود الانحرافات الفكرية، والانحرافات الدينية في غالب الأحيان،وهو يختلف في ذلك عن كثير من الكتاب الذين تغزلوا بالقرية التي ولدوا وعاشوا فيها حتى انه عندما تحدث عن المساحات الخضراء كان ذلك ضمن كلامه عن الحادثة التي لا تنسى وهي قتل العم لأولاد أخيه الثلاثة وإلقائه الجثث في الحقول المجاورة ولم يعرف الناس شيئًا عنها إلا بعد انبعاث الرائحة .

---

(١) محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، ٩٦

(٢) محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، ٩٧

(٣) قطب، طفل من القرية، ٤٧

اللغة

اللغة لها دور كبير في إخراج النص الأدبي، وفي انتشاره بين القراء إذ كلما كانت لغة النص واضحةً وسهلةً للقارئ، كلما فهمها وأقبل عليها. وتظهر لغة الكاتب من بداية النص الأدبي من خلال اختياره للكلمات المفاتيح وعلى رأسها عنوان النص، "فالكلمات المفاتيح التي نحاول من خلالها اختراق سطوح الأشياء للنفاذ إلى لبابها وجوهرها"[١] حيث تعبر هذه الكلمات عما يجول في خاطر الكاتب، كما تعبر عن الأشياء التي يود أن يسلط الضوء عليها.

واللغة في السيرة الذاتية ينبغي أن تكون سهلة وواضحة وسليمة مثلها مثل القصة كما يرى محمد نجم في كتابه فن القصة،حيث يقول: "قلت لغة سليمة، وأقصد بذلك لغة بسيطة.. إذ من الهواة الذين ملوا كل شيء، من يفضل التنقيب عن شواذ التراكيب واهماً أن أصالة الكاتب في الألفاظ والتركيب، بينما الأصالة الحقيقية ليست في الصياغة وخصوصاً عند الناشر، وإنما هي صفة في النفس"[٢] ولا أقصد اختيار الكلمات غير الفصيحة ولكن اختيار اللغة الفصحى السهلة التي يفهمها القارئ العربي العادي لا القارئ المتخصص فقط و الصياغة الصحيحة مهمة جداً للناشر؛ لأنها تؤثر على وصول المعاني إلى جمهور القراء ومن ثم انتشار النص وتسويقه.

واللغة هي الألفاظ التي يستخدمها الكاتب لإيصال معانيه، وجميع الدارسين يتفقون على أن"اللفظ تبعٌ للمعنى في النظم، وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتاً وأصداءَ حروف لما وقع في ضمير ولا هجس في خاطر أن يجب فيها ترتيب ونظم"[٣]

واللغة هي أداء التوصيل وهي الوعاء الحامل للفكر الإنساني علماً وثقافة، وتحدد طبيعة اللغة بحسب المجال الذي توظف فيه.. وطبيعة الأدب النوعية تكمن في تجسيد الصورة بكل ملامحها الجزئية الخاصة.. واللغة الأدبية تنفر من التقريرات المباشرة والتعميمية.. ويتحدد نجاح اللغة لا في ذاتها ولكن في مقدرتها على نقل جزئيات الصورة المراد نقلها.."[٤]

---

(١) أبو اصبع، صالح، وآخرون، نحو دراسة تأهيلية للرواية الفلسطينية، منشورات مركز أوغاريت للنشر والترجمة، رام الله، ٢٠٠٠م، ص

(٢) نجم، محمد يوسف، فن القصة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٦، ١١٦

(٣) الجرجاني، عبد القاهر دلائل الإعجاز، دار المعرفة بيروت، لبنان، ١٩٧٨م ، ٤٤

(٤) نبيل أبو علي وآخرون، دراسات في أعمال الشاعر والروائي الفلسطيني عبد الكريم السبعاوي، ص١٤١

وهذه القدرة اللغوية تجذب القراء "فجودة عرض الموضوع المطروق تكسبه متعةً وحلاوة تغري القارئ بمتابعته"[١]

ومن القضايا المثارة في العصر الحديث قضية الفصحى والعامية حيث دعا البعض إلى استخدام الفصحى والبعض الآخر دعا إلى استخدام العامية، ومنهم من وقف موقفاً وسطاً حيث دعا إلى لغة ثالثة لغة مخلوطة من الفصحى والعامية و"لقد كان توفيق الحكيم ويحيى حقي من أوائل الداعين إلى ضرورة خلق هذه اللغة الثالثة حسماً للصراع بين أنصار العامية والفصحى، وقد استخدمها أيضاً رواد القصة المصرية في قصصهم ورواياتهم في النصف الأول من القرن العشرين"[٢]ولقد اهتم كتاب السير الذاتية في النماذج المختارة بذلك واستخدموا العربية الفصحى في كتاباتهم متأثرين بثقافتهم العربية الإسلامية، ولو اطلعنا على سيرهم كالطنطاوي مثلًا وجدنا أنه كان يذكر الكلمة العربية حتى لو كانت الكلمة غير العربية هي المستخدمة كما في الكلمات الرادَّ عن الراديو، والمحساب عن الكمبيوتر،وبالرغم من ذلك فإننا نجد أن بعضهم لجأ إلى العامية –خاصة في الحوار– بهدف نقل القارئ إلى مسرح الحدث والإحساس بالجو النفسي والانفعالي للشخصيات،ولقد لاحظت ذلك بوضوح في سيرة الغزالي .

كما أن اللغة العربية تأثرت باللغة التركية إبان الخلافة العثمانية "نستطيع أن نقول أن معظم النعوت والألقاب المستعملة في مصر هي من بقايا ذلك الحكم ولاسيما الكلمات والتعابير التي تدل على الرتب الملكية والعسكرية فكلها ترجع إلى منشأ تركي بدون استثناء، فإن كلمات (بك، أفندي، باشا، هانم) تركية الأصل، مع هذا إنها تصرف وتستعمل في مصر كالكلمات العربية ويقال لذلك (بكوية وبكوات باشوية وباشوات أفندية وهوانم) وقد ظهر ذلك عند الأدباء المصريين خاصة.

تشتمل اللغة على المفردات والتراكيب والأساليب التي ينتقيها الكاتب ليستخدمها في نصه. وأول ما يطالعنا في النص عنوانه، حيث "إن العنوان حسب ما جاء به (ج. جينيت) عن (شارل كريفل) و(ليو هوك) هو ما يحقق هوية النص"[٣] يقولون يُعرف الشيء من عنوانه، فالعنوان يعبر عما في داخل النص أو عما يقصده الكاتب.

---

(١) الشيب، فن السيرة الذاتية، الأدب الفلسطيني، ٦٥

(٢) المجلة العربية للعلوم الانسانية، العدد٦١، السنة١٦، ١٩٩٨م، رحلة البطل الروائي في ضوء ثنائية القرية محمد عبد الحكيم عبد الباقي، ص٢١

(٣) نور الدين، البداية في النص الروائي، ٧٠

لغة العنوان في السير المختارة:

وقد تأملت عناوين السير الذاتية التي تناولتها في بحثي هذا فوجدت أن **منير الغضبان** أطلق على سيرته (كشف المستور) وهذا العنوان أثار في نفسي تساؤلًا : أي مستور يريد أن يكشفه الكاتب؟ولماذا يريد أن يكشفه؟ هل مل الكاتب من إخفائه ولم يستطيع أن يكتمه أكثر من ذلك؟ أم أن الكاتب أمن أخيراً على نفسه فأراد أن يكشف ما كان يخاف من إبرازه للعلن خلال عقود؟ ثم هل المستور الأحداث التي مرّت بالكاتب في حياته أم الأفكار التي تدور في عقله، ثم رأيت الكلمات التي كتبت في الصفحة الأولى قبل صفحة العنوان (سلسلة الريادة الذاتية) بخط صغير أعلى يمين الصفحة وفي منتصف الصفحة بخط كبير كتب التعبير (أفكاري التي أحيا من أجلها)، وأيّا كان هذا المستور فقد قرر كاتبنا أن يكشفه ويوضحه للقراء في مائة فكرة استغرقت سنوات طويلة من حياته الشخصية والعملية، وحياة البيئة التي عاش فيها.

أما **زينب الغزالي** فقد اختارت [أيام من حياتي] عنواناً لسيرتها وكُتب هذا العنوان بخط متعرج وباللون الأحمر ينتهي بلون أصفر وإن عبر ذلك عن شيء فإنه يعبر عن أن هذه الأيام بالنسبة لها أشبه بألسنة اللهب المتعرجة، كما أن الواقع لم يسد فيه العدل بقدر ما كان يحكمه نظام اعوج ابتعد عن الجادة الصحيحة،هذا النظام اعتمد على الدم والعنف وسفك الدماء لتحقيق ما يريد، كما رُسم على صفحة العنوان نافذة سجن صغيرة على هيئة قلب الإنسان تلقي قضبانها بظلالها على العنوان (أيام من حياتي) معبرة عن تأثير حبس الجسد على الروح والقلب فالمعاناة مزدوجة، وتعتبر صفحة الغلاف تمهيداً لما سيأتي بعد ذلك، ولولا صفحة العنوان وما تحمله من إيحاءات لأتت السيرة صادمة للقارئ، وقد يعتقد القارئ قبل قراءته للكتاب أن الكاتبة تعرضت لحياتها من الولادة إلى لحظة كتابة السيرة، ولكن الواقع غير ذلك حيث أنها كتبت جزءاً من حياتها لا يتعدى سنوات قليلة واستخدام الكاتبة لحرف (من) للفت انتباه القارئ إلى أن هذه السيرة هي الجزء وليس كل حياتها.كذلك هي مجرد أيام بالنسبة للناس ولكنها أيام هامة تركت ندوباً في نفسها وعقلها وفكرها، وولّدت لديها قناعات جديدة خاصة بالحكم الناصري.

يطالعنا **علي الطنطاوي** بعنوان لسيرته هو [ذكريات] ملمحاً إلى أن كل ما كتبه لا يتعدى نتفاً من حياته فهذا الشيخ الهرم لم يستطيع أن يكتب إلا ما يتذكره، وقد تفوته أحداث سرعان ما يتداركها في موضع آخر فيرجع إلينا معتذراً عن ذلك.

أما القرضاوي فقد اختار عنوان [ابن القرية والكتاب، ملامح سيرة ومسيرة] هذه الكلمات توحي بأن الكتاب سيرة عن جزء من حياته هي تلك الفترة التي قضاها في القرية وهذا العنوان قد

يتناسب مع الجزء الأول من كتابه ولكن لا يتناسب مع باقي الأجزاء، فالجزء الأول تحدث فيه عن حياته في القرية وأيامه في الكتاب وسنوات تعليمه، إلا أن الأجزاء الأخرى خرجت عن هذا العالم إلى عوالم أوسع وأكبر إلى العالم الإسلامي كله بزياراته المتتابعة؛ لإلقاء الندوات أو حضور المؤتمرات أو بمشاركته فيما يعرض على العالم بأسره من ندوات في التلفاز أو المذياع، وتطالعنا صورة القرضاوي على كل جزء من الأجزاء الخمسة ولكن الصورة مختلفة من جزء لآخر لأنها تعبر عن المرحلة العمرية للقرضاوي نفسه، يحيط بالصورة إطاراً إذا تأملته تجده عبارة عن بيوت قروية متراصة يفصل بين كل بيت وآخر شجرة نخيل.

أحمد ديدات أطلق على كتابه اسم (هذه حياتي) ملمحاً إلى أن ما سبق هذه الحياة التي تعرض لها في كتابه لم تكن حياة ؛لأنها حياة الإنسان الضعيف الذي لا يستطيع أن يدافع عن دينه، أما الفترة التي رصدها من حياته والتي دافع فيها عن الإسلام فهي الحياة الحقيقية.

حماد الحسنات كتب كتابه [ذكريات مرج الزهور] بعد عودته من الإبعاد، فكان يرصد كل ما يتذكره في الفترة الزمنية التي أمضاها في مرج الزهور وهي لا تتعدى (ثمانية أشهر) من حياته، وقد اختار هذا العنوان ليؤكد لنا أنها مجرد ذكريات قليلة ولكن تساوي عمره كله فهي ذكريات سعيدة حزينة، سعيدة بالإخوان الذين رافقوه، حزينة لأنها بعيدة عن الوطن والأهل والأقارب، مشاعره فيها متضاربة فهي شيء من الحزن ممزوجاً بقليل من الفرح، ويظهر في هذا المخلوط بعضاً من الغضب يعلوه جزءاً من الإثارة.

مصطفى محمود عنون سيرته بعنوان [رحلتي من الشك إلى الإيمان]، ورحلته لم تكن مادية ولكنها رحلة معنوية عقلية فكرية وظف فيها التأمل والتحليل العقلي فخرج من الإلحاد وعدم الاعتراف بالله إلى التوحيد والإيمان بوحدانية الله سبحانه وتعالى، ولقد كان موفقاً في اختيار هذا العنوان؛ لأن وصوله إلى الإيمان واليقين مر بمجموعة من المغامرات الفكرية والنفسية.

أما سيد قطب فكان موفقاً في اختيار عنوان سيرته أيضاً فقد اختار عنوان[طفل من القرية]؛ لأن سيرته تحكي قصته وهو طفل صغير راصداً فيها أحاسيس ومشاعر وأفكار هذا الطفل القروي الذي لا يختلف كثيرا عن باقي أطفالها.

نجيب الكيلاني اختار عنوان على الغلاف (ذكريات نجيب الكيلاني)، ولكنه اختار لهذه الذكريات اسماً في ثنايا مقدمته هو(لمحات من حياتي)فهل هذه الذكريات المليئة بالأحداث والمغامرات والتضحيات والعذابات ما هي إلا لمحات بسيطة من الحياة فإذا كانت هذه هي اللمحات

فما هي الحياة التي عاشها، ما مقدار الفرح والحزن والهم والغم والألم والغضب في السنين الطوال التي عاشها.

ومما سبق نجد أن العنوان الذي يختاره الكاتب يعبر عن مضمون سيرته الذاتية، ،لذلك أتفق مع ريم العيساوي في قولها: "من الخصائص الفنية لجنس الترجمة الفنية أن يوحي العنوان بالمضمون"[١] وصورة الغلاف أيضًا قد تعبر أيضًا عما يشتمله الكتاب ولكن هذه ليست قاعدة يقاس عليها ، فقد يكون الغلاف من اختيار الناشر ويكون هدفه الرئيسي تسويقيًا

هذا بالنسبة للعنوان أما بالنسبة للغة السيرة فكل كاتب له مفرداته وأسلوبه الخاص به، ولكن قبل الحديث عن ذلك ينبغي التطرق إلى أمر مهم وله خصوصية في السيرة الذاتية وهي كيف يكتب الكاتب سيرته؟ هل يستخدم ضمير الغائب أم ضمير المتكلم؟

لابد أن يحدد كاتب السيرة كيف يبدأ سيرته "فقد تكون عملية الدخول إلى القصة أمراً ميسوراً عند كثير من كتابها، فبداية الشيء تحتاج إلى فنية معينة لأنها أول ما يلتقي به القارئ، وهي التي تحدد مدى نجاح العمل أو فشله، فكثير من الكتاب تفشل أعمالهم الفنية عندما يبدأون بالكتابة مع أن الفكرة قد تكون ناضجة عندهم، وسبب ذلك أنهم لا يعرفون كيف يبدأون"[٢] وكذلك السيرة تحتاج إلى مدخل جيد وممتع يدفع الكاتب دفعاً إلى متابعة القراءة.

وكما قلنا سابقاً إن من شروط السيرة الذاتية –عند كثير من المختصين– أن تكتب بصيغة المتكلم حيث "يفهم من ضمير المتكلم أن المؤلف يستوحي تجربته جاعلاً منها بؤرة القول، ثم هو يفصل القول في منحنياتها يحولها على مستوى الكتابة، إلى سلسلة من الأفعال والمواقف"[٣]

والجدير بالذكر أن اختيار نوع الضمير المستخدم يؤثر على السيرة "فتكتب الترجمة الذاتية بضمير الغائب فيَأتي في قالب بدائي تحليلي، وتكتب بضمير المتكلم فتأتي بأسلوب تقريري أكثر منه تحليلي، وتصبح أكثر قرباً من القراء"[٤]

---

(١) العيساوي، فدوى طوقان نقد الذات، ص١١

(٢) الكيلاني، سامي، دراسة نقدية في المجموعة القصصية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) تصدر عن عمادة البحث العلمي، ، العدد ١١، ١٩٩٧، ص١٨

(٣) الشادي، عبد القادر، السيرة الذاتية في المغرب، ٥٢

(٤) العيساوي، فدوى طوقان نقد الذات، ١٦

ولقد استخدم جميع كتاب السير [مادة البحث] ضمير المتكلم، عدا سيد قطب فقد وظف ضمير الغائب، ولكنه وضح في مقدمته أن الطفل القروي في القصة هو سيد قطب نفسه، وسبب استخدامه لضمير الغائب يرجع إلى تأثره بأيام الأديب طه حسين، كما أنه يعود –في تقديري – إلى محاولة سيد قطب تسليط الضوء على معاناة كل أطفال القرية، فحالته لا تختلف عن حالة كل طفل قروي –حسب رأيه–فقد عانى كما عانى كل أطفال القرية من الخلل العقائدي والتخلف الحضاري

بدأ نجيب الكيلاني سيرته بحديثه عن قريته بقوله: "تقع قرية شرشابة على بعد عشرين كيلو متراً من مدينة طنطا المعروفة، وتعتبر طنطا أكبر مدن الوجه البحري باستثناء الإسكندرية ثغر مصر التاريخي العريق، وكانت قريتنا في الماضي في منطقة زراعية شبه منعزلة، فلا يمر بها مثلاً قطار سكة الحديد، ولا طرق الحافلات أو سيارات الأجرة"[١]، حماد الحسنات بدأ سيرته بقوله: "كان يوم ١٩٩٢/١٢/١٤م وهذا اليوم أصبح له مكانة خاصة عند الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة، ولقد تعود الشعب أن يسمع كل عام في مثل هذا اليوم خبراً جديداً للقوى الفاعلة في ميدان الجهاد بالأرض المحتلة، فليس من الغريب أن يكون هناك حدث غريب، وأصبح من المعتاد عند الناس أن يترقبوا في مثل هذا اليوم ليسمعوا هذا الجديد. في هذا اليوم نقلت لنا الأخبار أن جندياً مخطوفاً من الجيش الإسرائيلي"[٢]، أما علي الطنطاوي فقد بدأ حديثه بقوله: "بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم لك الحمد، اللهم وفقنا لما ترضى واختم لنا بالحسنى. وبعد:فهذه ذكرياتي، حملتها طول حياتي وكنت أعدها أغلى مقتنياتي، لأجد فيها يوماً نفسي وأسترجع أمسي، كما يحمل قربة الماء سالك المفازة لترد عنه الموت عطشاً"[٣]ويوسف القرضاوي تحدث عن قريته في بداية سيرته بقوله:"لم يشأ القدر أن أولد وأنشأ في مدينة كالقاهرة كما نشأ أحمد أمين، أو كدمشق كما نشأ علي الطنطاوي؛ لأتحدث عن مدينتي وخصائصها وروائعها، ولكني ولدت في قرية متواضعة من قرى الريف المصري"[٤]

عمر التلمساني يستخدم في بداية فصله الأول من سيرته (ذكريات لا مذكرات) صيغة الغائب في الفقرة الأولى التي كانت بعنوان (من أنا) بدأها بقوله:– "مواطن مسلم مصري على وشك

---

(١) الكيلاني، ذكريات،ج١، ٧

(٢) الحسنات، ذكريات مرج الزهور، ٦

(٣) الطنطاوي، ذكريات، ج١، ١٣

(٤) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ج١، ١٥

أن يتم الثمانين من عمره في هذه الحياة... ثم يعود عن هذا الأسلوب فيلتفت مستخدماً أسلوب المتكلم بقوله:-

"ولدت في القاهرة حارة حوش قدم في الغورية، قسم الدرب الأحمر. في ٤ نوفمبر تشرين الثاني ١٩٤٢م في حي قديم بكل معنى القدم"[١]

سيد قطب بدأ سيرته بداية مختلفة عن كل هؤلاء فقد استخدم ضمير الغائب، يقول:"مضى على هذه الأحداث أكثر من ربع قرن، ولكنه لا يستطيع اليوم أن يسترجع صورتها دون أن يحس في جسده بقشعريرة تتخلل عظامه في صمت كأنما استحال دمه إلى ماء مثلوج."[٢]

ولقد ظهرت ذات الراوي بوضوح تلك الذات التي تساوي شخصية المؤلف و الشخصية الرئيسة في السيرة ، و"ذات الراوي تضفي على لغة السرد ظلالاً خاصة به، فتجعلها فرحة إن كان الراوي فرحاً، وحزينة إن كان الرواي حزيناً، ومسهبة إن كان الراوي ثرثاراً"[٣]

ولو انتقلنا إلى الصفحات الداخلية لسيرة القرضاوي مثلًا نجد أن لغته سهلة واضحة، لكنها عربية فصيحة، وقد يستخدم العامية أحيانا إذا دعت الضرورة، وهو مطلع على بعض اللهجات العربية فيتعرض أحيانا لكلمة ما ويوضحها في أكثر من لهجة، يقول في سيرته: "وأذكر أنه من ألذ الأطعمة في تركيا (اللبن) الذي يسميه المصريون (اللبن الزبادي)؛ لأنه كان يوضع في (زبدية) وهي وعاء فخاري صغير، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مكانه، وسمي (الزبادي). إخواننا في الشام (سورية، ولبنان، والأردن، وفلسطين) يسمونه (اللبن) ونحن المصريين- نطلق كلمة اللبن على ما يسمونه هم (الحليب)"[٤]، وقد يتعرض بالذكر لبعض المفردات الأجنبية ويفسرها، ففي حديثه عن بدء النهضة الإسلامية وظهور الوعي الإسلامي في العصر الحديث يقول: " وكان من هذه الثمرات: الدعوة إلى صلاة الفجر في أحد المساجد الكبرى كل فترة معينة، وتولى الدعوة إليها الأخ شوكت الصحفي المعروف صاحب جريدة(بوجون) اليومية، و(بوجون) معناها اليوم "[٥] ومنه

---

(١) انظر التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٨

(٢) قطب، طفل من القرية، ٢

(٣) الكردي، عبد الرحيم، الراوي والنص القصصي، القاهرة ، دار النشر للجامعات، ط٢ ، ١٩٩٦، ١٦١

(٤) القرضاوي، ج٣، ١١٦

(٥) القرضاوي، ج٣، ١٢٥

أيضاً:" وكان الخوخ أو الدراق كما يسميه إخواننا في الشام، ويسمى بالتركية الشّفتلي من أجود الفواكه وأرخصها"[١]

الطنطاوي يحب الفصحى ولا يرضى عنها بديلاً، لذلك جاءت لغة الطنطاوي قوية واضحة وسهلة إلا أنه ينأى بنفسه عن الصنعة اللفظية والتكلف، يفعل ذلك متعمداً، حيث يقول:"لذلك كان أفضل ما كتبت- في رأيي-ما كنت أنطلق به على سجيتي وأساير طبعي فأكتب بلا تكلف، ويقرأ الناس ذلك بلا تعب، وأسوأ ما كتبته ما كنت أتصنع فيه وأحتشد له وأريد أن آتي بما أحسبه رائعاً"[٢] ومما أعجبني من ألفاظه تلك الألفاظ التي يصف بها حال العالم والجاهل حيث يقول:"وكم من أديب، أديب حقاً، قد طاعت له عصيّات الكلم، وذلت له العوالي من قطوف البلاغة، قد انزوى في خُصّه لا يدري به أحد، ودعيٌّ جاهل، لص معانٍ وصفّاف كلمات، قد جمع له المجد الأدبي من أطرافه فكان له الاسم السائر والمال الوافر! ومتمشيخ قد لبس مسوح الزاهدين واتّزر بإزار الصالحين، قد عرّض لحيته، وكوّر عمامته وأدلى عذبته، وطول سبحته، ودعا الناس إلى الزهد في الدنيا ونبذ الأموال ورمي النقود في الطرقات لأنها وسخ الدنيا، فلما أطاعوه ورموها خالفهم إليها فالتقطها..."[٣]

كما إنه يميل إلى إثبات الصحيح في المفردات ومن ذلك قوله:" أما الطريقة التجانية فقد عرفنا-بعد أن اطّلعنا على كتبنا واستقرينا(ولا نقل استقرأنا) أخبارها- أن موقعها من الفرنسيين في الشمال الأفريقي مثل موقع القاديانية في الهند من البريطانيين، كانوا أعواناً للاستعمار"[٤].

ويميل الطنطاوي كذلك إلى تعريب بعض الكلمات أو استخدام الكلمات المعربة بدلاً من الشائعة، يقول:"قعدت أكتب هذه الحلقة من الذكريات، وأمامي على الجدار تقويم أم القرى، وتحت يدي جريدة قديمة أقلبها، أشغل عقلي بها لينطلق عقلي الباطن حراً يفكر كما يريد، يعمل وحده كما يعمل المحساب (الكمبيوتر) إذا ألقيت إليه بأصول المسائل، يدور حتى يصل إلى جميع فروعها"[٥] فروعها"[٥] ويطلق لفظ الرادّ على الراديو، يقول:"ثم أصبحنا ذات يوم على صوت الرادّ (الراديو) يقول: إن الحرب في (الكسوة) على أبواب دمشق"[٦]

---

(١) القرضاوي، ج٣، ١٣٨

(٢) الطنطاوي، ذكريات، ج٥، ٤١

(٣) الطنطاوي، ج٨، ٨

(٤) الطنطاوي، ج٧، ٣٤

(٥) الطنطاوي، ذكريات، ج٨، ١١٧

(٦) الطنطاوي، ذكريات، ج٤، ٢٣٨

يذكر الطنطاوي بعض الكلمات التي يُظن أنها عامية وتستخدم كثيراً في العامية السورية، ثم يذكر أنها فصيحة ومن ذلك:"كان الناس يسألوني فيها أين نزلت؟ فأقول في (المشخ) على وزن (الملز)، وشتان ما بينهما! والملز كلمة فصيحة. قال جرير :

وابن اللبون إذا ما لزّ في قرنِ لم يستطع صولة البُزل القناعيس

والكلمة من عامي الشام الفصيح، وما أكثر الفصيح في العامية الشامية على قبح لهجتها وعلى رخاوة النطق بها، فيقول المعلم لتلاميذه(لزّوا السطور) أي قاربوا بعضها من بعض. فكلمة (الملزّ) لسباق الخيل عربية فصيحة، كما أن الكلمة مازحاً، كلمة (المشخ) فصيحة أيضاً، وما كل صحيح فصيح، ولا كل فصيح مليح"[١] يتعرض الطنطاوي لبعض الكلمات فيوضحها ومن ذلك قوله:"فلما كلفت بمشروع قانون الأحوال الشخصية (وهو الذي صدر عام ١٩٥٣م، وهو المعمول به إلى الآن في دمشق بعد تعديل طفيف) اضطررت إلى الرجوع إلى أمات الكتب ككتاب المغني، أمهات للناس وأمات للأشياء"[٢]. أو الألفاظ العامية : يقول عن نساء الشام: "من سننهن في الشام أنها مهما طالت الزيارة ومهما امتد الحديث فلابد للزائرات من وقفة وراء الباب للدردجة"[٣]

كما يميل الطنطاوي إلى إيراد بعض الألفاظ التركية التي كانت سائدة في عصر الخلافة الإسلامية ؛وذلك لأنه عاش تلك الفترة وتأثر بها ومنه قوله: "لم يكن قد نجم فينا (أعني الأمة الإسلامية) من يحارب ديننا بإضعاف لساننا فيستبدل بالحروف العربية الحروف اللاتينية كما فعلوا – من بعد– باللغة الاندونيسية، وكانت تكتب بالحروف العربية كنا نبدأ بحفظ كتاب صغير اسمه (أسماء تركية) أوله "تتري الله جل شأنه، بيغمبر النبي، أبدست الوضوء، نماز الصلاة... لا أزال أحفظه حتى الآن وكانت كلمة (تتري) تكتب تكري" كما تكتب كلمة بينبا شي (أي رئيس الألف) بكباشي، ولعل المؤرخ المصري (ابن تغري بردي) كان اسمه تتري ويردي أي عطاء الله..."[٤]

وإذا تأملنا لغة عبد العزيز الرنتيسي فنجدها واضحة وقوية ومباشرة في سيرته، ولقد مكث في سجون الاحتلال فترات طويلة لذلك فقد كان يستخدم بعض المفردات بالعبرية على أساس أنها لغة السجن ومنها:–

(١) الطنطاوي، ذكريات، ج٨، ١٨

(٢) الطنطاوي، ذكريات،ج٨، ٢١٤

(٣) الطنطاوي، ذكرات، ج١، ٣٧

(٤) الطنطاوي، ذكريات، ج١، ٧٤

١- المفوكسين: يقول عبد العزيز الرنتيسي:- "وفوجئت في آخر ليلة بمجيء نير إلى زنزانتي ليقول: يا دكتور أنت غداً سيتم الإفراج عنك، ثم قال: لقد طلب مني (المفوكسين) وهو مصطلح كان يطلقه المعتقلون على العملاء – أن يسلموا عليك فماذا نقول؟"[١]

٢- الفورة: يقول:- "كانت إدارة المعتقل تسمح لنا بالخروج إلى ساحة مغلقة في كل يوم ساعتين تسمى (الفورة) فيتمدد الشيخ مستنداً بظهره إلى الجدار – بينما كنت وزميلي نتمشى في الفورة"[٢]

٣- البرتوكول:-يقول عبد العزيز الرنتيسي"فقال نائبه: يا دكتور هنا يوجد برتوكول يجب أن يحترم فقلت له: ديني أولى بالاحترام"[٣]

أما زينب الغزالي فتتحدث الفصحى جيداً، وتمتاز لغتها بالفصاحة والقوة، ولكنها مالت للغة العامية حين وظفت الحوار كي تنقل إلينا صور الواقع الحقيقي للسجن الحربي،ومن ذلك قولها: قال شمس بدران: أنت حكيت هذه الحكاية لحسن الهضيبي. لماذا؟ نكت الناس بتقوليها وحكايات بترويها. قلت: جائز.. وإحنا من الناس فيها حاجة دي ؟! وعملت السياط عملها"[٤]، ومن ذلك أيضاً: "خرجنا من ذلك الطابور، وأخذت حميدة معي فقالت السجانة رايحين فين؟ انتظروا لما ييجي دوركم. قلت لها: سنقف وحدنا، ولسنا من هذا الإيراد قالت: بتقولي إيه يا ادلعدي؟ قلت: سنقف وحدنا. قالت: معلهش ودول مش خلق الله زيكم؟![٥]ولقد وردت بعض الألفاظ الشائعة في السجون المصرية منها:

١- الهليتون: ولا يقصد به الفندق، وإنما يقصد به جزء من السجن هيئ لمجموعة من الناس يتميز عن غيره من أقسام السجن بما فيه من خدمات، تقول: "وفي الناحية الأخرى من المبنى توجد بعض النساء اللائي لم نعرف جنسيتهن في حجرات نظيفة مفروشة ومزينة، وتوجد في هذه الناحية أيضاً دورة مياه صحية، علمنا ذلك لأن كل من هنا يسمون ذلك الجانب الهليتون"[٦].

---

(١) الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ٤٣

(٢) الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ٤٥

(٣) الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ٤٠

(٤) الغزالي، أيام من حياتي، ١٧١

(٥) الغزالي، أيام من حياتي، ٢٢٨

(٦) الغزالي، أيام من حياتي، ٢٣١

٢- الإيراد: ويقصد به في السجن السجناء الجدد، تقول الكاتبة: "وسمعت السجانة تقف على باب الحجرة وتصيح الإيراد النهاردة خمسة وأربعين، خمسة وعشرين تسول، خمستاشر دعارة، وثلاثة سرقة، واثنين سياسيين.. تعني بالسياسيين أنا وحميدة"[١].(وتقصد الكاتبة حميدة قطب أخت الشهيد سيد قطب)

٣- قروانة:ويقصد بها الإناء الذي يوضع به الحساء أو الطعام، تقول الكاتبة:" وفتح باب الزنزانة فجأة فانقطع ما بيننا من حديث، ودخل الشيطان الأسود وبيده ثلاثة أرغفة من الخبز و(قروانة) صفيح بها فاصوليا مسلوقة أخذتها منه علية، وأغلق الباب"[٢]

٤- قيزان: وهو إناء كبير يوضع فيه طعام السجناء. تقول الكاتبة:" فرأيت جماعة من الإخوان، يقفون طابوراً طويلاً بيد كل واحد قروانة من الصفيح يتقدم بها إلى جندي، فيغرف هذا الأخير من (قيزان) أمامه شيئاً غريباً ويصبه في القروانة الصفيح"[٣] .

٥- الشفخانة: مستشفى السجن، تقول الكاتبة: "مكثت يوماً في المستشفى (أو الشفخانة كما يطلقون عليها) وسعدت لا لأني بعدت عن التعذيب، فالتعذيب في جسمي ضارب أنيابه ولكني سعدت من تغيير المكان"[٤]

تستخدم زينب الغزالي التعبيرات الشائعة في العامية المصرية، منها على سبيل المثال (يا نهار اسود) تقول:"وبعد فترة دخل رجل وبيده سوط وكان ما يميزه أن حب الشباب يملأ وجهه . قال: قفي يا بت .. من أنت؟ قلت: زينب الغزالي الجبيلي قال: يا نهار أسود تبقي دي ليلتك الأخيرة ما دمت حضرت هنا"[٥]

تبتعد زينب الغزالي عن الألفاظ التي تخدش الحياء أو التي تخرج عن الآداب العامة، وتستخدم علامة الحذف عوضاً عن ذلك، تقول: "وقال وهو يضرب بالسوط الذي في يده على الحائط وأرض الزنزانة: قومي يا بنت الـ .. روحي المراحيض"[٦]

---

(١) الغزالي، أيام من حياتي، ٢٢٨

(٢) الغزالي، أيام من حياتي، ٧٩

(٣) الغزالي، أيام من حياتي، ١٢٧

(٤) الغزالي، أيام من حياتي، ١٢٨

(٥) الغزالي، أيام من حياتي، ٩١

(٦) الغزالي، أيام من حياتي، ٦٤

وتقول في مناسبة أخرى:" قال في وحشية والجاهلية تغطي عليه وعلى المكان: ادخلي يا بنت الـ.. أمال أحنا حنحرسكم إزاي يا أولاد الـ .."[١]

الكاتب والأديب نجيب الكيلاني استخدم التعبيرات الدارجة في العامية خاصةً في الحوار ومن ذلك قوله عند حديثه عن الشيخ محمد العوضي أحد المعتقلين:"وكان له من الأولاد ستة والمعاش الشهري قليل لا يكفي الأولاد وأمهم.. ولهذا لجأت الزوجة إلى فتح محل صغير لبيع البقالة.. وكلما سألها أحد عن حالها قالت: أهي ماشية والحمد لله)..."[٢]

يستخدم القرضاوي أحياناً جملاً استفهامية متتالية معبراً عن حالة شعورية كما في قوله: "يا للمأساة! أنأتي لنشم الهواء، فنضيع ابنتنا وفلذة كبدنا، ما أقساه من شعور، وما أمره من إحساس! أخطفت البنت أم تاهت؟ وأين تاهت؟ وكيف نجدها؟ هل يمكن أن تضيع البنت منا ولا تعود؟ ياللهول! أنسافر بابنتنا وهي ملء السمع والبصر ثم نعود بغيرها؟ والأدهى من ذلك والأمر: أننا لا نعرف مصيرها: أفي الأحياء أم في الأموات؟"[٣]

ومن ذلك قوله: "ألم يجاهد الطفل الصغير والمرأة العجوز، والشيخ الفاني؟ ألم تمتلئ السجون (والخطاب كله للفرنسيين) بالأبرياء؟ ألم تضيق المقابر بالشهداء؟ فهل تكلم تاريخكم؟ هل عرفتم لهذا الشعب حقه؟ هل قدرتم لهم تضحيته؟"[٤] كما يكثر من توظيف أسلوب النداء فيما يشبه يشبه المناجاة ومن ذلك:" يا ربوعاً تركت فيها قطعاً من حياتي، وخلفت فيها بقايا من فؤادي"[٥]

الطنطاوي يميل إلى توظيف المقابلة والتضاد كثيراّ ومنه قوله:"وكم من سرير لميت يحف به أهله يبكون، ومضجع لعروسين أحاط بهما الأقرباء يضحكون، ومن يبيت يتبرم بالولد، ومن يتألم من العقم، وشاك من التخمة، وباك من الجوع، ومسرور يتمنى لو طال الليل ومنكود موجع ينتظر النهار"[٦]

---

(١) الغزالي، أيام من حياتي، ٦٣

(٢) الكيلاني ذكريات، ج٥، ٤٥٠

(٣) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ١٥٨.

(٤) الطنطاوي، ذكريات، ج٣، ٣٣٨

(٥) الطنطاوي، ذكريات، ج٣، ٢٩٨

(٦) لطنطاوي، ذكريات، ج٨، ٨

ومن ذلك أيضاً قوله: "انظروا إلى هذا الكون تروا فيه نهاراً مضيئاً وليلاً مظلماً وربيعاً ضاحكاً بالزهر، وشتاءً باكياً بالمطر، ووروداً وشوكاً وتروا في الناس إيماناً وكفراً، وفضيلة ورذيلة، ونقصاً وشيئاً يشبه الكمال.."[١]

اللغة الأدبية:

وظف بعض كتاب السيرة الأساليب الأدبية في معادلة صعبة بين الخيال والواقع، والحقيقة أن الخيال في السيرة مقيد بالوثائق والبيانات والوقائع التي حدثت فعلاً، ودوره ينحصر في إحياء الوقائع وتشخيصها، فالطنطاوي مثلاً لديه قدرة فائقة على توظيف التشبيه بأنواعه ومنه قوله: "أرأيتم الضال في الصحراء يمشي وحيداً حائراً قد هده الجوع وبرّح به العطش، والشمس تتلظى أشعتها ناراً والرمال تتسعر جمراً، ثم وجد الواحة الخضراء فيها الظل والماء وفيها النخيل المحمل بالتمر، وفيها الحياة وفيها النعيم؟هذا مثال الحج في هذه الأيام التي فسدت فيها الأرض كلها أو جلها وضل أكثر أهلها طريق الفلاح."[٢]ومنه أيضاً: "الشجرة يظهر ساقها وتبدو فروعها، ولكنها تخفي في الأرض مثلها جذوراً ممتدة لولاها لما قام الساق ولا امتدت الفروع، كذلك نجد للأحداث أسباباً بادية لعلها تكون أحياناً تافهة، وأسباباً خفية لولاها لما كان هذا الحدث"[٣] ومن ذلك أيضاً وصفه للقنابل في الحرب العالمية وأثرها على دمشق: "والمدافع تنطلق، والقنابل تتوالى، وتتعاقب كالغيث إذا انهمر، وكان أمر لا يوصف"[٤]. ولكن الكاتب لم يوفق في تشبيه القنابل بالغيث، فالغيث لا يأتي إلا بخير بخير ولو قال كالمطر لكان أفضل، وعند حديثه عن أثر الكتابة وقيمة الكلمة في إيضاح الحق يقول: "فجردت القلم ودخلت المعركة بكلمة حامية تشتعل حروفها ناراً"[٥]

كما أن سيد قطب لديه قدرة عظيمة على التصوير ومن ذلك قوله أثناء حديثه عن الخلل الفكري والعقائدي عند أهل القرية فيما يختص بالعفاريت:"العفريت يظهر في كل مكان.! فهل هم أسرع من العفاريت وأقوى؟ لا فائدة.. لا فائدة..! ولكن قلوبهم تكاد تسقط، ومفاصلهم تكاد تسيب، وريقهم قد جف، فلم يعد فيه ما يكفي لتحريك اللسان، وهم يجمعون هذا الريق ويبلعونه لتطرية حلوقهم من هذا الجفاف، وعيونهم شاخصة إلى هذا الرجل المهيب"[٦]."والرنتيسي يميل أيضاً إلى

---

(١) الطنطاوي، ذكريات، ج٤، ٢٦٩

(٢) الطنطاوي، ذكريات، ج٣، ٢١٢-٢١٣

(٣) ا لطنطاوي، ذكريات، ج٣١،٧-٣٢

(٤) الطنطاوي، ذكريات، ج٤، ٢٣٩

(٥) الطنطاوي، ذكريات، ج٧، ٤١

(٦) قطب، طفل من القرية، ٤

التصوير ومن ذلك قوله: "وقد غلف اليهود جرائمهم بحق شعبنا المعذب على أيديهم بغلاف توراني أسطوري"[١] وقوله أيضاً:"ولكن الصهاينة الذين اغتصبوا الوطن وشردوا أهله وضعونا بين فكي الفقر يطحننا طحناً"[٢]

يقول التلمساني مصوراً ضعفه ووهنه في شيخوخته وكبره :"ورغم تحالف الأمراض على هذا الجسد الذي باضت عليه صقور الدهر، وأفرخت نسوره"[٣]

يمكن القول إن كتاب السير لم يعتمدوا على التصوير والخيال؛ لأنهم يتحدثون عن وقائع وأحداث عاشوها بأنفسهم، وبالرغم من ذلك فإن القدرات الفنية عند الكاتب تطغى عليه فيميل إلى استخدام الخيال.

كثيراً ما يوظف الطنطاوي **التكرار** تأكيداً للمعنى ومنه قوله: " فجمال ريا الياسمين، وجمال أريج الورود، وجمال عبق الزنبق، وجمال روح الفل، وجمال البيات والرصد والحجاز والصبا، والعود والقانون والناي والكمان، وجمال القصة المؤثرة والحكمة المتخيرة"[٤] ويعمد الطنطاوي كذلك إلى تكرار الموضوعات فنراه يذكر موضوعاً أو موقفاً محدداً ثم يعود فيذكره مرة أخرى بعد صفحات عدة دون أن ينتبه لذلك حيناً، أو يعمد إليه قاصداً فينبه لذلك، وأعتقد أن كبر السن والنسيان هما السبب في ذلك، وهو يقر بهذا ويعترف به حيث يقول:ولقد ذكرت الآن وأنا أملي هذا المقال أني كتبت هذا من قبل، فإن كنت فعلت فسامحوني، فإن الشيوخ يكررون الأحاديث"[٥].

أما القرضاوي فيميل إلى تكرار بعض الموضوعات مجملة بعد أن يكون قد تحدث عنها تفصيلاً حسب السنوات التي حدثت فيها، فإذا تحدث عن شخص بعينه كرر ما قاله في مناسبات سابقة عن نفس الشخص، فمثلاً عندما تحدث عن حسن الهضيبي تحدث عنه في الجزء الأول والثاني في مناسبات عدّة وبالتفصيل حسب المواقف ولكنه في الجزء الثاني تحدث عنه مارّاً بكل المواقف في السنوات السابقة"[٦] ومنه أيضاً ما قاله عن عبد الناصر: "وقال بصراحة للإخوان: إنه يريد أن يضغط على زر فتتحرك مصر من الإسكندرية إلى أسوان ويضغط على زر آخر فتتوقف

---

(١) الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ٢٩

(٢) الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ٣٠.

(٣) الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ١١

(٤) الطنطاوي، ج٥، ٨

(٥) الطنطاوي، ذكريات، ج٨، ٣٣٨

(٦) انظر،الطنطاوي، ذكريات، ج٣، ٢٩٤ – ٢٩٨

مصر من الإسكندرية إلى أسوان"[١] وقد ذكر نفس المقولة لعبد الناصر أكثر من مرة في كتابه ومنه أيضاً في إطار حديثه عن سنغافورة يقول: "وقد تمكنوا – أي اليهود الصينيين في سنغافورة من تحقيق مطلبهم في عهد رئيس الوزراء الماليزي المعروف: تنكو عبد الرحمن، الذي صدر في عهده قرارات في غاية الخطورة، ومنها استقلال سنغافورة عن ماليزيا.. والثاني.. إعطاء الجنسية الماليزية للصينيين والهندوس بعد عشرين سنة"[٢]، وقد ذكر ذلك في الجزء الثاني في معرض حديثه عن الزيارة الأولى لبلاد الشرق الأقصى.[٣]

(١) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ٣٠٠

(٢) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ٦٦

(٣) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ٣١٤ – ٣١٥

الأسلوب

كل كاتب له أسلوب يختلف عن الآخرين (فالأسلوب هو الرجل)، وهو كبصمة الأصبع يصعب أن تنسخه، ويوضح على عودة معنى الأسلوب بقوله: " يتضح الاختلاف بين النقاد في إعطاء الأسلوب تعريفاً محدداً وواضحاً إلا أن معظم الآراء تؤكد على أن الأسلوب يشمل: اللغة، والتكنيك، أي: طريقة القص الروائي"[١].

والسيرة الذاتية لا تختلف كثيراً عن الرواية في الأسلوب وإن كان لكل كاتب أسلوبه الذي يميزه عن غيره من الكتاب،" عندما يروي لك أحد الناس خبراً فإن اللغة التي يستخدمها سوف تختلف عن لغة إنسان آخر يروي لك الخبر نفسه، وذلك لأن كل إنسان له قاموس لغوي خاص، وله طريقة خاصة في تركيب الجمل وترتيبها تبعاً لاختلاف القدرات واختلاف التعليم والثقافة والمهنة والطبقة الاجتماعية وغير ذلك من المؤثرات"[٢] و" يعترف لوجون في هذا الصدد بأن الارتباط بالتحليل الداخلي للنص لا يمكن أن يبرز أي خصائص مميزة للسيرة الذاتية تفصلها بشكل واضح عن الأنواع القريبة منها كرواية السيرة الذاتية فعلاً"[٣]

والأسلوب في الأدب الملتزم هو الذي يربط الأديب المنتج والنص الأدبي والمتلقي جمهوراً أو ناقداً أو مستمعاً وهو أسلوب منضبط بقواعد الإيمان، وهو أسلوب يبرز الجمال الفني، أي أنه يجمع الخصائص الإيمانية والفنية معاً ليبنيا الجمال الفني المتميز المؤثر، الجمال الذي يقدم المتعة الدائمة التي تملأ حس الإنسان الطاهر[٤]، "ويمكن إجمال صفات الأسلوب بثلاث صفات:

- وضوح الفكرة وجلاء معانيها.
- قوة التعبير الموحي عن انفعال حاد لذهنية الأديب.
- الجمال في عرض الصور في الألفاظ الدالة باتجاهيها الذاتي والموضوعي."[٥]

وإذا أبحرنا في أساليب كتاب السير موضوع بحثي فإنني أجد أن الطنطاوي عالم جليل قضى معظم ليله ونهاره في البحث والعلم والعمل في سبيل الإسلام، دار في أنحاء العالم الشرقي

---

(١) عودة، علي، الفن الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، ٢٠٠٢م ، ٩٤

(٢) الكردي، عبد الرحيم، الراوي والنص القصصي، ١٦٠

(٣) لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي ، ترجمة وتقديم عمر حلي، ط١، ١٩٩٤م.

(٤) انظر، النحوي، عدنان، الأسلوب والأسلوبية، دار النحوي للنشر والتوزيع، ط١ ١٩٩٩م، ٢٧٨-٢٧٩

(٥) ثويني، حميد أدم، فن الأسلوب، الاردن عمان، دار صفاء للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٦م.٢٣

والغربي بهدف واحد خدمة الدين، لذلك فقد ظهرت شخصيته في أسلوبه، ومن خلال كلماته نكاد نراه بكل ما تميز به من صفات فهو شخص معتدٌّ بنفسه عنيد في الحق لا يخاف لومة لائم، إذا اقتنع بشيء ما فإنه ينفذه، يحب أن يتبع روح القانون لا رسمه، فهو قاضٍ وهو إعلامي ناجح وهو كاتب ماهر له أسلوب يميزه، و ثقافة الطنطاوي أثرت على طريقة كتابته وعلى أسلوبه، يقول:" فهل أقدر أن أحصي كم قرأت من الصحف، وكم لقيت من الناس، وكم رأيت من المسرات والأحزان، وكم قصدت من الأقاليم والبلدان، كان لكل ذلك أثر في تفكيري وفي مشاعري وفي أسلوبي"[١] وللطنطاوي رأي في الأسلوب حيث يقول:" لذلك كان أفضل ما كتبت –في رأيي– ما كنت أنطلق به على سجيتي وأساير طبعي، فأكتب بلا تكلف ويقرأ الناس ذلك بلا تعب، وأسوأ ما كتبته ما كنت أتصنع فيه، وأحتشد له وأريد أن آتي بما أحسبه رائعاً فأتعب أنا بكتابته ويتعب القارئ بقراءته"[٢]

لذلك فقد تميز أسلوب علي الطنطاوي في سيرته بما يلي:

١- يمزج الطنطاوي بين الوصف والسرد والحوار إلا أنه أكثر من السرد والوصف فكان جل كتابه الذكريات منهما، وكان مقلاً جداً في الحوار حتى لا نكاد نلمح حواره إلا لماماً.

٢- يعتبر الاستطراد صفة مميزة لأسلوب الطنطاوي، وقد ظهر عنده في جميع أجزاء الكتاب وهو يعي ذلك، يقول:"وهذا استطراد، وعيبي الاستطراد لا أستطيع منه فكاكاً فاحتملوه مني"[٣]، ويرجع سبب الاستطراد عنده إلى ثقافته العربية حيث يقول:" وأنا كجميع من أدمن قراءة كتب الأدب العربي القديمة لاسيما كتب الجاحظ، مولع بالاستطراد، ولعل من أسباب ذلك أنني أجد في ذهني بحمد الله الكثير وأنني أحب أن أنقل للقارئ كل ما أجد في ذهني"[٤]

٣- يغلب على الطنطاوي في كتابته تخصصه العلمي، ووظيفته –كقاضٍ– التي برع بها فكثيراً، ما تحدث عن مسائل فقهية والخلاف بين المذاهب أو الخلاف بين العلماء المحدثين حولها، ومنه قضية الوصية الواجبة وقضية الوصية للوارث[٥]

---

(١) الطنطاوي، ذكريات، ج٥، ٤٠

(٢) الطنطاوي، ذكريات، ج٥،٤١

(٣) الطنطاوي، ذكريات، ج٧، ١٢٦

(٤) الطنطاوي، ذكريات، ج٨، ٣١٢

(٥) الطنطاوي، ذكريات، ج١٢٦،٧-١٣٢

٤- يتحدث الطنطاوي عن شخص ما يهمه أمره بصفة الغائب، ثم يلتفت فيتحدث إليه مستخدماً أسلوب المخاطب، ومنه قوله متحدثاً عن أبي الحسن الندوي:وقد وجدت عند أبي الحسن الندوي وندوة العلماء النافع من هذه الطرق كلها فهم يتخذون وسيلة التعليم وهي أصدق الوسائل التي يتوسل بها الدعاة، وإن كان ثمرها قد يتأخر في الظهور ولكنه مضمون...(ثم يلتفت إليه مخاطباً) فيا أخي أبا الحسن، اثبت أنت وجماعتك على ما أنتم عليه، فإنني لا أعرف اليوم في أساليب الدعاة من هو أصح منكم أسلوباً، واعذرني إذا لم أكتب المقدمة التي أمرتني بها"[١] ويستمر في هذا الحديث وكأنه يريد أن يرسل لأبي الحسن الندوي رسالة اعتذار من خلال هذه المذكرات.

٥- يتحدث الطنطاوي عن مواضيع بعيدة كل البعد عن ذكرياته الخاصة متعمداً، وهو يقر بذلك في الجزء الثامن من الكتاب قائلاً:"أتروني خرجت عن موضوع الذكريات؟ إذن فقولوا للجريدة تبدل الموضوع، أنا لا أريد أن أقتصر في ذكرياتي على رواية ما فعلت ولا ما رأيت وما سمعت،فإن فيما أستطرد إليه وأتكلم عنه أحياناً فيه ما هو أنفع للقراء من ذكرياتي"[٢]

٦- خرج الطنطاوي عن مذهبه في كتابة الذكريات – أي سرد قصص حياته الشخصية وقصص أمته – إلى كتابة كتاب داخل الذكريات بل ربما عدة كتب، كتاب عن الثقافة وآخر عن الفقه، وواحد عن السياسة، وهو يقر بذلك ولا يعيبه، حيث يقول: "أحاول في هذه الذكريات ألا أقصر القول على ما كان مني أو ما وقع لي، بل أضمنها شيئاً من الأدب يلذّ ويمتع أو قليلاً من العلم يفيد وينفع، وقد تعلمت هذا الأسلوب من الإمام السُّبكي في طبقات الشافعية"[٣]

٧- ويرى أن الحديث عن الفقه وتفصيلاته حديثٌ مملٌ للقارئ ورغم ذلك يتحدث طويلاً عن بعض القضايا الفقهية حيث يقول:"أبدأ هذه الحلقة بإنذار، لا أنذركم خطراً محققاً ولكن مللاً متوقعاً وسآمة وضيقاً، ذلك أن هذه الحلقة جاءت فقهية علمية إنها كطعام كله لحم ودهن وبروتينات ومغذيات ، ولكن ليس معه أباريز أو

---

(١) الطنطاوي، ذكريات، ج٨، ١١٣-١١٤

(٢) الطنطاوي، ذكريات، ج٥،

(٣) الطنطاوي، ذكريات، ج٧، ٧٧

مشهيات، فمن صبر عليه استفاد إن شاء الله منه، ومن لا يصبر فليبتعد عنه وسيجد العوض في الحلقات المقبلات"[١]

٨- يغلب على الطنطاوي أسلوب الخطابة نظراً لأنه عاش عمره كله وهو يدافع عن الإسلام بلسانه معلماً حيناً وخطيباً أحياناً أخرى، ففي الجزء الثامن يتحدث عن يوم الجلاء عن سوريا في ستة عشرة صفحة يتخيل للقارئ أن الطنطاوي يقف على منصة عالية وأهل سوريا كلهم أمامه، وهو يخطب وينافح عن الدين والإسلام، ويدافع عن وطنه سوريا"[٢]، ومن ذلك أيضاً قوله: "فيا أيها الشباب عليكم بالرياضة فهي قوة، والقوة زينة الرجال: قوة الجسم وقوة العقل وقوة الأوقات بعد أداء حق الله عليك بالعبادة وحق العقل بالدراسة"[٣]

٩- وبالرغم من أن **علي الطنطاوي** انطوائياً – كما يعترف هو – فإنه كاتب طريف لديه روح النكتة ومن ذلك قوله:- "واسم أمي رئيفة بنت الشيخ أبي الفتح الخطيب شقيقة الأستاذ محب الدين الخطيب، أما كيف تزوجت بها فأنا أمتنع عن ذكره لماذا؟ لأنني لا أدريه! لا تعجبوا إذا قلت لكم إن الغرباء دعوا إلى يوم حضور العقد، وأنا ولدها، لم أدع إليه. إي والله. لم أدع إليه... ولم أعلم به إلا بعد إتمامه بزمنٍ طويل"[٤]

١٠- يعد الطنطاوي نفسه مصلحاً ومرشداً ويغلب عليه هذه الجانب فيبدأ في تقديم النصائح والإرشادات ومن ذلك قوله:" تقولون لقد خرجت عن الموضوع... نعم وأن هذه لم تعد ذكريات وإنما صارت مواعظ... نعم هذا صحيح. ولكن من قال لكم إن المواعظ مذمومة دائماً وإنه يجب الإعراض عنها وتركها دائماً، ولو توقفت عليها حياتنا وسعادتنا ورضا ربنا"[٥]

أما يوسف القرضاوي فهو كاتب له العديد من الكتب العامة والمتخصصة، وشاعر كتب ديوان نفحات ولفحات الذي عبر فيه عن هموم الأمة العربية والإسلامية ، ولقد تعدت شهرة القرضاوي حدود مصر والعالم العربي والإسلامي، وقد تميز أسلوبه بما يلي:

---

(١) الطنطاوي، ذكريات، ج٧، ٧٨-٧٩

(٢) انظر الطنطاوي، ذكريات،ج٨، ٢٧٣-٢٨٩

(٣) الطنطاوي، ذكريات،ج٣، ١٧٨

(٤) الطنطاوي ج١، ٢٥٨

(٥) الطنطاوي ج٤، ٢٩٤

١- يميل إلى تسجيل بعض الرسائل أو الموضوعات أو الكلمات المؤثرة التي كان قد كتبها سابقاً في شبابه ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر كتابة مقالة عن الأزهر (ص٢٦ – ص٣٢) من الجزء الثالث

٢- القرضاوي يميل إلى النكات الهادفة ومنها قوله "وذكرنا النكتة التي قالها أحد الظرفاء أن أحدهم كان في لندن وهو لا يعرف غير العربية، ويريد أحدا يعرف العربية يسأله عن شيء، فوقف أمام إحدى السينمات والناس خارجون، يقول لكل من يواجهه: أنت رجل حمار! والناس يمرون عليه، ويسمعون هذه الكلمة ولا يعيرونه التفاتا، إلى أن مر عليه أحدهم، فقال له: أنت رجل حمار! فقال: أنت ستين حمار! فهناك أمسك به وقال له: إياك أريد، فأنا ما قصدت شتمك إنما أردت اكتشافك"[١]، ويذكرها في السياق ليبين أهمية اللغة.

٣- لو أردت أن أصف كتاب القرضاوي أرى أنه كتابًا يجمع بين الفقه واللغة والتفسير والحديث وعلم الاجتماع، فمثلا عندما يتحدث عن قطر ينقلب إلى عالما في الاجتماع فيصف الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية في عشر صفحات[٢].

أسلوب حماد الحسنات في كتابه ذكريات مرج الزهور يتصف بما يلي:

١- يذكر الأحداث بالتفصيل فبالرغم من أن الفترة الزمنية التي تعرض لها في كتابه فترة قصيرة لا تتعدى عدة أشهر من عمره إلا أنها استهلكت عدداً لا بأس به من الصفحات في حين إن أشهراً بل سنين لم تستهلك هذا الكم من الصفحات عند كتاب السيرة الآخرين.

٢- يميل الكاتب إلى تحديد الأماكن جغرافياً مستعيناً بالخريطة، وربما غلبت عليه دارسته حيث أنه تخصص في الجغرافيا.

٣- يستخدم الكاتب اللغة البسيطة السهلة الواضحة والمباشرة.

٤- يعتمد الكاتب على الصور الفوتغرافية لتوضيح بعض المعلومات أو المواقف أو الأنشطة؛ لذلك نرى الصور متناثرة في ثنايا الكتاب.

٥- يمزج الكاتب بين الشعر والنثر في كتابه، ويورد كثيراً من الأشعار التي نظمها وهو مبعد في مرج الزهور.

---

(١) القرضاوي، ج٣، ص١١٩

(٢) انظر القرضاوي، ج٢، ص٣٥١ – ٢٦٠

نجيب الكيلاني له أسلوب أدبي ممتع في كتابه المذكرات، يتميز فيه بأنه:

١. يميل إلى التحليل في كل قضية يتعرض لها، حيث يشرح القضية ويضع الأسباب ومن ذلك تحليله لدنيا الأدب والأدباء في الجزء الرابع، حيث وضع عشر ملاحظات كانت إطاراً يوضح الوضع الأدبي القائم، والأسباب التي أدت إلى تردي الأدب مقارنة بالفترة التي سبقت ثورة ١٩٥٢م"[١]

٢. يميل إلى إظهار وجهة نظره فيما يتطرق إليه من قضايا، ومن ذلك ما ذكره عن نظام الإقطاع في مصر بعد الثورة حيث يقول: "وقد عانى الفلاحون الكثير من العناء والتعاسة من هذا الأسلوب الخبيث الجائر، وكانت الأراضي المستأجرة في غالبيتها تخص أثرياء من خارج القرية"[٢]

٣. يلجأ الكيلاني إلى إيضاح الشيء وضده، ويقارن بين الماضي والحاضر فمثلاً عند حديثه عن الوضع الاجتماعي والصحي في القرية قارن بين الوضع قديماً والوضع حديثاً"[٣]

توظيف التراث:-

توظيف التراث الديني لاحظته بكثرة عند كتاب السير الذاتية المنتقاة حيث وظفوا الاقتباس من القرآن الكريم، والاقتباس من الحديث الشريف، كما وظفوا الاقتباس من أقوال العلماء والصالحين، واهتموا أيضًا باقتباس الحكم والأمثال والأشعار الملائمة حسب ما يقتضيه الموقف، لذلك فالنص "يمكن أن يكون عبارة عن لوحة فسيفسائية مليئة بالاقتباسات"[٤]

١- القرآن الكريم:

ولقد تميز كتاب السيرة الإسلاميين بتوظيف الاقتباس من القرآن الكريم، واستشهدوا بالآيات القرآنية في كل حديث وفي كل موقف، ويرجع السبب في ذلك إلى ثقافتهم الإسلامية وحفظهم للقرآن كله أو حفظهم لأجزاء منه

---

(١) انظر الكيلاني، مذكرات،ج٤ ص٣٠٩ – ٣١٢

(٢) انظر، الكيلاني، مذكرات ،٣٧

(٣) انظر، الكيلاني ،مذكرات، ٦٢ – ٦٣

(٤) ربايعة، موسى، جماليات الأسلوب والتلقي ص١٠٩، دار جرير، طبعة الأولى، ٢٠٠٨م

فمثلاً تأثرت زينب الغزالي بالقرآن الكريم، وتضمنت سيرتها كثيرا من الآيات القرآنية ومن ذلك قولها: "ثم يقول متعجباً بعد كل ما جرى عليك ولك؟؟!! فأرد: قال الله تعالى: (قتل أصحاب الأخدود) البروج: ٤ والذين قتلوا أصحاب الأخدود كانوا مجانين بالباطل والزور والبهتان"[١]، ومنه أيضاً قول القرضاوي:- "وإن كنت قد لاحظت أن بعض الطلاب يستعينون بآخر يكتبون لهم البحوث من ألفها إلى يائها، وكثيراً ما يعرف هذا بسؤال الطالب في بعض ما كتبه في بحثه، فإذا هو لا يعرف عنه شيئاً كمثل الحمار يحمل أسفاراً"[٢]متأثراً بقوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }الجمعة،٥ القرضاوي كاتباً حافظاً للقرآن الكريم لذلك نراه غالبا ما يستشهد بآيات من القرآن، ففي رسالته إلى إخوانه في الأزهر يقول: "عليك أن تزيل الغشاوات عن العيون لترى، والسواد عن الآذان لتسمع، والأكنة عن القلوب لتفقه، مستعيناً بالله، متوكلاً عليه، معلناً في الناس: "ففروا إلى الله فإني لكم نذير مبين" الذاريات: ٥٠"[٣]

ومنه أيضاً قوله: "وأعتقد أن تسمية المصريين للحليب(لبناً) تسمية صحيحة، وهي تسمية قرآنية فقد قال تعالى: {وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَآئِغاً لِلشَّارِبِينَ } النحل ٦٦"[٤]، ويقول أيضاً "وركبنا لأول مرة: هذا النوع من البواخر التي تنقل الركاب من شاطئ إلى شاطئ، وكانت رحلة ممتعة بعد المغرب، ونحن نشق عباب البوسفور في هذا الجو المنعش، ونسمات البحر تهب علينا، وقد قلنا عندما ركبناها ما قاله سيدنا نوح عليه السلام حينما ركب سفينته وقال لمن معه: {وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ }هود٤١"[٥]، ومنه أيضا قوله "وأنا امرؤ أعشق الجمال في كل شيء، وخصوصا جمال الطبيعة، التي رسمت لوحتها بيد الرب الأعلى الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، هذا الجمال الذي أراه بعيني رأسي مجسدا في الجبال الخضراء والمياه الزرقاء، والحدائق الغناء، والجوامع الشامخة، والقلاع الشاهقة، والمتاحف الناطقة، فتطربني هذه المشاهد، كما يطرب المرء لسماع البلابل، وألحان العنادل، ولا غرو أن يطرب المؤمن للجمال يشاهده"[٦] متأثراً بقوله تعالى: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا

---

(١) الغزالي، أيام من حياتي،ص١٤٥

(٢) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ٣٠٦.

(٣) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ج٢، ٣٠.

(٤) القرضاوي، ابن القرية والكتاب ،ج٣، ١١٦

(٥) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ج٣، ١٢١

(٦) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ج٣، ١٤٢

كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ }البقرة١٤٤

تأثر الرنتيسي بالقرآن الكريم خاصة أنه أتم حفظه أثناء اعتقاله.ومن ذلك قوله:- "أينما وليت شطر ذكريات مررت بخيرها وشرها، وحلوها ومرها، وجدت أن المعاناة الناجمة عن احتلال فلسطين تصبغ كل شيء"[١] ومنه قوله: "وفجأة بعد منتصف ليلة الجمعة الخامس عشر يناير ١٩٨٨م أي بعد ٣٧يوماً من اندلاع الانتفاضة إذا بقوات كبيرة جداً من جنود الاحتلال تحاصر البيت، بعض الجنود تسوروا جدران فناء البيت بينما عدد آخر منهم أخذوا يحطمون الباب الخارجي":[٢] متأثراً بقوله تعالى {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ }ص٢١: ويقول: "وتنفس الصباح، واشتعلت الأرض إن دخلنا الخيام فكأنها حمامات شمسية، وإن خرجنا من الخيام شعرنا كأن جهنم تحيط بنا من كل جانب"متأثراً من قوله عز وجل: {وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ }التكوير١٨

يتحدث الرنتيسي عن عدم وصول أهله في وقت الزيارة، فقلق عليهم ثم انتحى جانباً وبدأ يدعو الله "اللهم إن كنت راضياً عن خدمتي للشيخ فطمئني على أهلي" فو الذي فطر السماء والأرض إذا بشرطي يناديني ويداي مرفوعتان ليقول: تعال للزيارة فقد حضر أهلك"[٣] {إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }الأنعام٧٩ ويقول: "ثم رجوت من حولي أن يعطوني فرصة للقرفصاء وقد فعلوا رغم شدة الزحام، وما هي إلا ثوانٍ قليلة حتى أخذتني سنة من نوم"[٤] {اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ} البقرة ٢٥٥

ومنه أيضاً قوله:"عندما أقمنا في هذا الموقع توجس الناس منا خيفة ومعهم كل الحق في ذلك فقد شاهدوا بعض الممارسات السيئة لبعض الفلسطينيين"[٥]متأثراً بقوله تعالى: {فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ }هود٧٠

كما تأثر كتابنا بالقصص القرآني كقصة يوسف عليه السلام ومن ذلك قول يوسف القرضاوي:"عرفت في القرآن كيف رد الله يوسف على يعقوب، وكيف كشف الضر عن أيوب،

---

(١) الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ٢٩

(٢) الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ٣٧

(٣) الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ٤٦

(٤) الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ٥١

(٥) الرنتيسي، مذكرات الشهيد، ٥٥

وكيف نجى ذا النون (يوسف) من بطن الحوت، حيث نادي في الظلمات: أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين"[١]

٢- الحديث الشريف:

يميل كتاب السيرة الإسلامية إلى تضمين الحديث الشريف في كتابتهم ومنها على سبيل المثال **لا** الحصر،وقول القرضاوي:"وكان الجمهور الأعظم من القرية يكونون طبقة الأهالي، التي تشتمل على الفلاحين والحرفيين والعمال وصغار التجار، وهم الذين على سواعدهم تقوم حياة القرية، وهم الذين نبه عليهم الحديث النبوي الصحيح: (هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم؟) رواه البخاري عن سعد ٢٨٦٩- فأشار الحديث إلى حقيقة اجتماعية مهمة وهي: أن هؤلاء المستضعفين في الأرض هم: عدة الإنتاج الاقتصادي في السلم، وعدة النصر في الحرب"[٢]

ومنه قوله أيضاً:"فكر في فتحها وهو ابن التاسعة عشرة، وافتتحها وهو ابن الثالثة والعشرين، فتحها في الحادي عشر من شهر جمادي الأول سنة ٨٥٧ هـ الموافق ١٤٥٣/٥/٢٨م قرأ هذا الشاب في كتب الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش) فتاقت نفسه أن يكون هذا الأمير، وأن يكون جيشه هذا الجيش"[٣]

ومنه أيضاً قول الطنطاوي:"...فما أظن أني رأيت أبهى ولا أجمل من قاسيون، إلا جبل أحد لما رأيته أول مرة هفا إليه قلبي وذكرت بلدي، على أن أحداً أفضل وأشرف، فضّله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:(أحدٌ جبلٌ يُحبُّنا ونُحبُّه) وشرفته صلته بالرسول وتاريخه"[٤]

٣- الشعر

لقد ظهر الشعر بجلاء في السير الإسلامية موضوع البحث ولكن تفاوت الكتَّاب في توظيفه، فمثلًا نجد أسلوب يوسف القرضاوي يغلب عليه الخلط بين النثر والشعر في حتى تكاد لا تجد موضوعاً إلا ويستشهد فيه بمقاطع شعرية لشعراء معروفين أو مغمورين أو يستشهد بشعره

---

(١) يوسف القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ج٢، ٤١٨

(٢) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ج١، ٦٤

(٣) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ، ج٣، ١٢٧

(٤) الطنطاوي، ذكريات، ج١، ١٢٣

شخصياً الذي ضاع كثير منه كما يعترف هو. فالقرضاوي شاعر معروف له الكثير من القصائد جمعت في ديوان جميل اسمه نفحات ولفحات.

وتظهر الموهبة الشعرية لكاتبنا بقوة في سيرته حيث لا يخلو جزء منها من مجموعة جميلة معبرة من أشعاره،ومن أشهر قصائده التي جاءت في كتابه متفرقة النونية التي منها[١]:-

أعرفتَ ما قاسيتُ في زنزانةٍ كانت هي القبر الذي يؤويني؟!

لا بل ظلمة القبر، فهو لذي التُّقى روضٌ ،وتلك جحيمُ أهل الدين!

هي في الشتاء وبرده (ثلاجةٌ) هي في هجير الصيف مثلُ أتون

نُلقي ثمانيةً بها أو سبعةً متداخلين كعلبة (السردين)

هي منتدانا وهي غرفة نومنا وهي (البوفيه) وحجرة (الصالون)

هي مسجد لصلاتنا ودعائنا هي ساحةٌ للعب والتمرين

ومن ذلك أيضاً قصيدته التي كتبها في أربع صفحات (١٨٣ – ١٨٧)[٢]:

قدمت إلى السجن الكبير يهزها فرح اللقاء ببدرها الموعود

وقفت مع الزوار ترقب لحظة عُدَّت بعمر في الزمان مديد

وبالرغم من أنه شاعرًا إلا أنه لجأ إلى اقتباس الشعر حيث يستشهد بأبيات للشعراء إذا أراد أن يوضح رأياً أو يؤكده،ومنه قوله:"...على أن عنصراً فوق ذلك كله، وقبل ذلك كله، أي فوق الذكاء والإرادة، نؤمن به نحن المسلمون، بل يؤمن به أهل الأديان جميعاً بل يؤمن به أهل الجاهلية أنفسهم، اسمه(القدر) الذي يهيمن على الكون كله،والذي جعل الناس يقولون:العبد يدبر والرب يقدر، ويقولون: إذا نفذ القدر عمي البصر. وهو الذي جعل الشاعر الجاهلي (المثقب العبدي) يقول[٣]:

ولا أدري إذا يممت أرضاً أريد الخير: أيهما يليني؟

(١) القرضاوي، ابن القرية والكتاب،ج٢، ٤٤

(٢) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ج٢، ١٨٣-١٨٧

(٣) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ج١، ١٧٠

أالخير الذي أنا أبتغيه أم الشر الذي هو يبتغيني

ويقول شوفي أيضاً:

قدرت أشياء، وقدر غيرها قدر يخط مصاير الانسان

وإذا أراد أن ينقل إلينا خبراً من احتفال أو ندوة أو إذا أراد أن يوضح حال الإخوان في المحن والشدائد، كان يذكر أشعارًا معبرة، ففي إطار حديثه عما لاقوه هو وإخوانه في سجن الطور يقول:"وكثيراً ما كنا نجتمع لننشد الأناشيد الإسلامية والإخوانية، بصوت جماعي مؤثر يهز أوتار القلوب، مثل نشيد(العروبة) الذي أنشأه أديب العروبة والإسلام الشاعر الثائر مصطفى صادق الرافعي:[١]

ربنا إياك ندعو ربنا آتنا النصر الذي وعدتنا

إننا نبغي رضاك إننا ما ارتضينا غير ما ترضى لنا

وقد يستشهد بأشعار من عاصرهم من إخوانه، يقول:"ونشيد هو الحق الذي أنشأه شاعر الإخوان وسكرتيرهم العام الأستاذ عبد الحكيم عابدين، صهر الأستاذ البنا، وصاحب ديوان البواكير، وهو النشيد الذي كان الإخوان يرددونه باستمرار[٢]:

هو الحق يحشد أجناده ذويعتد للموقف الفاصل

فصفوا الكتائب آساده ودكوا به دولة الباطل

أما علي الطنطاوي فيستشهد بالشعر إذا دعت الحاجة، لذلك يعتبر مقل في استخدامه مقارنة بالقرضاوي، ومن أمثلة تضمين الشعر عند الطنطاوي قوله:

"هذا الذي أودعته صفحتين من صفحات هذا الكتاب استغرقت أحداثه خمساً وعشرين سنة:[٣]

ثم انقضت السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

" ومنه قوله: "يا مسلمون، مسجدكم الأقصى بيد اليهود...،فاذكروا وأنتم عند القبلة الأولى اذكروا الأقصى:[٤]

المرأة الشلاء تحمي بيتها أنبيح بيت الخالق المعبود

هو حصن حق غاب عنه حماته هو قلعة لكن بغير جنود

---

(١) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ج١، ٣٤٦

(٢) الفرضاوي، ابن القرية والكتاب، ج١، ٣٤٦

(٣) الطنطاوي، ذكريات، ج٨، ٤٤

(٤) الطنطاوي، ذكريات، ج٨، ١٦٥

لا العطر والندُّ المصفى طيبه لكن رياه شذى البارود

يصلى المصلى النار في جنباته والمسلمون بنومةٍ وهجود

أينام من تقرى المدافع سمعه صوتاً يزلزل قنة الجلمود

أينام من يمشي اللهيب بداره يشوي حميم لظاه رمل البيد

وإذا عدنا إلى سيرة زينب الغزالي فإنها كانت مقلة في توظيف الأشعار، ومنه قولها:

"أتمثل قول القائل:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنبٍ كان في الله مصرعي

وقول القائل:

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال ويحك لن تراعى

فإنك إن طلبت بقاء يومٍ على الأجل الذي لك لم تطاعي

فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بمستطاع"[1]

ومنه أيضاً قولها عن عبد العزيز علي أحد الأشخاص المعروفين: "إنني أعرف أنه رجل عظيم، وهو صديق زوجي وأخي في الله. وزوجته من أعضاء المركز العام لجماعة السيدات المسلمات وصديقتي وأختي في الله، فسأل في تهكم: ألم تضميه إلى تنظيم الإخوان؟!! أجبت : كان يشرفنا ذلك، إنه كما قالت الخنساء:" علم في رأسه نار" متأثرة بقصيدة الخنساء[2]:

وإن صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

أما الرنتيسي فنجده شاعراً لأنه نظم الكثير من القصائد الشعرية المعبرة عن الواقع أورد بعضها عامر شماخ في بداية كتاب ذكريات الرنتيسي، إلا أن ما أدهشني أنه لم يستشهد في ذكرياته ببيت واحد من الشعر سواء كان من تأليفه أو من تأليف غيره.

---

(١) الغزالي، أيام من حياتي، ٢٢٥

(٢) الغزالي، أيام من حياتي، ١٤٤

حماد الحسنات وظف الشعر في سيرته، خاصة الشعر الذي نظمه شخصيًا في مناسبات معينة، أو المعارضات التي كتبها، وفي إطار حديثه عن مسيرة الأكفان التي كانت إحدى أنشطة المبعدين كتب قصيدة بعنوان مسيرة الأكفان والتي مطلعها:[١]

ثمن الحياة قليل في الزمان والبيع يرخص في حمى الأوطان

ومن ذلك أيضًا أنه نقل في كتابه قصيدة الشاعر اللبناني نظمي جمال حيث يعبر فيها أثر الإبعاد وموقف المبعدين على الأخوة اللبنانيين، والتي مطلعها:

غنيتكم أنجماً في غيهب الزمن	لألاؤها من أقاحي الروض في الوطن

والقصيدة بلغ عدد أبياتها(٤٨)بيتاً،وقد عارضها كاتبنا بقصيدة عدد أبياتها(٥٥) بيتاً مطلعها:[٢]

يا فارس الشعر يا من في الزمان لنا	طيرت شعراً يواسي أسوأ المحن

نجيب الكيلاني كان مقلاً في توظيفه للشعر كذلك، ويعود ذلك حسب رأيي إلى كونه أديبًا قاصًا، ومن توظيفه للشعر أن زوجته أرسلت له هدية وهو في السجن بمناسبة يوم ميلاده، فذكر القصة معبراً عن إحساسه في تلك اللحظات بقوله:"وعرضوا علي الأشياء المرسلة إلي، ثم قال الضابط فتحي: سوف نحتفظ بها في المخزن، وسنعطيها لك عند خروجك، أو في الوقت التي تأذن به المباحث العامة.. وشكرتهم وعدت إلى العنبر مسرعاً، وأنا في قرارة نفسي أشعر بشيء من الغضب والضجر، ذلك لأن زوجتي ما كان لها أن تفعل ذلك، في هذه الأوقات العصيبة التي تجري فيها المحاكمات على قدم وساق، والأمور تبدو في غاية السوء، وتذكرت قول المتنبي:

عيد بأية حال عدت يا عيد	بما مضى أم بأمر فيك تجديد
أما الأحبة فالبيداء دونهم	فليست دونك بيداً دونها بيد

عندما عدت إلى الأخوة في العنابر، أخذوا يضحكون"[٣] وبالرغم من ندرة الأشعار في سيرته فقد وجدت فيها أبياتًا من تأليفه، يقول واصفًا مشاعره عندما قرر السفر إلى الكويت:"كان

(١) الحسنات، ذكريات مرج الزهور، ٤١

(٢) الحسنات، ،ذكريات مرج الزهور، ١٧-٢١

(٣) الكيلاني، مذكرات ،ج٥، ٤٤٠

الوداع مهمة شاقة، ولم أكن أعرف متى سأعود، ويتردد في أرجاء نفسي تلك الأشعار التي كتبتها ذات يوم:[١]

قد طال ترحالي فهل لمسافر يوماً مآب؟
أترى أعود لقريتي وتعود أحلام الشباب؟
وأرى أبي والحاملين فئوسهم عبر الشعاب
العائدين من الحقول يلفهم ليل السراب؟.
الكادحين
هم يا حبيبة أهلنا، في ظلهم ذقنا الحياة
حيث الأوز جوارنا يخطو ويصطرع الشياه
كل يخط على الثرى حقلًا بأوسطه قناه
يمضي على سنن الجدود مقلدًا فيها أباه
يا للحنين
هم يا حبيبة صانعو التاريخ آمال الغد
قنعوا بما دون القليل قناعة لم توجد
أعطوا وما أخذوا سوى ذاك القديد الأسود
الله يعلم أنهم سر الكفاح السرمدي
الصابرون

٤- تضمين الحكم والأمثال:

استخدم يوسف القرضاوي الحكم والأمثال العربية كثيرًا ومن ذلك قوله:"وكنت قد طلبت من وزارة التربية أن يرافقني صهري الأخ الأستاذ سامي عبد الجواد، الأمين المساعد لدار الكتب القطرية، لمعرفته باللغة الانجليزية، ولئلا أكون وحدي في هذه الرحلة الطويلة، وقد قال العربي: الرفيق قبل الطريق.ووافقت الوزارة مشكورة على ذلك"[٢]

ومنه أيضاً قوله:"ولا يوجد أي صحف معارضة، إذ لا يسمح بوجود أي حزب أو قوي سياسية، غير الحزب الواحد الذي يحكم البلاد، وهو الاتحاد الاشتراكي: فلتقل الحكومة ما تشاء،

(١) الكيلاني، مذكرات، ٤٧٦
(٢) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ، ج٤، ٦٣

فلن يعارضها أحد، ولن يسائلها أحد. والمثل المصري يقول: هل يستطيع أحد أن يقول للغولة: عينك حمراء؟"[١]

ومنه أيضاً: "كانت عقيقة محمد: أربع خراف: اجتمع عليها الأصدقاء والأحبة من المصريين والقطريين والفلسطينيين وغيرهم ممن يقيمون في قطر حتى قال بعضهم: لقد دعينا إلى عقائق كثيرة، ولكن لم نذق ألذ ولا أحلى من هذه العقيقة! قلت: إنما حلاها الحب، أما سمعتم المثل القائل بصلة المحب خروف؟ فماذا يكون خروف المحب؟!![٢]

كذلك استخدم علي الطنطاوي في كتابه ذكريات الأمثال العربية ومنه قوله: "كنا نركب بريالين إلى حيث شئنا، فإذا قلنا للسائق: أريد أن أذهب إلى الحوض، قال: بثلاثة.يشترطها عليّ من أول الطريق لئلا نختلف في آخره، والمثل العامي يقول:"شرط في الحقل خير من خصومة في البيدر"[٣]

زينب الغزالي نادراً ما كانت توظف الأمثال الشعبية،ومنه قولها :" وعلمنا منه في اليوم التالي أن المسجون في الزنزانة المقابلة رئيس الوزراء اليمنى ومعه عشرين آخرون من رجال الحكم هناك، وأن الشيخ الإيراني في الزنزانة المجاورة، فلم ندهش لذلك، فليس ثمة شيء يدهش، وكما يقال من يعش رجباً يرى عجباً"[٤]

٥- تضمين أقوال الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين:

يميل كتاب السير المنتقاة إلى اقتباس أقوال الصحابة أو العلماء الصالحين كثيراً ليؤكدوا رأياً أو ليدللوا على موقف أو ليتصبروا بأقوال الصالحين والصحابة رضوان الله عليهم فيما مرّ به من شدّة في السجن، يقول يوسف القرضاوي صاحب كتاب ابن القرية والكتاب: "وقد قال عمر رضي الله عنه ما أصبت ببلاء إلا وجدت لله فيه أربع نعم: أنه لم يكن في ديني، وأنه لم يكن أكبر منه، وأني لم أحرم الرضا به، وأني أرجو ثواب الله عليه!"[٥]

---

(١) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ، ج٣، ٢١

(٣) الطنطاوي، ذكريات، ج٨، ٢٥٤-٢٥٥

(٤) الغزالي، أيام من حياتي، ٢٢٠

(٥) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ج٢، ٤١٧

ومن ذلك قوله أيضاً"وكان من الخير الكثير الذي جاءت به هذه الشدّة، أن أكثر الإخوان الذين يعيشون خارج مصر لأسباب شتى، قد جمعتهم المحبة من تفرّق، وأحييت فيهم روح الأخوة بعد هموده، وأيقظت فيهم الغيرة على العمل الإسلامي بعد رقود.وقد قال جمال الدين الأفغاني: بالضغط والتضييق تقتحم الأجزاء المبعثرة"[١]

وعندما تحدث عن أثر المذهب الشيعي في نجاح الثورة الإسلامية في إيران حيث يقول: "فالشيعي المتدين يجب أن يرتبط بمرجع ديني، يفتيه ويرشده في الملمات، ويعطيه "الخمس" الواجب على كل شيعي، وهو بمثابة "ضريبة صافي الدخل" بنسبة ٢٠% بعد اقتطاع النفقات اللازمة للشخص ولمن يعوله" وتغنيهم عن وظائف الدولة.. وهو ما وقع فيه أهل السنة حين صاروا موظفين في الدولة، ورزقهم بيد السلطة" ويعقب على ذلك بالقول الذي رواه عن أحد ولاة بني أمية حين سُئل عن سر قوة الإمام الحسن البصري في نقد والولاة فقال:- إنه رجل احتاج الناس إلى دينه، واستغنى هو عن دنياهم"[٢] كما كان يستأنس بقصص الأنبياء خاصة قصص الأنبياء الذين نتعلم منهم الصبر على الشدائد مما يبعث الأمل في النفوس

السرد والحوار والوصف

كل أديب أو كاتب له أسلوب خاص به في استخدام السرد الحكائي والحوار والوصف، فقد يعتمد كاتب على الحوار في حين ينأى آخر وكذلك بالنسبة للوصف ولكن لكل منهما أهمية في تصوير الحدث ونقل الخبر، و"الإكثار من استعمال الحوار من العناصر المهمة في الطريقة الدرامية، وربما كان من أوضح الوسائل لإحداث وهم الفورية والحضور لدى القارئ"[٣]

وبالرغم من ذلك فإن علي الطنطاوي لم يوظف الحوار في كتابه بقدر ما اعتمد على الوصف والسرد الحكائي بينما نجد زينب الغزالي جمعت بين السرد الحكائي وبين الحوار في كتابها أيام من حياتي، بينما لم توظف الوصف إلا في حديثها عن ألوان التعذيب في السجن العربي. وفي الحوار الذي دار بينها وبين أحد أفراد المخابرات تقول زينب الغزالي:- "قال: والله يا حاجة أنا أصلي الجمعة

قلت: وبقية الفرائض؟

---

(١) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ، ج٤، ص٣٦

(٢) القرضاوي، ابن القرية والكتاب،ج٤، ٧٧

(٣) الزمن والرواية، ص١٣٣

قال: تعودت أن أصلي الجمعة مع والدي كان يفعل ذلك وكان يأخذني معه إلى المسجد يوم الجمعة.

قلت له: ألم تسأل والدك لماذا يصلي الجمعة فقط؟

قال: قلوبنا مسلمة يا حاجة ما دمنا نقول: لا إله إلا الله كفاية ذلك.

قلت: إن كلمة (لا إله إلا الله) بغير التزامكم بها ستكون حجة عليكم عند الله لا حجة لكم.

قال: الناس على دين ملوكهم

قلت: إن شاء الله تحشرون على دين ملوككم"[1]

والحوار السابق يسلط الضوء على جانب من جوانب شخصية الغزالي وهي القدرة على الجدال وتوظيف الحجة والبرهان. والحوار جاء بأسلوب بسيط وبلغة سهلة واضحة مباشرة.

ولقد أكثرت زينب الغزالي من توظيف الحوار في الجزء الأهم من سيرتها وهو ما لاقته من تعذيب داخل سجون الرئيس جمال عبد الناصر لأنها – في تقديري – تريد أن تنقلنا عبر الزمان والمكان وتعود بنا إلى تلك اللحظات، طمعاً في أن يشعر القارئ بآلامها ومعاناتها، فهي مازالت سجينة تلك اللحظات ولا تستطيع الفكاك منها.

ولقد ورد الحوار في ١٠٦ صفحات من أصل ٢٠٤ صفحة أي حوالي ٤٥% من سيرتها.

ومن ذلك قولها: "فلم أرد عليه فقال: ما هي صلتك بسيد قطب والهضيبي؟

قلت في هدوء: إخوة في الإسلام.

فقال في استنكار بليد: أخوة ماذا؟

فأعدت: أخوة في الإسلام

فقال: ما مهنة سيد قطب.

قلت: الأستاذ الإمام سيد قطب مجاهد في سبيل الله ومفسر لكتاب الله ومجدد ومجتهد.

---

(١) زينب الغزالي، ص

فقال في بلادة: ما معنى هذا الكلام؟

فلت وأنا أضغط على مخارج الألفاظ تأكيداً له معناه: إن الأستاذ سيد قطب زعيم ومصلح وكاتب إسلامي، بل من أعظم الكتاب الإسلاميين، ووارث محمدي"[١]

ويتسم الحوار عند الغزالي بأن كلماته مختصرة وواضحة لا زخرف فيه ولا نقوش وذلك لأنه تحقيق داخل السجن..، ولأن الكاتبة تريد أن تكشف عن شخصية الآخر في النص، كما أن الحوار يتناسب مع شخصية الغزالي الحازمة الحاسمة.

أما منير الغضبان فلا يميل إلى توظيف الحوار، فقلما تجده في سيرته و كذلك حماد الحسنات في سيرته ذكريات مرج الزهور.

تغلب تقنية السرد الحكائي على غالبية السير الذاتية المنتقاة(موضوع البحث)، حيث يعمد الكتَّاب إلى نقل القصص الجزئية إلى القارئ مستخدمًين الفعل الماضي غالباً، والفعل المضارع أحيانًا.

يقول علي الطنطاوي –مثلاً– متحدثاً عن انسحاب الجيش العثماني من دمشق بعد هزيمته في الحرب العالمية:"واستيقظنا يوماً من أيام سنة ١٩١٨ المحرم ١٣٣٧هـ على صوت رعدٍ شديد ولكن السماء ما فيها قطعة من غمام، وزخات هائلة كأنها زلزال ولكن ما اهتزت الدار، فصعدنا نحاول أن نرى من سطوح المنازل، فشاهدنا نوراً يسطع ثم يخمد وناراً تتفجر في الجو ثم تهمد، وانتظرنا فجاء من يخبرنا بأن (الجبخانة) في (القدم) (أي مستودع الذخائر) قد فجّر! وسألنا: لماذا؟ فلم يعرف أحد لماذا؟"[٢]

مزج القرضاوي في كتابه بين السرد والحوار حسب ما يقتضيه الموقف، ومن أمثلة ذلك: "كان أبو الوفا رجلاً عالمًا باحثًا، وكنت على مودة وصلة طيبة به، فلما رآني أتردد كثيرا على المكتبة وأجمع أمامي عددا من المراجع كل يوم سألني: فيما تبحث هذه الأيام يا قرضاوي؟ قلت: أبحث في موضوع كلفت به من مشيخة الأزهر، قال: وما هو؟ قلت: ما يحل للمسلم وما يحرم عليه، قال: وقعت في مطب يا قرضاوي، ودخلت امتحانًا عسيرًا دون أن تعرف!.."[٣]

---

(١) الغزالي، أيام من حياتي، ١٠٢

(٢) الطنطاوي، ذكريات، ج١، ٦٦

(٣) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ج٢، ١٩٤

حماد الحسنات يعتمد اعتماداً كلياً على السرد الحكائي ناقلاً إلينا بعض المعلومات الهامة بالتفصيل، يقول الكاتب موضحاً فعالية مسيرة الأكفان إحدى الفعاليات التي نفذها المبعدون في مرج الزهور أملاً في أن تظل قضيتهم ماثلة أمام الأعين: "تحدد يوم المسيرة، وتجمع الشباب والشيوخ وقد لبس كل منهم كفنه، واصطفوا صفوفاً ثم أخذ كل منهم يودع الآخر وداع الاستشهاد.. ثم تحرك الركب والقلوب تستعد للقاء الله وقد تجمعت صحافة العالم بأعداد كبيرة كل منهم يلتقط ما يحلو له من اللقطات الصحفية، سارت المسيرة بهدوء إلى حدود الوطن وهي صامتة سيراً هادئاً وفي منتصف الطريق وقف الجميع وصلوا صلاة الضحى وتحدث أحدهم في الجميع وهو بذلك يشد على أيديهم ويذكرهم بالشهادة"[١]

الوصف:

قد يبدأ الكاتب سيرته بداية وصفية حيث أن " البدايات الوصفية تقدم إضاءة لأجواء النص، بيد أن هذه الإضاءة تعمل على تأكيد تفاصيل معينة، مع إسقاط جوانب أخرى، وذلك كي يتسنى وصل بين ما قيل في السابق، وبين ما يليه ويلحقه"[٢]ولو عدنا إلى كتاب طفل من القرية نجد أن سيد قطب بدأه ببداية وصفية. يقول:مضى على هذه الأحداث أكثر من ربع قرنٍ ، ولكنه اليوم لا يستطيع أن يسترجع صورتها دون أن يحس في جسده بقشعريرة تتخلل عظامه في صمت كأنما استحال دمه إلى ماءٍ مثلوج، هذا الرجل المشعث الشعر الممزق الثياب ، العاري من كل ما يستر الجسد"[٣]، و"البداية الوصفية المشهدية تجلو الغموض عن حركة الأبطال، كما تكشف عن قسم من حواراتهم، دون أن ينفلت عنصر الزمن كما المكان من الذكر، ذلك أن العلاقات القائمة بين الشخصيات تقدم مختصرة مفسرة "[٤]

يميل **علي الطنطاوي** إلى تقنية الوصف باعتبارها تعبر عما في داخله وتجيب عن تساؤلاته حول التغيير الذي طرأ على الزمن والمكان، وينوه الكاتب لذلك بقوله: "وما أنا بالشاعر وما صناعتي نسج التهاويل، ما أنا إلا مصور يتأبط آلته يطوف بها، يصور مشاهد الحياة ومشاعر النفس، مصور [فوتوغرافي] مسكين ينقل صوره نقلاً، ولست المصور المبدع الفنان الذي يحمل

---

(١) الحسنات، ذكريات مرج الزهور، ٣٩

(٢) نور الدين، البداية في النص الأدبي، ٦٢

(٣) قطب، طفل من القرية، ٢

(٤) نور الدين، البداية في النص الأدبي، ٦٣

لوحاته مالم يكُن ولا يكون. إنما إنسان يدب على أرض الواقع، علي حين يضرب الشعراء أمواج الجو بأجنحة النسور"[١]

ولقد وصف الطنطاوي المكان والبلدان والشخصيات، وها هو يصف بناء دار المعلمين قوله: "يشبه في طراز بنائه أبنية القرون الوسطى: برجان من الجانبين وفوقها سقف هرمي من القرميد والباب الكبير بينهما وقد كانت فوقه لوحة من الحجر عليها (مدرسة دار المعلمين)"[٢]

ومن وصفه للبلدان التي زارها ما قاله عن مصر:-"وأول ما أدهشني أننا خرجنا في المحطة وقد انتصف الليل أو كاد في الساعة التي تغلق فيها الحوانيت في الشام وتخلو الطرق وتنام المدينة فإذا الشوارع هنا مزدحمة بالناس، وحافلات الترام ممتلئة، والدكاكين مفتوحة.. أفلا ينام أهل مصر لا في الليل ولا في النهار؟"[٣]

ويصف الكاتب كل شيء في مصر شوارعها أسواقها، جسورها، ومن ذلك قوله أيضاً يقول واصفاً كوبري النيل: "إلى أن وصلنا إلى الجسر (ويسمونه هناك باسمه التركي: الكوبري) وهو من الحديد مستوفي بعمد الحديد، فجزناه من فوق النيل الكبير إلى الزمالك حيث تقوم بقصورها غير بعيدة عن بولاق بأكواخها"[٤]

علي الطنطاوي في وصفه متأثراً بالأفلام الوثائقية حيث تشعر وكأنه-كما قال- يحمل كاميرا يطوف بها في الشوارع فتسجل كل ما تقع عليه عيناه من مبانٍ وشوارع وحجر وبشر وشجر.

ومن وصفه للدور قوله:- "ورأيت الدار التي تعود مثل معادي، فإذا هي كمثيلاتها من دور دمشق العظام في تلك الأيام. الأرض تفرش بالحجر المنقوش والمرمر الصافي، والجدران تكتسي الرخام ذا الألوان والنقوش والروائع الحسان، وتتجدد البركة ويعود إليها رواؤها ويجري فيها ماؤها، أما (القاعة) فيكون فيها مثل ما في (قاعات) الدور الكبار في الشام: (فِسْقِية) وهي طبق من الرخام المجزّع والحجر المِزِّي (نسبة إلى المِزّة في دمشق) منحوت بيد صناع، مقرنص الجوانب ينصبُّ فيها الماء من نوافير صغار ترسم خطوطها متعاطفاً بعضها على بعض يكون منها مثل القبة الصغيرة إذا تكسرت عليها أشعة النور بدت كأن فيها ألفي حجر من الألماس، ثم ينصب الماء من

---

(١) الطنطاوي، ذكريات، ج١، ١٦٣

(٢) الطنطاوي، ذكريات، ج١، ٨٣

(٣) الطنطاوي، ذكريات، ج١، ٣٢٤

(٤) الطنطاوي، ذكريات، ج١، ٣٢٨

الجوانب إلى طبق مثله أكبر منه، وكذلك ينتقل الماء من طبق إلى طبق بأبرع صناعة وأجمل فن"[١]

قد تتوقف وأنت تقرأ صفحات من سيرة القرضاوي فتجد أنه كتاب عن أدب الرحلات، فمثلا يتحدث عن الآثار والمتاحف والجوامع فيعتمد على الوصف، ومن ذلك قوله عن الجامع الأرزق الشهير: "مكان آية من آيات الفن وروعة العمارة الإسلامية، وفاق آيا صوفيا بجماله وجلاله. ولذا ترى آلاف السياح، بل عشرات الآلاف كل يوم يفدون إليه من حدب وصوب، ويستمتعون برؤية آيات الفن والجمال والإبداع في جدرانه وأركانه وأعمدته وسقوفه ومآذنه، وأبوابه ونوافذه ومداخله، ومآذنه الست يصورونه من كل جانب وناحية وقد سمعت أ. جارودي يتحدث عنه كما يتحدث العاشق عن معشوقته"[٢].

القرضاوي له قدرة كبيرة على وصف الشخصيات وتحليلها وسبر أغوارها فمثلا يقول عن صديقه مصباح محمد عبده رحمه الله: "كان مصباح رجلا طيب القلب، نقي السريرة، ظاهره كباطنه، محببًا إلى الناس، لم أرى أحدا يكرهه أو يعاديه، فقد كان سهل التعامل، هينًا لينًا متواضعًا خافض الجناح لإخوانه، يألف ويؤلف، بسيطًا في مظهره وفي مخبره وفي حياته كلها، كما كان فكيها خفيف الروح، له لطائف وفكاهات تصدر عنه بلا تكلف ولا تصنع"[٣]

نجيب الكيلاني في لمحاته يمزج بين السرد والوصف والحوار، ويستخدم كل منهم حسب ما يقتضيه الموقف، يقول الكاتب موظفاً الحوار:"–نريد حضرة الضابط المناوب.

- ليه
- واحد بيموت
- يموت ولا يخفى..في ستين داهية..
- حرام
- طيب اسكت أنت وهو.. سأبلغ الضابط.
- وبعد ربع ساعة ، فتح الباب، ووجدنا الضابط كمال دوس يقف في مواجهة العنبر وظل صامتاً بعض الوقت فهرولت إليه قادماً من آخر العنبر، ثم قلت وأنا أقف بالداخل قرب الباب:"عندنا يا سعادة البيك معتقل مصاب بالتهاب حاد بالزائدة الدودية.

---

(١) الطنطاوي، ذكريات، ج١، ٣٢

(٢) القرضاوي، ابن القرية والكتاب ، ج٣، ١٢٥

(٣) القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ج٤، ص ٢٨ – ٢٩

- المصران الأعور
- نعم
- متأكد يا دكتور
- مائة في المائة
- سأبلغ الداخلية في القاهرة، وإذا لم يكن التشخيص صحيحاً فستكون نكبة عليك وعلينا..
- المعتقل محمود سرحان في حالة خطرة..
- سأنصرف أغلق الباب يا عسكريوجلسنا ننتظر ما يقرب من أربع وعشرين ساعة، ومحمود يئن ويتوجع ويتقيأ، وشمل العنبر هم ثقيل، وصمت حزين، وبعد طول انتظار جاء حكيمباشي مستشفى الشرطة، ثم أخذ المريض وفحصه، وأمر بنقله إلى مستشفى سجن طره."(١)

(١) الكيلاني، ذكريات، ج٥، ٤٠٩

الشخصيات

الشخصية عمود مهم من أعمدة القصة أو الرواية فهي التي تقوم بالحدث ومن خلالها تتنامى الأحداث كي مرورًا بالذروة وصولًا إلى الحل،يقول حسن بحراوي في كتابه بنية الشكل الروائي:"ظل مفهوم الشخصية غفلاً، ولفترة طويلة، من كل تحديد نظري وإجرائي دقيق مما جعلها من أكثر الجوانب غموضاً وأقلها إثارة لاهتمامات النقاد والباحثين... ويفسر تودوروف هذا الإعراض عن دراسة الشخصية الروائية بكونها، هي نفسها ذات طبيعة مطاطية جعلتها خاضعة لكثيرٍ من المقولات دون أن تستقر على واحدة منها، كما أن هذا الإعراض يتضمن موقفاً بمثابة رد فعل على الاهتمام الزائد بالشخصية والانقياد الكلي لها الذي كان قد أصبح قاعدة لدى نقاد أواخر القرن التاسع عشر"[١]حيث انتشرت قصة الشخصية وطغت على سواها من أنواع القصص،"أما العرب القدامى لم يستخدموا كلمة شخصية وإنما استخدموا كلمة شخص وأرادوا بها الإنسان ذكراً أو أنثىً"[٢] ويفسر التونجي الشخصية في كتابه المعجم المفصل في الأدب بأنها:"خصائص تحدد الإنسان جسميًا واجتماعيًا ووجدانيًا،والشخصية قبل أن تكتمل لابد لها من أن تمر بمراحل يتعرف بها صاحبها بذاته الجسمية ثم بذاته النفسية وأخيرا بذاته الاجتماعية"[٣]

وقد تباينت وجهات النظر حول مفهوم الشخصية فمنهم من ركز على فكرة التوافق الاجتماعي وعدّ الشخصية معادلة للجانب الاجتماعي للفرد، ومنهم من اعتبرها ذلك التنظيم الديناميكي الذي ينظم الأجهزة النفسية والجسمية ومنهم من نادي بإنفراد الشخصية وقالوا بأن الشخصية حقيقة روحية ومنهم من قال بأن الشخصية مجموع الأفراد في مجتمع ما"[٤]

يتجه مفهوم الشخصية في المنظور الإسلامي إلى السلوك فالسلوك هو الذي يدل على شخصية الإنسان"[٥]حيث أننا لا نستطيع أن نحكم على شخصية أي إنسان إلا من خلال العمل الذي يقوم به.

---

(١) بحراوي، بنية الشكل الروائي، ٢٠٧

(٢) محسن، ناهض، الشخصية الإسلامية في الشعر الفلسطيني، مكتبة اليازجي، الطبعة الأولى غزة فلسطين، ٢٠٠٨، ١

(٣) التونجي، محمد، المعجم المفصل في الادب،ج٢، ٥٤٥

(٤) انظر محسن، الشخصية الإسلامية في الشعر الفلسطيني، ٢

(٥) محسن، الشخصية الإسلامية في الشعر الفلسطيني، ٣

أهمية الشخصية:-

تتبع أهمية الشخصية في السيرة الذاتية في أنها (أي السيرة الذاتية) تتمحور حول شخصية المؤلف الراوي والتي تساوي الشخصية الرئيسة التي تدور حولها الأحداث، "إن أهمية الشخصية تعتمد على الوظائف العامة التي تقوم بها من خلال شبكة علاقات مركبة عمادها المكان والفعل والارتباط بالآخرين"[١] فلا يمكن أن تنفصل عن المحددات الأخرى للعمل الأدبي بل إن" الشخصية هي التي تكون واسطة العقد بين جميع المشكِّلات الأخرى، حيث إنها هي التي تصطنع اللغة، وهي التي تبث أو تستقبل الحوار، وهي التي تصنع المناجاة، وهي التي تصف معظم المناظر... وهي التي تنجز الحدث، وهي التي تنهض بتغريم الصراع أو تنشيطه من خلال سلوكها وأهوائها وعواطفها، وهي التي تقع عليها المصائب... وهي التي تعمر المكان... وهي التي تتفاعل مع الزمن فتمنحه معنى جميلاً"[٢] إلا أن التحديث في الرواية ابتعد قليلا عن تقدير الشخصية واعتبرها جزءا من العمل الأدبي وليس كله، فالشخصية ليس لها أي أهمية بدون الحدث أو بدون المكان وهكذا.

والشخصية القصصية لها صفات ينبغي أن تتوافر فيها، يقول محمد نجم في كتابه فن القصة محددا هذه الصفات:" فالشخصية القصصية يجب ألا تكون خارقة تتحدى الواقع وتتجاوزه، ولا هزيلة تنحط عن الواقع وتنكمش عنه، بل يجب أن تكون مزيجاً من الخير والشر كالشخصيات العادية التي نراها في حياتنا اليومية أو نكتشفها في ذواتنا"[٣]وإن كان هذا الكلام ينطبق على الرواية فهو لابد أن ينطبق على السيرة الذاتية –في تقديري – لأن السيرة الذاتية ترجمة المؤلف لنفسه فشخصيته هي بؤرة الأحداث والزمان والمكان والحدث، وقد يصورها بأنها الخير كله، أو يصورها بأنها هي المثال، ويترفع عن ذكر أي شيء قد يسئ إلى صورة المثال لذلك أتفق مع عصام أبو شندي في كتابه نقد النثر العربي حين يرى "وجوب تمحور السيرة حول الشخصية الرئيسية فيها، وتصويرها من الداخل والخارج بمعنى تصوير تأثير الزمن وعوامله وأحداثه على ظاهر صاحب السيرة، من حيث البنية الشخصية أو مراحل العمر، بالإضافة إلي بيان لواعج نفسه الداخلية وأفكاره ومعتقداته – قدر الإمكان – من الولادة حتى الممات"[٤]، إذن لابد من أن يتطرق الكاتب إلى مواقفه السلبية كما يذكر المواقف الايجابية. "وفي تعريف لوجون للسيرة الذاتية نجد أنه جعل من

---

(١) الشوابكة، محمد علي، السرد المؤطر في رواية النهايات، لعبد الرحمن منيف (البنية والدلائل)، ص٢٩

(٢) مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السر، ١٠٤

(٣) نجم، فن القصة، ١٠٧

(٤) أبو شندي، عصام حسين اسماعيل، نقد النثر العربي ص٢٠١، مطبوعات وزارة الثقافة، عمان، دار الشروق في كتابات إحسان عباس

معايير تحديد النص الأدبي وهل هو من السير الذاتية أم لا؟التطابق بين أنا المؤلف –أنا السارد– وأنا الشخصية المركزية كما جعل موضوعها سيرة حياة المؤلف وتاريخ تكوين شخصيته."[١]

أنواع الشخصيات:– الشخصيات في الرواية أو القصة متنوعة ويعتمد الكاتب في هذا التنوع على سمات خاصة بالشخصية، هذه السمات هي التي تحدد كيفية بنائها داخل النص الأدبي ومن هذه السمات الثابت والمتغير."[٢]، لذلك فمن الدارسين من قسم الشخصيات إلى شخصيات نامية وشخصيات مسطحة، فالشخصيات النامية"هي التي تتكشف تدريجياً خلال القصة، وتتطور بتطور حوادثها، ويكون تطورها عادة نتيجة تفاعلها المستمر مع هذه الحوادث"[٣]حيث تتطور صفات الشخصية مع تأثرها بالأحداث فيمكن أن يكون شريرًا ناقمًا على نفسه وعلى المجتمع ثم يصبح إنسانًا خيرًا يساعد الناس، والشخصية الثابتة قسمها علي عودة إلى نوعين شخصية ثابتة تسعى لأن تصبح شخصية نامية وشخصية ثابتة من بداية الرواية حتى نهايتها.

والشخصيات المسطحة هي التي عادةً ما تبني "حول فكرة واحدة أو صفة لا تتغير طوال القصة، فلا تؤثر فيها الحوادث، ولا تأخذ منها شيئاً"[٤]فيمكن أن تتصف الشخصية بالصدق أو الكذب أو الأنانية أو العنف والعدوانية وتظهر هذه الصفة في كل أحداث القصة.

ولقد قسم بعض الدارسين الشخصيات بطريقة أخرى حيث" يجري النظر إلى أهمية الدور الذي تقوم به الشخصية في السرد والذي يجعلها تبعاً لذلك إما شخصية رئيسية (أو محورية)، وإما شخصية ثانوية أو مكتفية بوظيفة مرحلية"[٥]، أي أنها تقسم إلى رئيسية وثانوية،"أما الشخصيات الثانوية في القصة فكثيرة متعددة الأدوار مختلفة السمات منها ما كان ضبابياً لم تظهر إلا حركته وهيئته ليشارك في تكوين المشاهد..، ومنها ما اختفت ملامحه وبدت دخيلة نفسه"[٦] أما الشخصيات الرئيسية فيمكن أن تكون شخصية واحدة أو شخصيتين اثنتين أو أكثر.وفي الآداب

---

(١) انظر،هياس، خليل، قصيدة السيرة الذاتية قراءة في اشكالية المصطلح، الاردن عمان منشورات مؤتمر النقد الدولي الحادي عشر،٢٠٩

(٢) انظر،بحراوي، بنية الشكل الروائي، ٢١٥

(٣) نجم، فن القصة، ١٠٤

(٤) نجم، فن القصة، ١٠٣، انظر علي عودة ، الفن الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا، ٥٦

(٥) بحراوي، بنية الشكل الروائي، ٢١٥

(٦) أبو علي، في نقد الأدب الفلسطيني، ٢٧٨

القديمة تظهر "الشخصية الأسطورية تلك التي امتلكت قدرات ومواقف خارقة"[١]جعلها شخصية فريدة بامتياز.

ولا نستطيع ن نحكم على جميع شخصيات السيرة بأنها عميقة أو سطحية "فقد جعل فوستر مقياس الحكم على عمق شخصية ما أو على سطحيتها يكمن في الوضع الذي تتخذه تلك الشخصية تجاهنا، فهي إما أنا تفاجئنا بطريقة مقنعة وإما لا تفاجئنا مطلقاً"[٢]

فإن فاجأتنا الشخصية بطريقة مقنعة فهي شخصية عميقة متغيرة وإن لم تفاجئنا فهي شخصية سطحية.

ومن وجهة النظر الإسلامية يمكن تقسيم الشخصيات إلى شخصيات خيّرة تدافع عن الخير وتحاول نشره في المجتمع، وشخصيات شريرة تسعى لنشر الفساد، ويمكن أن تكون شخصية شريرة نامية تتحول من خلال الصراع إلى شخصية خيِّرة.

الجدير بالذكر أن هناك عوامل تؤثر في بناء الشخصية الروائية عامة وهي عوامل سياسية أوتاريخية أو اجتماعية أو اقتصادية، فمثلا نرى " الرواية الفلسطينية – كسائر فنون الأدب الفلسطيني – عكست الواقع التاريخي لحركة المجتمع الفلسطيني، من خلال المركبات الاجتماعية التي تفرضها كل مرحلة من مراحل هذا التاريخ"[٣]ويرى محمد محمود عبد الرازق" أن رؤيا الفنان هي صاحبة الحق الأوحد في فرض نفسها على العمل، حتى لو شاء الفنان نفسه، بحكم آماله وطموحاته، أو تأثره ببعض المقولات السياسية أو الاجتماعية أن تحيد عن طريقها أو تغير ولو قيد أنملة من مسارها"[٤]ولكن من أين تنبع رؤيا الفنان؟ أليست من الأفكار السياسية والاجتماعية والمبادئ والمعتقدات التي نضحت بها البيئة فشكلت شخصيته، والتي بدورها صُبت في العمل الأدبي.

---

(١) عودة، الفن الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، ٧٧

(٢) بحراوي، بنية الشكل الروائي، ٢١٥

(٣) أبو مطر، أحمد عطية، الراوية في الأدب الفلسطيني، ص٤١٤، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراق، ١٩٨٠م

(٤) عبد الرازق، محمد محمود، فن معايشة القصة القصيرة، الهيئة المصرية العامة للكتابة، ١٩٩٥، ٢٢٥

البطل في القصة:- الشخصية الرئيسية:

الشخصية الرئيسة في السيرة لا تختلف كثيرا عنها في الرواية ؛لأن الثانية هي رواية وانعكاس للواقع بصورة فنية وقد يخالط هذا التسجيل بعض المبالغة، في حين تعتبر السيرة هي الواقع نفسه من وجهة نظر الشخصية الرئيسية المحورية فيها،وهي شخصية المؤلف الراوية ولقد قسم أحمد عطية أبو مطر في كتابه الرواية في الأدب الفلسطيني البطل في الرواية إلى عدّة أنواع: البطل الضحية الذي يعتبر من أول الشخصيات التي لاقت اهتماماً في الرواية الفلسطينية لأن الأوضاع السياسية بعد عام ١٩٤٨م جعلت العديد من الأشخاص يعانون الفقر والعذاب والظلم، والبطل البيروني حيث نما الإحساس الذاتي عند الفرد نتيجة ظهور الطبقة البرجوازية فنشأ هذا البطل الغامض الذي يكتنف ماضيه سر وإثم فظيع والبطل الشعب بعد عام ١٩٦٧م الذي يعبر عن إصرار الشعب العربي على التصدي والمواجهة، والبطولة الأنثوية حيث قدمت المرأة الأم وأخت الفدائي والقائدة في العمل الثوري العسكري"[١]

ولا أبالغ إذا قلت إن هدف السيرة الذاتية الإسلامية كشف الستار عن خصائص ومميزات شخصية الأديب، والتي تعتبر محور النص الأدبي، فقد لاحظت أن غالبية كتاب السير الذاتية الإسلاميين كتبوا سيرهم بناءً على طلب مباشر من شخصياتٍ مقربةٍ لهم، وهم أولئك الذين رأوا في تلك الشخصيات مثالاً لا بد أن يحتذى، يقول التلمساني:" وذات يوم زارني في مكتبي بمجلة الدعوة الأستاذ عصام غازي مندوب جريدة الشرق الأوسط في القاهرة، وتحدث معي في كتابة مذكراتي، فكان جوابي أنني لا أستطيع كتابة مذكرات صحيحة مطابقة للواقع؛ لأن مرجعي سلب من بين يدي، ولكني إذا كتبت فسأكتب ذكرياتي، أي ما يعلق بذهني مما مر بي في حياتي، ومن المقطوع به أن الذاكرة ليست العماد الراسخ في سرد الأحداث؛ لأنها عرضة للخطأ حينًا وللنسيان أحيانًا، فقبل الرجل متفضلًا"[٢] ويقول الكيلاني:" والواقع أنني لم أفكر في كتابة سيرة ذاتية من قبل، فقد كنت أعتقد أنها من حق الأعلام البارزين وحدهم، أولئك الذين تركوا آثارًا بارزة على أحداث التاريخ، أو بصمات واضحة على حركة الحياة، لكني أمام رغبات ملحة من بعض الأبناء الأعزاء في الدول العربية والإسلامية، تطالب بكتابة شيء عن حياتي حتى يستعينوا بها، وهم يعدون رسالات الماجستير والدكتوراة في عدد من الجامعات، بخصوص الأدب الإسلامي"[٣] وزينب الغزالي تقول :"وإيمانًا منا بأن فترة سجننا وتعذيبنا هي من حق التاريخ، ومن حق الذين على

(١) انظر أبو مطر، أحمد عطية، الراوية في الأدب الفلسطيني، ٤١٦ – ٤٣٣

(٢) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٤

(٣) الكيلاني، مذكرات الدكتور، نجيب الكيلاني، ٦

الطريق أن يعوها ويدرسوها حتى يبقوا على طريق الجهاد ولا تتحول قضيتهم إلى سفسطة كلامية، وحديث ترف وقصة تاريخ، إيمانًا بهذا كله نزلت على رأي المخلصين من أبنائي وإخواني واستعنت بالله سبحانه وتعالى في جمع ما احتوته ذاكرتي مما كان، وإن كان من الصعب أن يستعاد بوصفه ونمطه"[١]

الشخصية الرئيسية *في سيرة علي الطنطاوي هي شخصيته نفسه*، بكل ما فيها من مميزات حيث تدور حولها كل الأحداث؛ لأنه يتحدث عن نفسه في كل مرحلة من مراحل عمره. فهو رجل مثقف وتظهر ثقافة الطنطاوي عند الحديث عن أي أمر:- فمثلاً عند حديثه عن صلاة الفاتح ومصدرها، قال:"وكان أول من نبه إلى ما يحف بهذه الصيغة (أعني صلاة الفاتح)وبين مصدرها وكشف خطاياها هو الشيخ محمد الخضر الشنقيطي، الذي كان من قبل مفتي المدينة المنورة ثم نزل الأردن، وشنقيط التي خرّجت طائفة من العلماء وعُرفَ أهلها بالحفظ حتى نقلت عنهم فيه وقائع تحسب من العجائب شنقيط هذه هي التي يدعونها اليوم مروتانيا"[٢].ومنه أيضاً قوله:-

"وحين كان أمير المؤمنين عمر يأكل الخبز بالزيت ويقنع بما قلَّ من الرزق كان يجزل عطاء القضاة، ومن نظر في "تاريخ قضاة مصر" للكندي رأي تفصيل ما أجملت"[٣] ومنه كذلك قوله: "ونسيت أنه (يقصد صديقه مصطفى الخن) أشبه الناس بأخي ورفيقي الشيخ مصطفى الزرقا على بعد ما بينهما في السن، يشبه في إتقان كل عمل يعمله وفي سعة صدره وطول باله، فأردت أن أتشبه به، فكان مثلي مثل القرد والنجار في كتاب كليلة ودمنة"[٤]، كما أنه اطلع على الأدب الفرنسي: "ثم إنني درست أروع ما في الأدب الفرنسي أدب كورتاي وراسين وموليير ولافونتين.. وأدب روسو وشاتو بريان ولا مارتين ودوموس هوجو..."[٥]

وشخصية الطنطاوي شبه ثابتة وإن طرأ عليها بعض التغيير بحكم الزمن إلا أنها ظلت تحمل نفس المبادئ والأفكار التي حملها في بداية شبابه.

أما الشخصيات الثانوية فهي إما شخصيات رافقت الطنطاوي في سنين طويلة، ومرّت عليها نفس الأحداث (كأصدقائه المقربين مثل أنور العطار)، أوشخصيات لها دور محدود لا

---

(١) الغزالي، أيام من حياتي، ٧

(٢) الطنطاوي، الذكريات، ج٧، ٣٥

(٣) الطنطاوي، الذكريات، ج٨، ٩

(٤) الطنطاوي، الذكريات، ج٨، ٢٠٦

(٥) الطنطاوي، الذكريات، ج٨، ٢٢٢

يتعدى موقف كشيوخه، وتلاميذه، وهي الشخصية التي تبنى حول فكرة واحدة، أو صفة واحدة لا تتغير طوال القصة"[١] .

أي أن الشخصيات الثانوية هي شخصيات له دور محدد تقوم به ثم تختفي بعد ذلك، وقد يذكرها مرة ثانية وقد لا يذكرها مطلقاً،وشخصياته الثانوية كثيرة جداً منها:-

١- أساتذته ومعلميه الذين تلقى على أيديهم العلم في مكتب عنبر أو في المدرسة السلطانية أو في المدرسة التجارية أو حتى معلمه في الكتّاب، وقد أبسط الحديث عنهم ذاكراً مناقبهم ومنهم:-

زين العابدين التونسي، وعيد السفرجلاني وسعيد مراد وغيرهم:- يقول: "الشيخ عيد هذا أعلم أن تسعة وتسعين بالمئة من قراء هذا الفصل لم يسمعوا باسمه ولا أحسبهم يهتمون بخبره، وكذلك يكون نصيب الجندي المجهول من ثناء الناس، ولكن ماله والناس؟ وما الذي يرجوه من الناس؟ إنه عند الله معلوم لا مجهول، وإنه يرجو ونرجو له من فضل الله ورحمته الجنة، ونرجوها لأمثاله من المجاهدين المخلصين والعاملين الصامتين"[٢]

ومنهم عبد الرحمن سلام والشيخ المبارك وسليم الجندي، وها هو يتحدث عن سليم الجندي بقوله: "أملى علي بيتين شعر للمعري وقال: اقرأ وفسّر وأعرب. وانطلقت أخطب في موضوع البيتين خطبة حماسية مجلجلة كما علمنا الشيخ سلام،وإذا بالأستاذ الجديد يبتسم ابتسامة أحسست كأنها كوب ماء على حماستي، بل كأنها سكين غرست في قلبي. وقال بهدوئه الساخر ولهجته التي بها نعومة السكين وحدّها، قال: بعد، بعد، فسَّر أولاً معاني الكلمات الغريبة فوقفت ثم سألني عن دقائق الإعراب فوقفت وقفة أخرى، فقال لي: أرأيت؟ أتبني الدار قبل نحت الحجارة؟"[٣] ومنهم أيضاً شفيق الجبري وفارس الخوري.

٢- جده علي الطنطاوي، يقول عنه الكاتب: "كان جدي نظامياً بطبعه، وزاده عمله في الجيش التزاماً بالنظام وحرصاً على التدريب، فكانت حياته كحياة تلميذ في مدرسة داخلية كل حركة

(١) عودة، علي، الفن الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، ٧٠

(٢) الطنطاوي، الذكريات، ج١، ١٠١

(٣) الطنطاوي، الذكريات، ج١، ٢٠٣

فيها بحساب وكل عمل له وقت"[١]ولجده الفضل في تشكيل جزء من شخصيته، فقد نشأ الطنطاوي محباً للعلم والعمل يستطيع أن يستثمر وقته في كل ما هو مفيد.

٣- شعراء ذلك العصر: محمد البزم ، خير الدين الزركلي صاحب الأعلام.

٤- أمه وابنته:- حيث يتحدث عن فقده لأمه وابنته: "في هذه السنة رأيت أشد يوم مرّ عليّ في عمري، وهو يوم ١٩٣١/٧/١٤م (٢٥صفر ١٢٥٠هـ) الذي بقيت مرارته في نفسي حتى جاء يوم أشد منه وأقسى هو يوم ١٩٨١/٣/١٧ الأول ماتت فيه أمي في مستشفى كلية الطب في دمشق بإهمال جراح أخذناها إلى عيادته، وفي الثاني قتلت بنتي وهي وحيدة في بيتها في آخن في ألمانيا برصاص مجرم معتد اقتحم عليها بيتها، لم نعرفه فنثأر منه لكن الذي يعرفه ويعرف من أرسله لن يهمله"[٢]

٥- أبو الحسن الندوي، حيث تحدث عنه وعن الندوة العالمية في الهند في ثلاث حلقات في الجزء الثامن من سيرته.

٦-أخوته: ويظهر في الكتاب اعتزاز علي الطنطاوي بإخوته "كان أخي عبد الغني نابغاً في صغره في الرياضيات يدهش منه كل من علمه من الأساتذة ويفاخر به، كما كان متقدماً في العلوم، فدخل المسابقة وكنت أحب أن ينجح فيها ولكن ما فكرت - إن نجح - في أمر سفره وحده وإنما قلت: إن دخولها إن لم ينفع لم يضر، ودخلها كثير من الطلاب، وكانت مسابقة صعبة وشاقة. ولكن الله منَّ علينا فكان أخي هو الأول في مسابقة الرياضيات وهو الأول في مسابقة العلوم"[٣]

في سيرة يوسف القرضاوي تعتبر شخصيته هي الشخصية المحورية ومن مميزاتها:

١- احترامه للمرأة وتقديره لزوجته وظهر ذلك في أكثر من موقف، يقول يوسف القرضاوي في إطار حديثه عن ولادة ابنه الأول وتسميته: "وكنت أوثر اسم (عبد الله) لأنه اسم أبي، وفي ذلك إحياء لذكره ولكن زوجتي فضلت اسم عبد الرحمن، فلم أحب أن أرفض رغبتها"[٤] ويقول أيضاً:- "وظللنا نتجول في المطار، وكان مطاراً

---

(١) الطنطاوي، الذكريات، ج١، ١٨٨

(٢) الطنطاوي، الذكريات، ج٢، ٩٧

(٣) الطنطاوي، الذكريات،ج٤، ١٠١

(٤) القرضاوي، ابن القرية والكتاب،ج٣، ٢٠٢

متواضعاً – ولم يكن بفخامة مطار بانكوك الحالي – ورأينا فيه بعض الهدايا التي يمكن أن تشترى، وقد اشتريت منها فصاً من الأحجار الكريمة يسمى "عين القط" أهديته بعد العودة لزوجتي"[١]

٢- يصف القرضاوي نفسه بالعاطفي، ولكنه ليس ذلك الذي يغلب قلبه عقله بل ذلك الإنسان الذي يشعر ويتأثر بما يمر به من مواقف، وعن ذلك يقول:- "وأنا رجل عاطفي، أحزن وأفرح، وأضحك وأبكي، وإن كانت عاطفة الحزن عندي أقوى، ومنها الحزن على الأصدقاء"[٢] وقد أوضح القرضاوي مشاعر الحزن على فراق من يحب ومن ذلك حزنه على فراق حسن البنا، يقول:"...ولكن هذه الشمس سرعان ما أظلمت في وجوهنا حين طالعتنا الصحف التي حجبت عنا هذه المدة، ووجدنا عناوينها الرئيسة تحمل هذا النبأ المفجع: اغتيال حسن البنا كما في جريدة الأهرام، أو مصرع الشيخ البنا كما في جريدة المصري"[٣]

٣-كان يستشير أصحاب الرأي. في أموره الشخصية ومنها ذهابه إلى الدكتور محمد يوسف موسى واستشارته في التخصص الذي يختاره حيث قال:- "أمامي خياران في الدراسة العليا بكلية أصول الدين علوم القرآن والسنة وعلوم العقيدة والفلسفة، وأنا مستوف الشروط للدراسة في كلتا الشعبتين، وربما كانت درجاتي أعلى في شعبة الفلسفة، وقد احترت بينهما حيرة شديدة، فأيهما تختار لي يا أستاذ؟"[٤]، فأشار عليه الدكتور أن يختار شعبة القرآن والسنة على أساس أنهما أساس ومصدر الشريعة، فأنس القرضاوي برأيه وقدّم إلى شعبة التفسير والحديث.

٤- يميل القرضاوي إلى إبراز رأيه وشخصيته في كل ما يتعرض له من مواقف ومن ذلك قوله: "وظهرت النتيجة بنجاحي وحدي في الشعبة وكل زملائي للأسف أخفقوا إما في الامتحان التحريري وإما في الامتحان الشفوي أو التعيين، ومعنى رسوبهم أنهم شطبوا من هذه الشعبة إلى الأبد.. وهذا تشديد وتعقيد لا ضرورة له فيما أرى ولا أرى أي جامعة تعامل طلابها بهذه القسوة، والحمد لله الذي نجاني بفضله.

---

(١) القرضاوي، ابن القرية والكتاب،ج٣، ٣١٣

(٢) القرضاوي، ابن القرية والكتاب،ج٤، ٢٦

(٣) القرضاوي، ابن القرية والكتاب،١٤، ٣٤٤

(٤) القرضاوي، ابن القرية والكتاب،ج٢ ، ٢٢٢

٥- القرضاوي يقدر العلماء حيث يعدد مشايخه وزملائه والعلماء الذي تعرف عليهم ويرد كل فضل لصاحبه وقد يقتضي ذلك صفحات عدّة، ولكن لايهمه ذلك بل يذكرهم واحداً واحداً كل باسمه ولقبه.

٦- تأثر القرضاوي بالعلماء الذين قرأ كتبهم، فخلال حديثه عن قصور السلاطين العثمانيين يقول: "ومن المعالم التي زرناها: قصر السلطان عبد المجيد، ويسمى "ظلْمه بخّشه" وهو – وإن دلَّ على ما وصل إليه السلاطين من غنى ورفاهية وفخامة وأبهة تبهر الأبصار فهو يدل على مدى انغماس السلاطين في آخر عصورهم بمظاهر الترف، والاغتراف في أسباب المتعة والترف، وهي بداية التدحرج والنزول من القمة إلى السفح. كما يقرر ابن خلدون في مقدمته"[١].

٧- يُعتبر القرضاوي من علماء المسلمين الذين لا نستطيع أن نفصل حياته الشخصية عن الأحداث العامة للأمة العربية والإسلامية، وهو يقرّ بذلك عندما يقول:-"ومن خلال هذه المذكرات سيمر القارئ بمعظم أحداث العصر في منطقتنا العربية والإسلامية، بحكم أني أعيش في قلب هذه المنطقة، وقلب هذه الأحداث وقد قدّر لي في هذه المرحلة أن أتفاعل بها ومعها متأثراً ومؤثراً، ولذلك يصعب أن تفصل ما هو شخصي عما هو عام. فقد كنا نعيش هموم الأمة، وآلامها وآمالها عليها نمسي ونصبح وننام ونستيقظ ونسكن ونتحرك"[٢]

في كتاب طفل من القرية لسيد قطب نجد أن الشخصية المحورية التي تدور حولها الأحداث هي شخصية الطفل القروي، طفل في السادسة من عمره يشعر بدهشة شديدة ممزوجة بالخوف عندما يرى بعض العادات القروية التي تعبر عن الخلل العقائدي والفكري وتوضح واقع القرية المغرق في الخرافات والأساطير.

فمثلًا عندما يرى المجدوب أو الولي – كما كان يطلق عليه أهل القرية –، وهو "يمزق ثيابه تمزيقاً، أو يتمرغ في الوحل، أو يكيل على رأسه التراب وعلى جسده العاري، حتى يكتسي أديمه من التراب والوحل ثوباً آخر غير الثوب الممزق المخلوع. كان ينطلق في طرقات القرية صائحاً بصوت مجلجل مرعب: الله... الله... الله، أو يسير في خطوات متوانية وهو يهمهمُ ويزوم إي... إي... إي.. أو ينفخ صدره بالهواء، ويقب ويغطس بقامته وهو يقول: حي... حي... حي"[٣]

---

(١) القرضاوي، ابن القرية والكتاب،ج ٣، ١٢٧

(٢) القرضاوي، ابن القرية والكتاب،ج٤، ٢٣

(٣) قطب، طفل من القرية، ٢

عندما يراه يشعر بخوف رهيب،ويعبر عن مشاعر هذا الخوف والرعب من المجذوب عندما مرض فنصحت الجارة أمه أن تذهب به إلى المجذوب كي ينام بجانبه ليلاً وسيستيقظ معافىً في الصباح – حسب اعتقادها–، يقول معبراً عن ردة فعله: "لقد وقف شعر رأسه، واقشعر بدنه، وهو يسمع هذا الاقتراح الرهيب. هو يبيت ليلة كاملة إلى جوار هذا الرجل الغريب؟ ولماذا لا يذهب إذن إلى جحر الثعبان أو عرين الأسد.. بل لماذا لا يلقي الشيطان وجهاً لوجه؟ أم أنه هو مجنون. ومع أنه لم يصدق لحظة واحدة أن هذا الكلام صحيح، وأن المرأة تجدُّ فيما تقول، إلا أنه لا يذكر أن شيئاً من الرعب قد دخل كيانه طوال حياته مثلما داخله وهو يسمع هذا المزح المرذول"[١]

ويعبر عن مشاعر خوف الطفل من المدرسة وهروبه منها في اليوم الأول، ويرجع سبب هذا الهروب إلى أحد جنود الجيش القدامى الذي عينته مديرية التربية والتعليم كي يتجول في القرى ويعلم طلابها الألعاب الرياضية، ويعلمهم بعض الحركات العسكرية، يقول عنه: وهناك تمرينات ثلاثة من الألعاب السويدية المعروفة تؤدي بهذه الإشارات على التوالي حسب التمرين (بير. هك. انش) والويل كل الويل لمن يخطئ من التلاميذ في حركة من هذه الحركات: إن عصا الخيرزان التي بيده تلهب ظهره وجنبيه، ثم إن الرجل كان يبدو في خيال هؤلاء التلاميذ الريفيين، وكأنه الشيطان في سرعة الحركة وخفة الوثب وحفظه العجيب للجمباز"[٢] وشخصية الطفل القروي شخصية ثابتة طوال القصة.

ولقد وردت عدة شخصيات ثانوية في القصة منها:–

١– الأم: وهي شخصية مسطحة، شخصية الأم التي تخاف على طفلها وتحاول أن تبعد عنه الأذى أيّاً كان. يقول: "كانت أمه تتطلع أن تأتي بشقيق يسنده ويؤاخيه، وكان هو يلتقط هذه الأمنية فيتمناها وإن لم يكن لها معنى حقيقي"[٣]

٢– شخصية العفريت: شخصية ثابتة وهي شخصية وهمية يؤمن أهل القرية بوجودها، وقد كان لها حضور قوي في سيرة سيد قطب مقارنة بالشخصيات الثانوية الأخرى.

٣– شخصية حرحور ويعبر سيد قطب عن كراهيته لهذه الشخصية بقوله:– "كان حرحور لصاً، ولكنه لم يكن اللص الوحيد في القرية إلا أنه دون من يُسمع عنهم جميعاً كان

---

(١) قطب، طفل من القرية، ٦

(٢) قطب، طفل من القرية، ١٠

(٣) قطب، طفل من القرية،٤٧

يسبب له الفزع الذي يتحول بسرعة إلى مقت، حتى ليود أن يقابل الشيطان ولا يقابل هذا الرجل بالليل والنهار"[١] وهي شخصية ثابتة وتمثل الشخصية الشريرة في القصة.

٤- الضابط الذي جمع الأسلحة، حيث يقول عنه الكاتب: "عندئذ يبتسم الضابط العبقري وهو يشاهد قطع السلاح المطلوبة تحضر بعد الإنكار، ويرد ذلك إلى عبقريته التي أرشدته إلى اختيار أقوم الطرق[٢] يقصد طريق العنف والتعذيب..وهي أيضا شخصية ثابتة غير متغيرة.

٥- العمدة: حضوره كان ضبابياً بالرغم من أنه المسئول الأول في القرية، ويرجع إلى شدة ضعفه أمام رجال الحكومة، يقول سيد قطب موضحاً شخصيته:-"أما العمدة فقد اشترى نفسه وكرامته من أول الأمر، لقد كان حصيفاً... رأى العين الحمراء، فسارع إلى وسيلة مضمونة لإرضاء الحكام، أهداه إليها تجربة طويلة وذكاء عملي ومقدرة على جميع الوسائل والاتجاهات"[٣]فبالرغم من توصيفه للعمدة بالذكاء إلا أننا نلمح سخرية الكاتب واستهزائه به بين ثنايا الكلمات، فبهذا الذكاء لم يستطع أن يدافع عن نفسه، فهو ضعيف لا يملك من أمر نفسه أو أمر قريته شيئاً.

فإن كانت شخصية حرحور تعبر عن الشخصية المكروهة والشريرة في القرية فإن الأم تعبر عن الشخصية المحبوبة عند الكاتب، كما أن العمدة يعبر عن الشخصية الضعيفة، والعفريت عن الشخصية الوهميةالمسيطرة بقوة على عقول أهل القرية البسطاء.

نجد في كتاب (أيام من حياتي) للكاتبة زينب الغزالي أن الشخصية الأساسية في القصة هي شخصية المؤلفة أو الساردة أو البطلة زينب الغزالي نفسها.

وهي شخصية ثابتة، تتميز بالقوة والصمود على المبدأ، والقدرة على المواجهة، لا يضيرها أن تتحدى من هم أكبر منها مكانة أو منزلة إذا كانت مؤمنة بالقضية التي تنافح عنها، بالرغم من أنها مرت بتجربة عصيبة في فترة محددة من حياتها، هذه التجربة يعجز عن تحملها كثير من الرجال، كما أنها مؤدبة في حديثها، تحترم الجميع ذكية قليلة الكلام، تميل إلى الجد ولا وقت لديها للهزل، قارئة للقرآن تحافظ على صلاتها وقيامها.

---

(١) قصب، طفل من القرية، ٧١

(٢) قطب، طفل من القرية، ٨٢

(٣) قطب، طفل من القرية، ٨١

أما الشخصيات الثانوية فهي نوعين:-الأول التقت به الكاتبة داخل السجن والثاني التقت به الكاتبة خارج السجن:

أولاً: الشخصيات خارج السجن:- شخصيات معظمها من الإخوان المسلمين، وبعضها من نظام الرئيس المصري جمال عبد الناصر، منها:

١- سكرتيرة مركز الأخوات المسلمات. وشخصيتها ثابتة تحاول أن تقوم بعملها بجد وإخلاص.

٢- أحمد راسخ:- وهو اسم دلَّ على ثلاثة وجوه إي أنها شخصية وهمية وبالرغم من ذلك فهي شخصية ثابتة؛ لأنها تعبر عن وجه المخابرات التابعة للنظام المصري، وبالرغم من ذلك فقد اعتبرتها الكاتبة شخصية ضبابية غير واضحة المعالم. تقول الكاتبة: "ونظرت إليه بتدقيق وكأني أبحث طوله وعرضه، فقد دعيت مرة إلى وزارة الداخلية لمقابلة شخص يسمى أحمد راسخ!.. وذهبت إلى هناك وكان فوق مكتبه لوحة مكتوباً عليها أحمد راسخ، ثم حدث أن زارني قبل يومين الشخص الذي يسمى نفسه أحمد راسخ، وها هو شخص ثالث يدعى أحمد راسخ يزورني!! اسم واحد لثلاثة شخصيات مختلفة"[١]، ويبدو أن هذا الاسم اسم حركي في المخابرات وليس اسماً حقيقياً.

٣- الشهيد حسن البنا:- تحدثت عن العلاقة مع حسن البنا وكيف قامت بمبايعته.[٢] وشخصيته ثابتة، فهو الإمام المصلح الداعية الذي يبذل كل وقته في سبيل الدعوة إلى الإسلام.

٤- الشهيد عبد القادر عودة:- وشخصيته ظهرت في موقف واحد وهي ثابتة[٣]

٥- عبد الفتاح إسماعيل:- ورد ذكره كثيراً حيث قابلته المؤلفة وجهاً لوجه ودار الحديث عنه أثناء التحقيق معها.[٤]وهو إنسان مبادر، من السهل الوثوق به، صادق، لديه رغبة عارمة للجهاد في سبيل الله واستعداد أكبر على تنفيذ هذه الرغبة.

٦- زوج زينب الغزالي:- شخصية ثابتة من بداية القصة إلى نهايتها[٥] فهو الزوج الوفي المؤمن المسالم الذي أبى أن يطلق زوجته حتى في أحلك الظروف، بالرغم من

---

(١) الغزالي، أيام من حياتي، ٢٣

(٢) انظر الغزالي ، أيام من حياتي، ٢٧ – ٣٠

(٣) انظر الغزالي ، أيام من حياتي، ٣١

(٤) انظر الغزالي ، أيام من حياتي، ٣٥ – ٣٧، ١٠١ – ١٠٧، ١٢٨ – ١٣٣، ١٣٦ – ١٥٩

(٥) انظر الغزالي ، أيام من حياتي، ٣٩ – ٤٢

الضغط الشديد الذي تعرض له إلى أن سُجن وهو في مرضه الأخير، كما أنه رجل مسالم كبير السن لا يستطيع أن يجاري الشباب في اندفاعهم، لذلك فهو شخصية إنسانية ضعيفة.

٧- الشهيد سيد قطب شخصية ثابتة[١]في قصة الغزالي؛ لأنها تتحدث عن فترة محددة من حياة سيد قطب، وهي فترة السجن بعد انضمامه لجماعة الأخوان المسلمين وتأليفه كتاب معالم في الطريق، وتصوره زينب الغزالي بأنه المؤمن القوي الصداح بالحق المستسلم لقضاء الله، قائد قدوة يهابه الجميع.

ثانياً: الشخصيات الثانوية داخل السجن:-

١- شمس بدران: تكرر اسم شمس بدران كثيراً خلال أيام زينب الغزالي حتى تكاد لا تخلو صفحات معدودة أو قصة تعذيب من اسمه[٢]، وهو -في نظرها- إنسان جاهل غير مؤدب، لسانه قذر، عدواني جداً وعنيف.

٢- صفوت الروبي: أحد زبانية العذاب في السجن العربي.[٣] وشخصيته مسطحة.

٣- حمزة البسيوني:- أحد زبانية العذاب[٤] ،والشخصيات الثلاثة ثابتة؛ لأنها تعتبر آلة التعذيب الخاصة بالسجن الحربي.

٤- الجندي المارد الأسود: شخصيته نامية متطورة حيث دخل على زينب الغزالي الزنزانة يريد أن يرتكب فيها الفاحشة، وغادر زنزانتها وهو تائب لله عز وجل[٥]

٥- وكيل النيابة: وهو تابع للنظام ومنفذاً لكل ما يريد[٦] لذلك فشخصيته ثابتة.

٦- علي عشماوي:- وهو أحد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين إلا أنه اعترف على إخوانه فخرج من التنظيم لذلك فتعتبر شخصيته نامية ولكن ليس النمو الايجابي وإنما السلبي.

---

(١) انظر الغزالي ، أيام من حياتي، ٤٣

(٢) انظر الغزالي ، أيام من حياتي، ٥٢

(٣) انظر الغزالي ، أيام من حياتي، ٦٧، ص٧٠ – ٧١، ٧٤، ص٧١، ٨٨ – ٨٩، ٩٣، ١١٥، ١٠٨ – ١١٢، ٩٧ – ١٠٠

(٤) انظر الغزالي ، أيام من حياتي، ٨٦، ص١١٧ – ١١٩

(٥) انظر الغزالي ، أيام من حياتي، ١١٢ – ١١٥

(٦) انظر الغزالي ، أيام من حياتي، ١٢٣ – ١٢٦

٧- الكلاب:جائعة ومسعورة تنهش كل من يقترب منها، ولكنها أكثر رحمة في عرف الكاتبة من شياطين السجن.

تعتبر شخصية عمر التلمساني في كتابه ذكريات لا مذكرات شخصية رئيسة ومركزية أيضاً، وشخصيته تعتبر شخصية عميقة مدورة فقد نشأ في بداية حياته على الرفاهية والعيش الرغيد كما كان مفضلاً عند والده لا يطلب شيئاً إلا وجده أمامه، تعلم الرقص بأنواعه والموسيقى والعزف على العود وتسلى في السينما يقول: "فقد عرفت كل ما يعرفه الشبان الوارثين، عدا الزنا والخمر، من ارتياد السينما والمسرح والرقص في الصالات"(١)

ثم غلب على حياته بعد ذلك التعب والجد والاجتهاد، والحركة الدائبة المستمرة للدعوة إلا الله، تّخللتها فترات طويلة قضاها في سجون عبد الناصر شعر فيها بالألم والقهر والحزن، والتزامه بدعوة الإخوان المسلمين كان بداية التغيير"(٢)كان يحب الملاكمة ولكنه اعتزلها مبكراً، يحب الطيران حتى وهو في مراحل متأخرة من عمره، يقول:"كنت أحب أن أطير وقد بلغ بي هذا الهوى إلى حد مزاولته في عالم الأحلام، ربما إلى اليوم، فأنا في النوم كثيراً ما أطير، ولا تدهش إذا قلت لك إن رحلاتي إلى أوروبا وأمريكا وآسيا في سبيل الدعوة الإسلامية بلغت عشرات العشرات بلا سآمة أو ملل .. طيران يسلمني إلى طيران"(٣)

ولقد مر خلال مسيرته على مجموعة كبيرة من الشخصيات، كلها تعتبر ثانوية منها شخصيات مسطحة أي لم تتغير خلال سرده للأحداث مثل جده عبد القادر باشا التلمساني.وحسن البنا: وهي الشخصية الثانوية الأبرز في سيرة التلمساني حيث يحكي عن انضمامه لجماعة الإخوان المسلمين وبيعته للشهيد حسن البنا، يقول:"ولما أنهى حديثه(أي حسن البنا) الذي لم أقاطعه فيه مرة سألني: هل اقتنعت؟ وقبل أن أجيب قال في حزم: لا تجب الآن، وأمامك أسبوع تراود نفسك فيه، فإني لا أدعوك إلى نزهة ولكني أعرضك لمشقات، فإن شرح الله صدرك فتعال الأسبوع القادم للبيعة، وإن تحرجت فيكفيني منك أن تكون صديقاً للإخوان المسلمين"(٤)، كما ترجم لحياة الشهيد في الحلقة السادسة من سيرته. وقد تعرض لكثير من الصفات التي تميز بها حسن البنا من خلال المواقف المتعددة التي ضمنها السيرة، فحسن البنا المرشد الأول للإخوان المسلمين

---

(١) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٢٠

(٢) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٣٢ – ٣٣

(٣) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ١١

(٤) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٣٨

تميز بالتواضع ونبل الأخلاق وعلو الهمة فهو قائدا وأخًا محبًا، وحسن الهضيبي تميز بالحكمة والهدوء.

الرئيس جمال عبد الناصر كان له حضور في سيرة التلمساني، حيث تحدث الكاتب عن حادث المنشية الذي اتهم فيها الإخوان بمحاولة قلب نظام الحكم ضد عبد الناصر ونظامه،.وتعتبر شخصية عبد الناصر شخصية مدورة نامية –حسب وجهة نظر الكاتب– حيث بدأ إنسانًا مستعدًا لبذل كل ما يستطيع في سبيل القضاء على الفساد ودفع مصر إلى حياة أفضل، ثم سرعان ما انقلب على من ساعدوه في ذلك وكشف عن وجهه الآخر، ذلك الوجه الذي يملأه الحقد والكره للإخوان المسلمين فدبر لهم المؤامرات وزج بهم في المعتقلات.

وتطرق في سيرته إلى مواقف لقيادات إخوانية كالمرشد العام للإخوان المسلمين حسن الهضيبي، وقيادات أحزاب مصرية أخرى كقيادة حزب الوفد، وكلها شخصيات مسطحة ذات صفات لم تتغير مع مرور الزمن تتميز بقوة الصبر والعمل المستمر.

يعتبر منير الغضبان هو الشخصية الأساسية في سيرته كشف المستور، كان محباً للتمثيل منذ صغره يقول:" وتشرب حب التمثيل بدمي منذ عام ١٩٤٩م في الصف الثالث الابتدائي"[١]ويقول أيضاً:"كنت كاتباً وحوارياً ومخرجاً وممثلاً ومدرباً"[٢] ، كان الغضبان يحب القراءة والمطالعة يقول في كتابه:"لقد كان حب المطالعة جزءاً من كياني، ولا شك أن البيئة المثقفة كان لها أثراً كبيراً في تنمية هذه الهواية"[٣] لديه قدرة على الجدال والإقناع، يقول معبراً عن ذلك:"كنت طفل الأفكار ، ولم أبلغ بعد سن البلوغ، كانوا يسمونني المجادل، أجمع رفاقي وأنزل في الطين، فأقنعهم أن النزول في الطين خير وذو فوائد، فيقتنعون مني، ثم أقنعهم أن النزول في الطين شر وذو أضرار فيقتنعون بالعكس ولا يجرؤ أحد على مجاراتي في ذلك أو أن يتحداني أحد"[٤] وقد برزت عدة شخصيات أخرى ثانوية منها:

١. والده ووالدته:يقول موضحاً دور والده في تنشئته:"كان والدي رحمه الله يحبب إلي الصلاة بكل وسيلة، وكنت حتى الصف الرابع الابتدائي أدعو أمي عند الفجر لتسخين الماء من أجل الوضوء في الأيام الباردة حيث الثلج والزمهرير، وأعطت التربية ثمارها

(١) الغضبان، كشف المستور،٣٠

(٢) الغضبان، كشف المستور،٥٩

(٣) الغضبان، كشف المستور،٣٤

(٤) الغضبان، كشف المستور،٦٠

خلال السنوات الأولى من الحياة حتى العاشرة، حيث تم تكوين العادات الخيرة والأفكار النيرة"[١]

٢. الأخ الأكبر للكاتب: "كان أخي الأكبر رحمه الله مثقفًا تابع دراسته، وكنت وأنا في الخامسة من عمري أفخر به على أقراني، وعندما جاء والدي يدعوني للذهاب إلى المدرسة وكنت ألعب بالتراب مع رفاقي الصغار قلت له: هل يسألوني عن أخي؟ قال: نعم. فنفضت يدي من التراب ومضيت مع أبي للمدرسة يقول أيضا:"كان أخي الأكبر هو الذي رسم لي خط حياتي وإن كنت وصلت إلى مرحلة أوجه نقدي إليه"[٢]وهي شخصية ثابتة كانت سندًا وعونًا للكاتب طوال فترة الطفولة والصبا، ويظهر حب الكاتب وتقديره لأخيه في السطور السابقة.

٣. فضيلة الشيخ مصطفى السباعي–رحمه الله– يقول عنه:"كنت أسمع عن فضيلة الشيخ مصطفى السباعي ولم يكن قد نال شهادة الدكتوراه ، وأسمع بالإخوان المسلمين في بيتنا إذ كان أخي الأكبر منهم، وجاء السباعي رحمه الله لزيارة التل. وكأنني أعيشها اللحظة أمامي. أفكر فيه وأفكر برؤيته، وقد كلفت في المدرسة بمراقبة بربيش الماء؛ لكي لا يفلت، وأتساءل كيف أراه...ثم يواصل وانتهت الصلاة وتجمهروا حوله يسلمون عليه، وها هي اللحظة ماثلة أمامي ثانية، أذكر أني اقتحمت تجمع الكبار تسللت حتى وصلت إليه رآني طفلًا صغيرًا بين هؤلاء الكبار، ونظر إليَّ وتركهم. قال لي: السلام عليكم . قلت وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته قال لي: أنت من الإخوان المسلمين؟ ومد يده وصافحني فصافحته وأجبت: نعم أستاذ. ومر الزمن وأنا أفخر بهذا اللقاء وهذه البيعة والمصافحة"[٣]، وشخصيته ثابتة تعبر عن شخصية الداعية الذي يحمل هم الإسلام.

٤. جمال عبد الناصر : يقول الكاتب عنه: "عشت المرحلة الثالثة التي أعلن فيها عبد الناصر تأميم قناة السويس وقانون الإصلاح الزراعي والحياد الايجابي والسد العالي وحرب السويس، حيث تغيرت الدنيا وتغيرت القلوب وصارت ترى في عبد الناصر المنقذ الأكبر، وبقي الإخوان وحدهم ضده ويُتهمون بالعمالة للإنجليز والأمريكان ؛ لأنهم ضد عبد الناصر رغم تأييدهم للتأميم، والبرقية التي بعث السباعي رئيس المكتب التنفيذي للإخوان المسلمين في البلاد العربية وفي وضع أموال وأرواح الإخوان فداء

(١) الغضبان، كشف المستور،٤٣

(٢) الغضبان، كشف المستور، ٢٨

(٣) الغضبان، كشف المستور، ٣٢

لمصر"[١]، في الكتاب شخصيته ثابتة لم تتغير فهو شخصية معادية للاخوان المسلمين.

٥. الأستاذ الشاعر أنور العطار: شخصيته شخصية نامية تتأثر بالأحداث والمواقف يقول عنه الكاتب إنه كان يدرسهم مادة الأدب العربي، ولم يكن الكاتب يشارك في النشاط فيتصوره بليداً، وكثيراً ما كان ينام أثناء الدرس فينزعج منه أكثر، ويكمل الغضبان قصته بأنه يوم إعلان الوحدة شارك بكلمة على منصة المدرسة عن الوحدة ولم يكن يريد معلمه منه المشاركة ولكن الطلاب أقنعوه بأنه أهلٌ لذلك فوافق المعلم كارهًا، ولكن بعد إلقاء الكلمة تغير موقفه "وإذا بالأديب الشاعر الذي كان يكرهني إلى درجة المقت يتقدم إليّ أمام المدرسين والطلاب ويقبل رأسي شاكراً على هذه الكلمة واكتشف مواهبي وتغيرت الدنيا فصرت أحب الطلاب إليه"[٢]، وقد وضح جانب القصور في شخصية العطار كمعلم وهي عدم التعرف على جميع الطلاب، وعدم دراسة شخصياتهم لمعرفة ميولهم وقدراتهم.

٦. عصام العطار: أحد قيادات الإخوان المسلمين في سوريا، وشخصيته ثابتة كان لها دور في تشكيل شخصية منير الغضبان، يقول:"وأن كانت الشخصية الثانية من العظماء التي احتلت قلبي وغذت عواطفي ومشاعري، وتربيت على خطبها واستحوذت على قلبي هي شخصية الأستاذ عصام العطار قائد الإخوان المسلمين بعد السباعي حيث كان تأثيره أسبوعياً من خلال حضوري لخطب الجامعة التي كان يلقيها في مسجد الجامعة"[٣].

٧. رفعت الأسد: قائد جيش نظام حافظ الأسد الذي اقتحم مدينة حماة، وهي شخصية شريرة في نظر الكاتب يغلب عليها القسوة والعدوانية والوحشية، وهي شخصية ثابتة.

٨. د. يوسف العش عميد كلية الشريعة ومدرس مادة التاريخ الإسلامي والذي أشرف على إعداد وإخراج كتاب معاوية بن أبي سفيان لمنير الغضبان، وشخصيته تربوية قادرة على العطاء، يحترم طلابه ويقدر أعمالهم وشخصية ثابتة.

شخصيات ثانوية كثيرة دورها محدود جدًا، وكلها شخصيات ثابتة منها:عبد الوهاب نور الأمين العام المساعد للندوة العالمية للشباب المسلم، والدكتور سعد الدين الزهراني عميد

---

(١) الغضبان، كشف المستور، ٧٥

(٢) انظر، الغضبان، كشف المستور، ١٠٣-١٠٤

(٣) الغضبان، كشف المستور، ٣٣

معهد البحوث العلمية، وهي شخصيات عادية ثابتة همها الأول تطوير التعليم في السعودية.

من الشخصيات الأدبية التي تأثر بها الكاتب وتعرض لها بالذكر د.سهير القلماوي ود.بنت الشاطئ و د.شوقي ضيف، و د. عز الدين إسماعيل، ود. ناصر الدين الأسد، ولم يتحدث عن هذه الشخصيات كثيراً بل تعتبر شخصيات ضبابية غير واضحة المعالم.

يميل الغضبان عند ذكر الشخصيات إلى عدم ذكر الأسماء ويعمد إلى ذكر الألقاب خاصة عندما يتحدث عن الإخوان المسلمين وعن محنة سوريا وكثيراً ما يقول: أخي، أو أحد الأخوة، أو أحد أعضاء كذا، ويرجع ذلك في اعتقادي إلى غلبة الحس الأمني على أسلوب الكاتب نظراً للظروف السياسية التي عاشها داخل سوريا أثناء حكم نظام حافظ الأسد.

الشيخ أحمد ديدات هو الشخصية الرئيسية في سيرته (هذه حياتي)، وشخصيته نامية متغيره فقد كان مجرد عامل في دكان قريب من موقع إرسالية آدمز ميشين ثم أصبح داعية يقارع مبشري المسيحية، وقد شهد له المسلم والكافر على حد سواء بالكفاءة والقدرة على الجدال والإقناع ، وتتميز شخصيته بحب القراءة حيث يقول: "وكان لدي توقٌ شديدٌ للمعرفة وللقراءة"،كما أن شخصيته مركبة فهي مسالمة هادئة من ناحية (في إطارها الشخصي)، وهي شخصية قوية متحدية مجدّة صابرة تسعى لهدف واحد وهو توضيح الإسلام كدين في أذهان المسلمين غير العرب وغير المسلمين، لديه إحساس بالهم الإسلامي وبالخطر التبشيري على المسلمين خاصة في أفريقيا، ويسعي جاهداً لمجابهة ذلك كما أن لديه سعة في التفكير وحسن في الرأي ولولا ذلك لما نجح المركز الإسلامي الذي أنشأه.

ومن الشخصيات الثانوية البارزة في سيرته:

١- فيرفاكس: وهو انجليزي اعتنق الإسلامي، يقول أحمد ديدات: "اقترح شخص انجليزي اعتنق الإسلام واسمه فيرفاكس.. اقترح على كل من لديهم الرغبة والاستعداد –من بيننا– أن يدرس لنا (المقارنة بين الديانات المختلفة) وأطلق على هذه الدراسة اسم (فضل الكتاب المقدس) Bible Class وقال: إنه سوف يعلمنا كيف نستخدم (الكتاب المقدس) في الدعوة للإسلام، فوافقنا على هذا وكنا سعداء"[١]وشخصيتة متغيرة فقد تعهد بأن يعلمهم وبعد عدة حلقات اختفى فاضطر أحمد ديدات أن يكمل الطريق.

(١) ديدات، هذه حياتي، ٢٠

٢- الحاج قدوة: "كان الحاج قدوة منهمكاً في ربط حذائه، وكنت أنا مشغولاً بربط حذائي.. فإذا ب (الحاج قدوة) يخاطبني قائلاً: إنه قد شاهد ما أقوم به، وأبدى تقديره وإعجابه بعملي، ثم قال لي: بأنه يمتلك خمسة وسبعين فداناً من الأرض في مكان يدعي (بريمر) على بعد حوالي ٥٥ ميلاً خارج مدينة ديربان وأنه على استعداد أن يهديها إليَّ، فقلت له: إني أتقبل عرضك. فعقب قائلاً: "ليس بهذه السرعة. عليك أولاً أن تلقي نظرة على المكان فقلت له: وما الذي تُريدني أن أتيقن منه على الطبيعة؟.. فأصر علي أن أزور المكان وأرى الموقع"[١]، وتعتبر شخصيته شخصية معطاءة كريمة يبذل كل ما يستطيع في سبيل خدمة الدين (ثابتة)

٣- عبد الرحمن: أحد العاملين في المركز الدولي للدعوة الإسلامية في مدينة ديربان في جنوب أفريقيا، دوره في القصة ينحصر في أنه يصطحب السياح إلى المسجد في جولات سياحية بهدف الدعوة إلى الإسلام، عبد الله ديدات: والذي يقوم بمساعدة أحمد ديدات في تنفيذ أنشطة المركز الدولي للدعوة الإسلامية، وكلا الشخصيتين شخصيات ثابتة لها دور محدد أدته. شخصية الرواي واضحة المعالم في سيرة ديدات؛ لأنه ينقل إلينا ما يراه بعيينه من حديث ديدات نفسه من خلال ما تمَّ تسجيله مسبقاً.

٤- شخصية المعلق على فقرات الشريط التسجيلي: "يقوم المعلق في النهاية بإلقاء الحديث التالي، يتخلله مشاهد لدولة جنوب أفريقيا: كانت هذه صورة عن الوجود الإسلامي في جنوب إفريقيا.. صورة لأقلية مسلمة في بيئة تنتمي جغرافياً إلى إفريقيا لكن الروح السائدة والمسيطرة أوروبية غربية، تفرض كيانها بشتى الوسائل والطرق"[٢] وهذه الشخصية لا تظهر إلا في هذه السيرة نظراً لأن هذه السيرة تختلف عن باقي السير الأخرى، فهي تفريغ لمحتويات شريط مسجل.

وألاحظ مما سبق أن الشخصية المحورية أو شخصية البطل في السيرة الذاتية هي شخصية الراوي المؤلف ، وهي التي تدور حولها الأحداث،ما لا توجد في السير موضوع البحث أي شخصية موازية للشخصية الرئيسة أو حتى شخصية لها دور كبير يقترب من الشخصية الرئيسة، الشخصيات الثانوية في السير المنتقاة عبارة عن شخصيات لها دور محدد تقوم به يخدم الغرض الذي يحدده الكاتب ثم ينتهي هذا الدور، وقد تعود للظهور في قصة أخرى وقد لا تعود مطلقاً

---

(١) ديدات، هذه حياتي، ٢٣

(٢) ديدات، هذه حياتي، ١١٩

الأحداث

الأحداث في السير الذاتية لا تختلف عنها في الرواية أو القصة، ولكنها أحداثاً حقيقية عاشها المؤلف وحدثت في الزمن الماضي، ويعرف محمد التونجي الحدث بقوله:"جزء متميز من الفعل في القصة. وهو سرد قصير يتناول موقفاً أو جانباً من موقف. فإذا تجمعت الأحداث وتلاحمت أصبحت سلسلة أحداث في الحبكة"(١)، وإذا كانت "الرواية تروي أحداثاً هي عبارة عن أفعال تقوم بها شخصيات روائية متخيلة، في واقع متخيل، بمعنى أنه واقع روائي تمت صياغته بشكل فني، لا يعبأ أن يكون شبيهاً بالواقع، تماماً كما لا يعيبه أن ينزاح عنه إلى مدى تستطيع التجربة أن تستوعبه"(٢)فإن السيرة تروي أحداثاً تقوم بها شخصيات حقيقية، في واقع حقيقي، ولكن تمت صياغتها بشكل فني أيضاً، ولابد أن يكون الكاتب صادقا أي أن يكتب ما حدث فعلاً ."وما عاد للإبداع قيمة إلا إذا خرج من شبكة العلاقات الواقعية، بعد ممارسة حالات من الجدل معها ومع كل مكوناتها... إلا إذا خرج إلى (فن الواقع) وجمالياته ورؤيته الممتدة"(٣)إذن لابد من مزج الواقع بكل جمالياته بخيال الكاتب وإبداعه حتى نخرج مركباً يستمتع به القارئ ويكون لبنة في بناء شخصيته، ويرتقي بتذوقه الفني، فقد "قال بعض النقاد: إن الجمهور كالطفل إذا نشأناه على التدليل فسدت تربيته، وساءت طباعه، وشب على خصال يتعذر عليه أن يتخلص من بلائها فإن دللنا الجمهور فيما نعرضه عليه من إنتاجنا الفني تحكم فينا كما يتحكم الطفل المدلل في أبويه، فنضطر إلى مجاراته في متباين رغباته ونقدم له ما يرضي ميوله ونزعاته"(٤) ، و"إذا أراد الكاتب أن يُدخل فكرة له إلى حيز النسيج الروائي فإنه يمهد لها بما يجعلها مقبولة وداجنة وليست غريبة ونشازاً"(٥)وهذا يلزمه ذكر أحداث جزئية صغيرة كي يصل إلى الحدث الرئيسي الذي يريده، وهذه هي طريقة سيد قطب في كتابه طفل من القرية حيث أنه يقدم لكل حادثة بما يتلائم معها من أفكار ومظاهر ليصل إلى النهاية التي يرجوها، مثلاً عندما تكلم عن ضابط الجمباز أو مدرس الرياضة بتعبيرنا الحالي وما وقع منه من أحداث مهد لذلك بحادثة دخوله المدرسة واختلاف الأسرة حول هذا الموضوع."(٦)

---

(١) التونجي، محمد، المعجم المفصل في الأدب، ج١، ٣٥٠

(٢) أبو بكر، وليد، تجليات الواقع في الفن القصصي، ٣٣

(٣) ياغي، عبد الرحمن، في النقد التطبيقي مع روايات فلسطينية، ص٧٩، دار الشروق، ط١، ١٩٩٩م.

(٤) تيمور، محمود' دراسات في القصة والمسرح فن القصص،ص٢٨٠، المطبعة النموذجية، القاهرة.

(٥) أبو اصبع، نحو دارسة تأهيلية للرواية الفلسطينية المعاصرة، ، ص

(٦) انظر، قطب، طفل من القرية، ص٧

في الأدب الإسلامي الحديث لابد أن تحمل السيرة فكرة أو مجموعة من الأفكار، يتولى الكاتب الدفاع عنها ومحاولة إقناع القارئ بها ويؤكد على ذلك الدكتور محمد غنيمي هلال ويرى وجوب مشاركة الأديب بالفكر والشعور والفن في القضايا الوطنية الإنسانية فيما يعاني الآخرون من آلام ويبنون من آمال.، والالتزام موقفاً يتخذه الأديب، واعتقاداً يدين به ونظاماً يجاهد له، وبعبارة أوضح هو دعوة سياسة ينادي بها، أو مبدأ أخلاقي يتبناه أو عقيدة دينية يتولى الدفاع عنها، وتخترق شعره"[1]فيجب ألا تسيطر الأحداث الشخصية على الأحداث العامة في السيرة الذاتية الإسلامية، وإن كانت ترجمة ذاتية للشخص نفسه، فكاتب السيرة الذاتية غالباً ما يكون قائداً مؤثراً وينتظر منه المجتمع أن يحكي كلمته في كثير من القضايا المجتمعية العامة، فالكاتب الإسلامي لا يكتب لمجرد التسلية بقدر ما يكتب لنقل الافكار والمعتقدات وليوضح قضايا وأحداثاً غابت عن وسائل الإعلام.

تعدُّ سيرة سيد قطب من هذا النوع، وهو الأدب الملتزم الذي يحمل فكرة يريد الكاتب أن تتسرب إلى عقل وفكر القارئ، ومن الأفكار التي اهتم بها في سيرته قضية الإيمان بالأساطير والخرافات في القرية وكيفية مواجهتها، المحافظة على الأرض وعدم التفريط فيها مهما كانت الظروف، إكرام الضيف مهما كان ضعيفاً أو فقيراً، توظيف أساليب تربوية حديثة في المدارس لتشجيع الأطفال على طلب العلم، والابتعاد عن العنف قدر الإمكان.

انتقاء الأحداث:

اختلف الدارسون حول طبيعة الأحداث التي يجب أن تتضمنها السيرة، فالبعض يرى أن السيرة يجب أن تكون أقرب إلى الاعترافات حيث يكتب كل ما مر به في حياته من أحداث حتى ما يخجل منه، والبعض الآخر يرى أنه لابد أن ينزه الكاتب نفسه عن كل ما يشين.

في الأدب الإسلامي نجد أن كتاب السيرة الإسلاميين لهم آراء عدة، التلمساني وافق الرأي الأول، وفي ذلك يقول:"نظرتي إلى مثل هذه المذكرات يجب أن تكون صادقة مع الأحداث، لا مع وجهة نظر من يتولى كتابة مذكراته، لأن الأمر أمر تاريخ، والتاريخ إما أن يسرد في صدق وأمانة، وإما البعد عنه تحسباً من الخطأ والتضليل للأجيال القادمة، إذا قرأ من ناحية واحدة، إذا أضفنا إلى ذلك أن في حياتي بعض ما لا يرضي المتشددين من الإخوان أو غيرهم، كالرقص الإفرنجي

(١) انظر، تحرير جميل عطا، الأدب الإسلامي الواقع والطموح بحوث المؤتمر الثاني لكلية الآداب آيار ١٩٩٩م، الزرقاء الأردن، ٢٢٥- ٢٢٦

والموسيقى، وحبي للانطلاق في حياتي بعيداً عن قيود التزمت."[١] ، أما يوسف القرضاوي فيميل إلى الرأي الثاني حيث يرى أن السيرة يجب ألا تشتمل على اعترافات لمعاصي ارتكبتها الإنسان فما دام الله ستره فلِم يفضح نفسه، ورأيه هذا متأثراً بعلمه الشرعي الإسلامي. يقول:-

"ولا أدري: ماذا تعني ب (السلبيات)؟ أتعني: أن المرء إذا زلّت قدمه يوماً، وارتكب معصية استمر بها، ولم يعرفها الناس: يكشف ستر الله عليه ويقول للناس: لقد فعلت كذا وكذا على طريقة اعترافات الغربيين؟! وماذا يستفيد الناس من وراء ذلك إلا تهوين المعصية على الخلق! "[٢] ولكنه يرى أن على المسلم أن يعترف ويسجل الخطأ إذا كان ذلك في المواقف السياسية أو الفكرية.وأنا أميل إلى رأي يوسف القرضاوي إذ لابد أن ينتقي الكاتب الأحداث من السيرة؛ لأن الغاية منها تربوية تعليمية إعلامية.وهذا يتوافق مع ما ذكره حسن الصليبي عند حديثه عن الرواية الفلسطينية حيث يقول:"وهي في هذا تخالف ما تتميز به السيرة الذاتية من أنها عمل سرد ينتقي فيه صاحبه، ما يشاء من أحداث وقعت له في حياته، ولا يجد نفسه مجبراً على البوح بكل حدث على وجه الحقيقة، أو صيانة سيرته واسترجاعاته"[٣] ولا أدري ماذا قصد الكاتب ب(على وجه الحقيقة) فإذا كان المقصود عدم قول الحقيقة فهو يخرج بذلك من دائرة السيرة الذاتية والتي من شروطها أن تكون أحداثها مطابقة للواقع، أما إذا كان يقصد عدم ذكر بعض الحوادث الجزئية فأنا أتفق معه في ذلك.

تطور الأحداث وتناميها:

يعتمد تطور الأحداث وتناميها في السيرة الذاتية على تصاعد الزمن، وانتقال الكاتب من مرحلة زمنية إلى أخرى في حياته

"إذا اعتبرنا العنصر السائد في القصة، أول ناحية جديرة بالالتفات في نظر القارئ، فلاشك في أن تطوير الحوادث هو الناحية الثانية التي تلي تلك في الأهمية فهو الذي يبعث في القصة القوة والحركة والنشاط، وهو العصا السحرية، التي تحرك الشخصيات على صفحات القصة، وتسوق الحوادث الواحدة تلو الأخرى، حتى تؤدي تلك النتيجة المريحة المقنعة التي تطمئن إليها

---

(١) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ٣

(٢) القرضاوي، ابن القرية والكتاب،ج٤، ٢٥

(٣) الصليبي، حسن، الرواية الفلسطينية وبحكياتها الفنية والموضوعية في الأرض المختلفة بعد اتفاقية أسلو (١٩٩٢)م (رسالة ماجستير) الجامعة الإسلامية – غزة ٢٠٠٨م

نفس القارئ بعد طول التجول والتي تتفق مع منطق الكاتب، ونظرته الخاصة إلى الحياة"[١] إذ أن تطوير الأحداث يدفع القارئ إلى مواصلة القراءة ، فلا يقوم من مقامه إلا بعد أن ينهي القصة.

الأحداث في السير الذاتية المختارة (موضوع البحث) :

تدور أحداث سيرة سيد قطب حول الطفل القروي، فهو مركز الحدث ، وهذه الأحداث هي:-

١.تحول الشيخ النقيب – كما كان يسميه أهل القرية بعد أن يشرب الشربة إلى حال غير التي كان عليها، حيث أصبح شعث الشعر، ممزق الثياب، كالشيطان مشرداً مروعاً بعدما يشرب الشربة،وهذا الحدث له تأثير كبير على الكاتب حيث "يحس في جسده قشعريرة تخلل عظامه في صمت كأنما استحال دمه إلى ماء مثلوج"[٢]

٢.تخيل ظهور العفاريت في الأماكن المعلمة.

٣.مرضه "كان يلعب لعبة تقتضي لي الجسم وتحريك العنق إلى الخلف فأصيبت مفاصل عنقه بانحراف ومال رأسه إلى أحد كتفيه" [٣]

٤.هروبه من المدرسة في أول يوم دراسي له لخوفه الشديد من ضابط الجمباز.

٥.ذهابه للكتاب ونفوره منه وعدم عودته إليه مرّة أخرى.

٦.دخول بنات القرية المدرسة للحصول على التعليم كالأولاد.

٧.مجيء البعثة الطبية للقرية وتطعيم أهلها ضد الأمراض.

٨.سقوط صديقه جمعة مغشياً عليه خوفاً من العفاريت ثم مرضه الذي استمر ثلاث أشهر ومن ثمَّ وفاته.

٩.تراجع خوفه من العفاريت وهو في سن العاشرة، وتجاربه المستمرة لمجابهة ذلك من خلال حمله لعلبة ثقاب، وكلما مرّ في تلك الطرق المسكونة –كما يعتقد أهل القرية– وشعر بحركةٍ ما أو شعر بالخوف أشعل عود ثقاب.

---

(١) نجم، فن القصة، ٣١

(٢) قطب، طفل من القرية، ٢

(٣) قطب، طفل من القرية، ٥

١٠. تكوينه لمكتبة فريدة خاصة به، من خلال شرائه للكتب والقصص الثقافية المسلية من عم صالح البائع المتجول للكتب.

١١. موت بهائم عمه مبقورة البطون وممزقة الأحشاء.

١٢. موت ثلاثة شبان أشقاء على يد عمهم لأن أحدهم رفض أن يطلق ابنته.

١٣. حادثة جمع الأسلحة من القرية حيث قام ضابط الشرطة بجمع الأسلحة مستخدماً الضرب والتعذيب مروعاً أهل القرية.

١٤. صنع العمال القادمين للقرية (الغرب) طعام من الملوخية الجافة، ودهشته العظيمة عندما رآهم يأكلونها.

١٥. بيع والده قطعة من الأرض، واعتبار الكاتب هذا اليوم يوم حزن بالنسبة له.

١٦. سفره إلى القاهرة عند خاله كي يتعلم.

هذه هي الأحداث التي مرّت على سيد قطب غالبيتها كانت أحداثاً حزينة، تركت في نفسه مرارة الحياة الصعبة التي يعيشها أهل القرية كحادث مرضه وهناك أحداث سعيدة ولكنها محدودة.

لو تأملنا الأحداث التي سردها سيد قطب، وهي بالتأكيد ليست كل الأحداث التي مرّت به وهو طفل صغير نجدها إما أحداثاً خاصة لها علاقة مباشرة به مثل دخوله المدرسة وهروبه منها، أو أحداثاً عامة مرّت على القرية وتأثر بها جميع الأهالي مثل حادثة جمع الأسلحة أو حادثة قتل رجل من القرية أبناء أخيه الثلاثة.

وتعتبر الأحداث في سيرة سيد قطب أحداثاً منفصلة، ولكنها بمجملها تكون الواقع القروي في مصر في تلك الحقبة الزمنية وهذه الأحداث تختلف في طبيعة تفاعلها عن أحداث زينب الغزالي في سيرتها حيث أن جميع الأحداث مترابطة ومتتالية حيث تتصاعد وتيرة الأحداث عندها حتى تصل إلى العقدة، فإذا كانت الفكرة الرئيسة في سيرة سيد قطب هي توضيح مظاهر الحياة الفكرية والاجتماعية في القرية، فإن الفكرة الرئيسة عند زينب الغزالي هي توضيح العلاقة التي ربطت جماعة الإخوان المسلمين متمثلةً في الكاتبة في تلك الفترة الزمنية، مع الرئيس المصري جمال عبد الناصر وما كان من حوادث اعتقالها وألوان تعذيبها في الغرف المتعددة في السجن الحربي وحادثة السيارة التي مكثت على إثرها في المستشفى، وذلك من أجل تحقيق هدف واحد هو كسر إرادتها وإجبارها على الاعتراف. والأحداث التي وردت في سيرتها هي:-

١. حادثة السيارة التي أصيبت فيها الكاتبة.

٢. حل المركز العام لجماعة السيدات المسلمات واجتماع قيادة المركز ورفض قرار الحل.
٣. محاولة إلحاق الكاتبة بالاتحاد الاشتراكي رغماً عن أنفها، ومحاول إغراء الكاتبة بالمال للتعامل مع المخابرات.
٤. المضايقات التي تعرضت لها الكاتبة بعد رفضها التعامل مع المخابرات.
٥. انطلاقة العمل الإسلامي تنفيذاً لمبايعتها حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان.
٦. اعتقال الكاتبة يوم الجمعة ٢٠ أغسطس ١٩٧١م.
٧. أنواع التعذيب التي تعرضت لها الكاتبة
٨. رؤية الكاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في نومها وقوله لها: أنتم يا زينب على قدم محمد عبد الله ورسوله.
٩. محاولات زبانية العذاب – كما أسمتهم – الحصول على اعترافات منها ضد الإخوان المسلمين.
١٠. لقائها بعلية حسن الهضيبي وغادة عمار في السجن.
١١. وفاة مصطفى النحاس باشا.
١٢. محاولة الاعتداء عليها داخل الزنزانة.
١٣. دخولها المستشفى متأثرة بالتعذيب.
١٤. تجويعها داخل الزنزانة وداخل المستشفى.
١٥. محاكمات الإخوان المسلمين.
١٦. الحكم على سيد قطب، محمد هواش وعبد الفتاح إسماعيل بالإعدام وتنفيذ الحكم.
١٧. الحكم على الكاتبة ٢٥ عاماً أشغال شاقة مؤبدة.
١٨. لقاء جمعها مع سيد قطب قبل تنفذ حكم الإعدام بخمسة أيام.
١٩. لقاء جمع بين سيد قطب وأخته حميدة قطب في الزنزانة قبل تنفيذ الحكم بيوم واحد.
٢٠. إجبار زوج الكاتبة التوقيع على ورقة طلاقها ووفاته قهرًا بعد ذلك بفترة وجيزة.
٢١. انتقال الكاتبة إلى سجن القناطر للنساء.
٢٢. مساومة أخيرة قبل الإفراج في مبنى المباحث العامة.
٢٣. الإفراج عن الكاتبة.

وكل الأحداث السابقة تعتبر أحداثاً شخصية أو شبه شخصية ، ما عدا الأحداث رقم (٢،٥،١١،١٥،١٦) فهي أحداث عامة.

علي الطنطاوي في سيرته يتعرض لمجموعة كبيرة من الأحداث على مدار ثمانين عاماً وغالبيتها أحداثاً عامة كالحروب التي مرّت والحوادث الخاصة بالحركات السياسية، وإذا كانت أحداث طفولته غلبت على المجلد الأول والثاني فإن الأحداث العامة غلبت على المجلدات الستة الباقية.

القرضاوي يشبه الطنطاوي كثيراً في الأحداث التي تناولها على الصعيد العام فالوحدة بين مصر وسوريا كان لها نصيب في حديثهما كما أن جماعة الإخوان المسلمين والأحداث الخاصة بها كان لها نصيب أيضاً في حديثهما.

كما اهتم الاثنان بذكر السفر والترحال بهدف الدعوة إلى الله إلى أماكن كثيرة في العالم، كما تطرق الاثنان إلى أهم المعالم الموجودة في تلك الأماكن. ومن الأحداث التي اتفقا على ذكرها المؤتمرات التي حضراها.

سيرة عمر التلمساني تزخر بالأحداث العامة حيث تطغى على الأحداث الخاصة، أما بالنسبة للكاتب عبد العزيز الرنتيسي فقد ذكر أحداثاً معينة هي:-مذبحة خانيونس، إضراب الأطباء، إنشاء كلية التمريض، الإبعاد إلى مرج الزهور وما رافقه من أحداث، وكلها أحداثاً عامة كان لها دور في تشكيل شخصية الكاتب.

أما حماد الحسنات فقد ركز على حدث واحد انبثقت منه بقية الأحداث الأخرى، حيث أن الحدث الرئيسي في سيرته هو الإبعاد إلى مرج الزهور في الجنوب اللبناني، وهذا الحدث انبثق منه مجموعة كثيرة من الأحداث الجزئية منها:-

١. خروج المبعدين من غزة إلى معبر زمريا وما رافقتها من آلام.
٢. نزول المبعدين في مخيم مرج الزهور واعتراض الجيش اللبناني على دخول المبعدين إلى لبنان وسعادة المبعدين من هذا الموقف.
٣. تنفيذ مسيرة العودة إلى فلسطين.
٤. قرار الأمم المتحدة رقم ٧٩٩ والذي يقضي بعودة المبعدين إلى ديارهم عودة آمنة وفورية.
٥. تأسيس جامعة ابن تيمية في مرج الزهور.
٦. مسيرة الأكفان.
٧. القيام بفعاليات متنوعة كمسير المشاعل وتنكيس علم الأمم المتحدة وجنازة مصداقية مجلس الأمن وفعاليات عيد الأضحى ومسيرة البالونات.

٨. زيارات قيادات عربية وعالمية مخيم المبعدين مثل أحمد الملط، فتحي يكن، عصام العريان سيف الإسلام حسن البنا، كنقابة ووفود مختلفة كوفد نقابة الأطباء الأردنيين، وفد الأكراد، فد الصحابة الكويتية وكلها تشد على يدي المبعدين وتثمن صبرهم في الإبعاد ومواقفهم تجاه قضيتهم.
٩. تقديم المحاضرات في الطب والإدارة والقرآن والحديث.
١٠. عقد ثلاث مؤتمرات علمية طرحت فيها موضوعات مهمة كالحل السلمي وتصورات المستقبل.

نكاد لا نلمح الأحداث في سيرة مصطفى محمود فغالبية سيرته تأملات فكرية ونفسية، فالأحداث هي التحولات الفكرية والاسترجاعات من الماضي بما يخدم الفكرة التي يتحدث عنها.فالحدث الرئيسي هو رحلة البحث عن خالق الكون، وخلال هذه الرحلة يمر بمحطات يسترجع من خلالها بعض الإحداث التي تخدم الحدث الرئيسي، ومن ذلك تساؤلاته وهو صبي عن المخلوقات والخالق واستياء الأهل والأقارب من ذلك يقول:"فلتقولوا لي من خلق الله .. أم أنه جاء بذاته. فإذا كان جاء بذاته وصح في تصوركم أن يتم هذا الأمر.فلماذا لا يصح في تصوركم أيضا أن الدنيا جاءت بذاتها بلا خالق وينتهي الإشكال. كنت أقول هذا فتصفر من حولي الوجوه وتنطلق الألسنة تمطرني باللعنات وتتسابق إلّي اللكمات عن يمين وشمال."[١]ومن ذلك أيضا:"خطر لي ذات مساء أن أقوم ببحث في سراديب ذاكرتي ..فأرصد في ورقة كل ما أحفظه من أرقام.. رقم الباسبور ورقم العربة ورقم الشقة ورقم البطاقة العائلية، وتليفونات من أعرف من الأصدقاء والزملاء وتلفونات المصالح والجرائد وأرقام جدول الضرب التي أحفظها غيبا، وعمليات الجمع والطرح والقسمة الأولية التي أعرفها بالبداهة وتواريخ ميلادي وميلاد أولادي وثوابت الرياضة والطبيعة مثل النسب التقريبية وسرعة الضوء وسرعة الصوت...وفي لحظات تجمعت تحت يدي عدة صفحات من مئات الأرقام، تداعت في ذهني ولمعت كالبرق وكأني حاسب الكتروني، وكان المشهد مذهلا" ما ذكره الكاتب حدثًا مؤثراً ولكنه حدث عقلي لا يشعر به إلا المتأمل نفسه.

أما بالنسبة لأحمد ديدات فسيرته عبارة عن تصوير أحداث محددة ومقابلات، ومن هذه الأحداث:-

١. زيارة طلبة إرسالية آدمز مشين (كلية آدمز) وتحويل حياة ديدات وأهل قريته إلى بؤس وعذاب من خلال المناقشات التي يهاجمون فيها الإسلام.
٢. اتجاه أحمد ديدات للبحث عن ردود على هؤلاء المبشرين.

---

(١) محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، ٧

٣. بناء المركز الدولي للدعوة الإسلامية في مدينة ديربان في جنوب أفريقيا.
٤. توافد الكثير من طلاب العلم إلى المركز الدولي للدعوة الإسلامية وتعليمهم كيفية الدفاع عن الإسلام بالكلمة والحجة والبرهان.
٥. إعداد المئات من النسخ للكتب مختارة أو أشرطة فيديو وتوزيعها على المسلمين في العالم لتعريفهم عن الإسلام.
٦. الإعداد والتنفيذ للدورة الأولى لتدريب الدعاة المسلمين.

وكل الأحداث السابقة تسير في طريق واحد بصورة متوالية لتصل إلى نقطة النهاية، وهي توضيح مفهوم الدين الإسلامي للمسلمين وغير المسلمين بالحجة والاقناع، وهذه النهاية لم يكتبها المؤلف ويرجع السبب في ذلك إلى أن هذه الحوادث–وهي بالأصل جهود قام بها الكاتب– هي جزء من سلسلة كاملة يقوم بها دعاة الإسلام ،آملين أن ينتشر الدين الإسلامي في العالم كافة.

وقد عرف كتاب السيرة الذاتية هنا الأحداث السلفية من خلال الرجوع لأحداث تم تجاوزها، وقد أشرت إلى نماذج من ذلك في حديثي عن الاسترجاع في مبحث الزمن.

الصراع

يبدأ الصراع منذ الأزل، على قاعدة البقاء للأقوى، حيث تنشأ الصراعات بين الأنواع المختلفة للكائنات الحية ولا ينتهي ذلك الصراع إلا بنهاية أحد الأطراف أو تنازل كل طرف عن جزء منه، لأن الصراع عادةً يكون صراع إرادات كل طرف يسعى إلى تحقيق ما يريد.

والصراع بدأ بين الخير والشر، بين الإنسان والشيطان قبل النزول إلى الأرض ثم بين الإنسان والإنسان! بين ابني آدم عليه السلام (قابيل وهابيل)، وبين الإنسان والحيوان من أجل البقاء، ثم بين تجمعات بشرية مختلفة، فالإنسان بطبعه يميل إلى تنامي حدّة الأحداث للوصول إلى قمة الصراع.

ولقد ظهرت هذه الأنواع في الأدب القصصي والملحمي وكانت البداية في المسرح الإغريقي بداية دينية ثم بدأ يبتعد تدريجياً عن الصراع الديني ولكن كل ذلك كان تعبيراً عن الصراع الذي لا ينتهي بين العطاء والجدب أو الخير والشر[١]

وقد اختلفت مناهج الروائيين في التعبير عن أشكال هذا الصراع، فمال بعضهم إلى التعبير عن صراع الفرد في بحثه عن هوية أو رغبة في امتلاك الإرادة والحرية، بينما لجأ بعضهم إلى التعبير عن صراع الطبقات والبيئات والقيم... من خلال تتبع النماذج الإنسانية التي تكتسب هوية وخصوصية، ولكنها في الوقت نفسه لا تعدو أن تكون تمثيلاً لشريحة اجتماعية، وعمل آخرون على تجسيد الصراع من خلال البطل الملحمي الذي يقدم أعمالاً ومآثر تشيع قيماً تحظى بالرضي والقبول الجماعي"[٢]

الصراع قد يكون صراعاً داخلياً أو صراعاً خارجياً، داخلياً أي داخل النفس البشرية والخارجي خارج نفس الإنسان أي مع البيئة المحيطة، والصراع الخارجي قد يكون فردياً أي بين شخص و شخص، وقد يكون جماعياً بين الفرد وأشخاص آخرين، وقد يكون بين جماعات بشرية كالصراع بين الدول، قد يكون الصراع طبيعياً بين الإنسان والطبيعة كالصعود على الجبال ومواجهة الأعاصير والنجاة من البراكين وغير ذلك، و"يكون الصراع اجتماعياً منشؤه التنافس أو

---

(١) انظر، حمودة، عبد العزيز، البناء الدرامي، مكتب الأنجلو المصرية، ١١٤ – ١١٥

(٢) انظر الشوبكة، محمد، السرد المؤخر في رواية النهايات لعبد الرحمن منيف، منشورات أمانة عمان الكبرى ، عمان الأردن ٢٠٠٦م ، ٤٩

تفاوت طبقي أو فكري، أما الصراع الأقوى فهو الصراع النفسي الذي يجري بين الشخص ونفسه من حيث الرغبات والاستعداد للمجابهة والاهتياج من حدث[١]

يقول منير الغضبان "كنا نشتري الكتب شراء، وأعطاني والدي ثمن كتاب التاريخ ولا أدري كيف ضاعت النقود، كانت ليرتين ونصف، وركبني الهم عاماً كاملاً: المدير يطالبني بالثمن ويوبخني على التأخير، وأنا لا أجرؤ على إعلام والدي بإضاعة النقود. كم رأيت في النوم أني حصلت النقود. واستيقظ وأقبض يدي.. ليس فيها شيئاً؟!"[٢]

نلمح الصراع النفسي الداخلي في كلمات منير الغضبان حيث من ناحية يريد إعلام والده كي ينجو من عقاب المدير ومطالباته المستمرة، ومن ناحية أخرى لا يريد أن يعلم والده خوفاً من عقابه هذا الصراع يحتدم في نفسه إلى درجة رؤيته لذلك في نومه.

وبالرغم من أن الصراع بين الخير والشر مستمر إلا أن وجهة النظر الإسلامية لها خصوصية، فالخير هو ما يقدره الشرع ضمن ضوابط الإسلام والقيم الإسلامية[٣]

ولقد قسَّم محمد نجم القصة إلى القصة ذات الحبكة المفككة والقصة ذات الحبكة العضوية المتماسكة، واعتبر أن النوع الأول لا يعتمد على الشخصية الأولى فيها، أما النوع الثاني فتقوم على حوادث مترابطة ويرى أن هذا التقسيم ليس للتفصيل وإنما لتسهيل البحث"[٤]

جماعة الإخوان المسلمين خاضت صراعاً ضد الحكم البعثي في سوريا، فطالت الاعتقالات كل أبناء الجماعة، وكان لهذا الصراع الخارجي أثراً واضحاً في نفس الكاتب منير الغضبان وأدائه بعد ذلك، سواء على المستوى الشخصي أو العمل المجتمعي، ولكنه كان أثراً إيجابياً حيث استطاع أن يكمل دراسته ويتقدم فيها، كما استطاع أن يمارس الدعوة الإسلامية بين صفوف الشباب حتى في المجال الرياضي وإن دل هذا على شيء فإنما يدلل على قدرة الكاتب الشخصية في تحويل الإحساس بالألم إلى قوة تدفعه نحو الأمام[٥]

---

(١) التونجي، محمد، المعجم المفصل في الأدب، ج٧، ٥٨٤

(٢) الغضبان، كشف المستور، ٥٦

(٣) انظر، الأدب الإسلامي الواقع والطموح، بحوث المؤتمر الثاني لكلية الآداب، الزرقاء الأردن، تحرير جميل بني عطا، ١٩٩٩م

(٤) نجم، فن القصة، ٧٤

(٥) انظر الغضبان، ١١٠ – ١١٢

في سيرة الطنطاوي نجد أن الصراع الخارجي تمثل في مواقف كثيرة على مستوى سوريا والعالم العربي والإسلامي منها:-

الصراع بين الشعب السوري والمحتل (الانجليزي – الفرنسي)، الصراع بين الإسلاميين ونظم الحكم، الصراع العربي الإسرائيلي على فلسطين.، والصراع عند الطنطاوي يتنامى من خلال تصاعد الأحداث إلى أن يصل الذروة فتبدأ الانفراجة بالظهور "وقد ظهر ذلك كثيراً – مثلاً- في إطار حديثه عن الحرب العالمية الأولي وانتقال الحكم من الدولة العثمانية إلى الدول الاستعمارية، أعجبني قدرة الطنطاوي على إدارة الصراع"(١)

يتميز الطنطاوي بالقوة والقدرة على المواجهة والحدة أحياناً، لذلك فقد ظهر عنده الصراع الخارجي الفردي فمثلاُ : في الحلقة التي تحمل عنوان (معركة أدبية كانت نتيجتها دعوى قضائية) في المجلد السادس من سيرته نجد الطنطاوي قد كتب مقالاً عنوانه (تعليق مختصر على خبر) والخبر هو أن الأستاذ محمد أحمد خلف الله تقدم برسالة دكتوراه موضوعها القصص في القرآن الكريم، وكانت لجنة المناقشة تتكون من أحمد أمين وأحمد الشايب اللذان رفضا الرسالة معللين ذلك بضعف منهجها العلمي، وأن فيها ما يمس الناحية الدينية؛ لأن صاحبها يقول: أن القصص القرآني لم يُراع الحقيقة التاريخية وأن المقصود منه عرض فني ولسنا ملزمين بتصديق حقائق هذه القصص وإنما نقدر الغاية الفنية، ويقول أنها أي القصص مستقاة من مصادر أخرى غير عربية كالتوراة والأدب اليوناني والأدب الفارسي، وأن فيها أساطير لا أساس لها. ولقد رفض الشيخ الخولي تقرير لجنة المناقشة بزعم أن هذا حرية فكرية، فانبرى علي الطنطاوي يدافع عن لجنة المناقشة بقوله: "ولو انتهت القصة عند ردّ الأحمدين ولم يكن صاحب الأطروحة مدرساً، ولم يدخل نفسه فيها هذا الشيخ لينصر الكفر ويرفع الإلحاّد ويؤيد الجهل، لقلنا: شاب تعّجل الشهرة قبل أوانها ورأى طريق العمل والتحقيق طويلاً فسلك طريق جهنم. وكان لمقال الطنطاوي دويٌ عظيم في مصر حيث انتقلت لجبهة علماء الأزهر الذين بدورهم رفعوا مذكرة إلى ملك مصر حول الموضوع، وبدأت السجالات بين كلية الآداب وجامعة الأزهر، ثم رُفعت ضده قضية في المحكمة استمرت ثلاث جلسات كانت نهايتها أن الطنطاوي كتب مقالاً آخر– ألزمته به المحكمة – ليصلح به ما أفسده – على حد تعبيرهم – لكنه قال فيه بأن الأمر ليس هجوماً شخصياً على الشيخ الخولي بقدر ما هو دفاعاً عن الدين والخلق"(٢)

---

(١) الطنطاوي، ذكريات، ج٣، ٧

(٢) انظر الطنطاوي، ذكريات، ج٦، ٢١٥ – ٢٣٢

الصراع في (هذه حياتي) لأحمد ديدات هو صراع بين الإسلام متمثلاً فيه شخصياً ومتمثلاً في دعاة الإسلام الآخرين ممن يساندونه، وبين المسيحية متمثلة في المبشرين في كلية آدمز في ميربان بجنوب أفريقيا، والصراع عنده يعتمد على الجدل والحجة والمنطق والإقناع، يقول أحمد ديدات: "ومن هذه الكلية توافد علينا المبشرون الذين حولوا حياتنا إلى بؤس وعذاب، فلقد كانوا يتدربون هناك على كيفية مواجهة المسلمين. وحينما كانوا يأتون لشراء ما يحتاجون إليه من المحل كانوا ينهالون علينا بالأسئلة والانتقادات فيقولون:-

هل تعلمون أن محمداً تزوج نساء كثيرات جداً؟

وحينئذ لم يكن لدى أدنى معرفة بذلك.

وهل تعلمون أن محمداً نشر دينه بحد السيف؟

ولم يكن لدى أدنى معرفة عن ذلك.

وهل تعلمون أنه قد نقل كتابه عن اليهود والنصارى

ولم يكن لدى أدنى علم بذلك.

كان الموقف في غاية الصعوبة بالنسبة لي.. ماذا أفعل كمسلم؟ هل أرد على الهجوم"[1]

الصراع الاجتماعي نراه في سيرة سيد قطب حيث يتحدث عن المشكلات الاجتماعية الناجمة عن الجهل والفقر ومنها قوله متحدثاً عن الطفل القروي: "أما الحادث الثاني فلم يشهده، ولكنه سمع قصته تروي عشرات المرات كان حديث القرية كلها نساءً ورجالاً وأطفالاً وكان بدنه يقشعر منه... ذلك حادث ثلاثة من الشبان كان أحدهما قد تزوج ابنة عمه، ثم أراد هذا العم أن يطلقها منه فأبى، فرفع عليه دعوى في المحكمة الشرعية من تلك الدعاوي الكيدية،. وفي يوم من أيام الجلسات كان هذا الشاب ذاهباً إلى المحكمة – في البندر – ومعه شقيقاه وبين القرية والبندر تنبسط الحقول الخضراء ويصبح الطريق الضيق الذي يقطعه السالكون على ظهور الدواب خطاً دقيقاً بين النباتات العالية، لا تبين السائر فيه إلا من بعد قليل، بكر الأخوة لأنهم كانوا فقراء لا دواب لهم، فهم يقطعون الطريق على أقدامهم من القرية إلى المدينة، ويبلغ طوله نحو عشرة كيلومترات... (ويكمل قائلاً) وعرف العم الفاجر هذا فبكر قبلهم ومعه اثنان من الأشقياء استأجرهما

(١) ديدات، هذه حياتي، ١٣

لهذا الغرض مسلحين، فكمنوا للأشقاء الثلاثة في مكان منقطع من الطريق... وعند مرور الأخوة بادر الشقيان فأغمدا خناجرهما في بطني اثنين منهما فخراً صريعين، وتنبه الثالث ففر والثلاثة يتبعونه، وهو يصيح مذعوراً فلا يلبِّه أحد في الحقول (النائمة) حتى أمسكوا به أخيراً، دخلوا به حقل الفول النامي"[١]

كما يسلط الكاتب الضوء على الصراع بين أهل القرية من جهة وبين الحكومة متمثلة بضابط الشرطة من جهة أخرى في موسم جمع السلاح.

والصراع بين الرجل والمرأة في الريف –متمثلاً في الصراع بين الأب والأم– الذي دائماً ينتهي لصالح الرجل على حساب المرأة في القرية حتى ولو كان الحق في جانبها حيث سرعان ما تعلن استسلامها، ومن ذلك أن والده باع قطعة من أرضه حتى يسدد ديونه بالرغم من المعارضة الشديدة لوالدته حيث أن المرأة في الريف ليس لها أي رأي في الأمور الهامة في البيت، وتعول أمه عليه وتضع أملها فيه قائلة: "أنت عليك أن ترجع ما يفقده أبوك! ثم أردفت قائلة: حين تكبر ستذهب إلى مصر – عند خالك – فتتعلم هناك، وتصبح أفندي ويكون لك مرتب وعندئذ تتذكر أن أطياننا في البلد تباع بسبب إسراف أبيك في النفقات فتحرص على النقود، ولا تبذر كأخيك الأكبر بل تنفق في الضروري فقط... وعندئذٍ يكون في جيبك نقود كثيرة فتشتري بها هذه الأطيان التي نفقدها.[٢]

عمر التلمساني ابن الطبقة الغنية لم يعاني من الصراعات في بداية حياته وفي أيام شبابه الأولى حيث عاش الحياة بكل مباهجها، عاش في سرايا ضخمة فيها الخدم والعبيد وكان هو الابن المدلل لجده وأبيه، وظل الحال كذلك حتى أتم العشرين من عمره ولكن عندما قرر أبوه تزويجه شعر بتمرد الشباب في داخله ولم يظهرهذا التمرد إلا أمام أمه، يقول: "فقلت لها في عنفوان: إنني لن أذهب ولن أتزوج إلا من التي أختارها بنفسي. فردت قائلة لا شأن لي بهذه اللخبطة، وسأخبر أباك بهذا الخروج على طاعته ليتدبر الأمر، وجاء أبي فأخبرته أمي بما كان مني، فقابل الأمر بهدوء كامل وقال لها: إن شاء الله ما عنه راح. أنا حبيت أعمله راجل وأجلسه مع الرجال سأزوجه رغم أنفه فأنا ولي أمره وسيكتب الكتاب هذه الليلة"[٣] وينتهي الصراع عند هذا الحد نظراً لدور الأب المسيطر في ذلك العصر، وفعلاً تنتهي القضية ويتزوج الكاتب في سن مبكرة.

---

(١) انظر قطب، طفل من القرية، ٧٧ – ٧٨

(٢) قطب، طفل من القرية، ٩٦

(٣) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ١٨

يبرز التلمساني بقوة الصراع بين جماعة الإخوان المسلمين وبين جمال عبد الناصر في مصر في حقبة الستينات من القرن الماضي، وكونه كان المرشد الثالث للجماعة فهو ينقل لنا الخبر من قلب الحدث. يقول: "ولا تنسى أن عهد جمال عبد الناصر كان يتميز بالإيذاء والقضاء على الحريات، ولم يرع ذلك العهد حرمة لأحد، حتى رئيس مجلس الدولة الدكتور السنهوري سلطوا عليه الرعاع فاعتدوا عليه بالضرب في المجلس، لسبب واحد هو إبداء رأي يخالف رأي عبد الناصر في الحرية"[١]

حماد الحسنات في سيرته يبرز الصراع بين الإسلاميين وسلطة الاحتلال فالإبعاد كان نتيجة لذلك الصراع الطويل والممتد منذ بدايات القرن العشرين والذي تصاعدت وتيرة أحداثه منذ بداية الانتفاضة الأولى علم ١٩٨٧م ، حيث قاوم الإسلاميون ظلم وعدوان المحتل على مدار عقود عدة كما قاوموا قرار الإبعاد في صور مختلفة كان من ضمنها فعالياتهم في مخيم مرج الزهور، وقد استمرت تلك الفعاليات من مسيرات وخطب وندوات وأسابيع عمل ولقاءات إعلامية حتى منَّ الله عليهم بالعودة.[٢] الأحداث عند الحسنات تصعد بقوة فجأة بقرار الإبعاد وتبقى ساخنة لفترة زمنية طويلة، ثم تبدأ الانفراجة بصدور قرار العودة، بعدها تبدأ قوة الأحداث بالتراجع إلى أن يعود المبعدين إلى بيوتهم والشكل التالي يوضح ذلك.

(١) التلمساني، ذكريات لا مذكرات، ١٢٢ – ١٢٣

(٢) الحسنات، ذكريات مرج الزهور،٢٥-٤٦

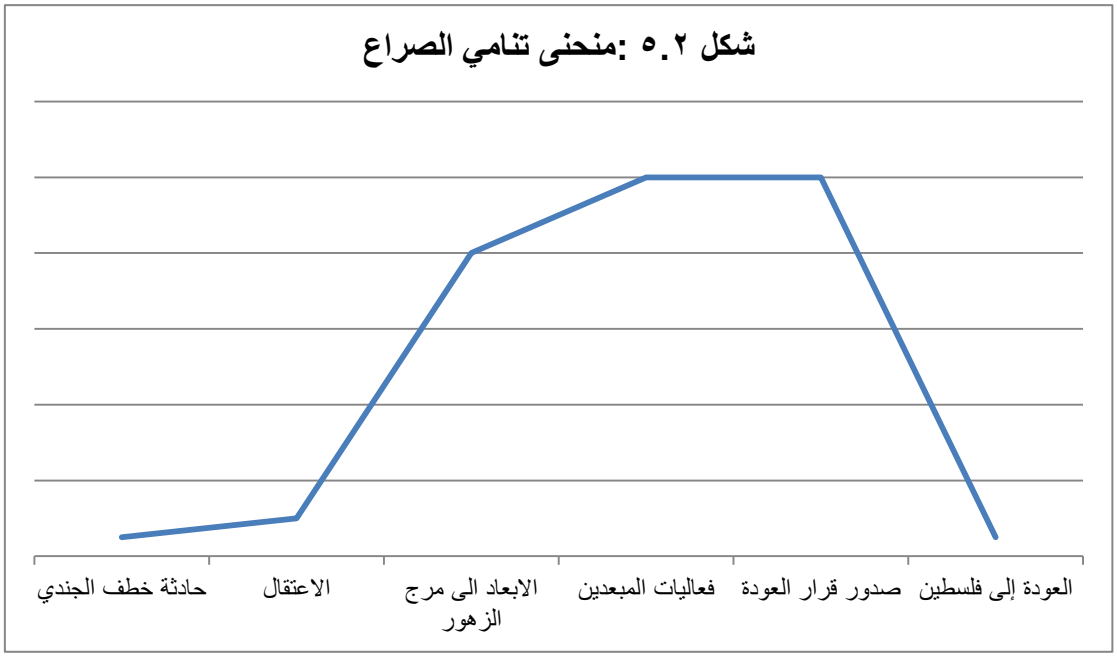

وتبلغ الحبكة ذروتها في ذكريات مرج الزهور لحماد الحسنات عندما وصل التفاعل العالمي والعربي والإسلامي قمته وأصبح العالم كله يطالب بضرورة عودتهم بعد أن تم إصدار قرار ٩٧٧ الخاص بالعودة، ثم شيئاً... فشيئاً بدأت الانفراجة عندما أُبلغ المبعدون من خلال الصليب الأحمر قرار العدو بإعادة المبعدين إلى ديارهم، ثم بدأوا ينتظرون يوم العودة.. إلى أن تمّ وعادوا إلى ديارهم سالمين.

وفي سيرة الرنتيسي كذلك يبرز الصراع مع المحتل جليّاً واضحاً خاصة في الأحداث الرئيسة بالقصة، وهذا الصراع هو صراع سياسي يظهر بقوة حيناً كما في حادث الإبعاد إلى مرج الزهور ويختفي حيناً آخر تحت الصراعات الاقتصادية كما في إضراب الأطباء.

شكل ٥.٣: أنواع الصراع عند الرنتيسي

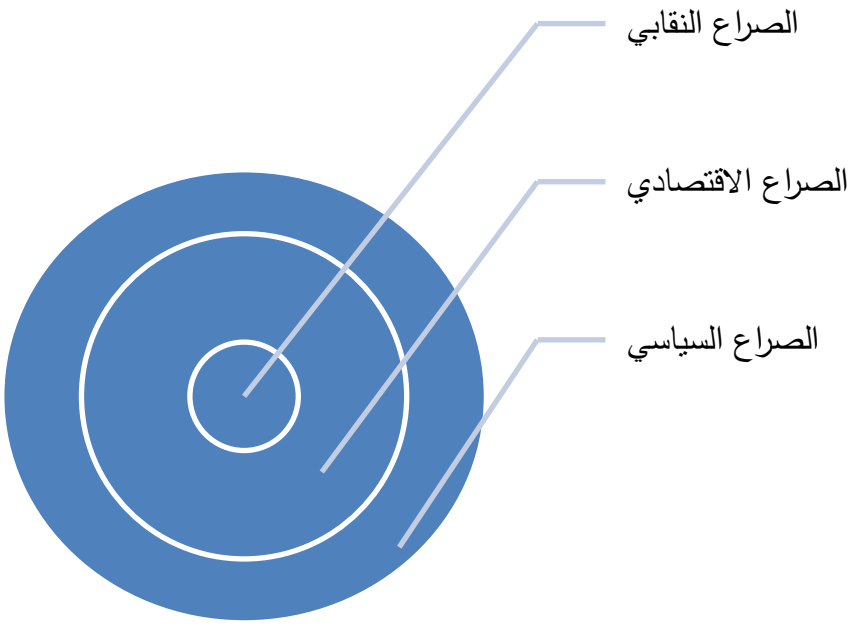

أما مصطفى محمود فقد عاش سنوات طويلة من الضياع الفكري والعقائدي وعلى مدار ثلاثين سنة ظلت الأفكار تتصارع في عقله ونفسه منها ما يشده إلى الإلحاد والكفر ومنها ما يشده إلى التوحيد، وظلّ الصراع الداخلي محتدماً إلى أن منَّ الله عليه بالهداية وأضاء نفسه بالإيمان.

قصة السيرة عند سيد قطب ذات حبكة مفككة وصراع أقل حدَّة، حيث إنَّ كل الأحداث تدور حول الطفل القروي، فالطفل هو مركز الأحداث حيث يوضح الكاتب مدى تأثير هذه الأحداث عليه، وصراعه مع حوادثها البسيطة، والشكل التالي يوضح ذلك.

شكل ٤: ٥ مدى تأثير الصراع على سيد قطب

في كتاب (أيام من حياتي) نجد الأحداث مترابطة ومتنامية ومتفاعلة ؛ لذلك فهي سيرة قصصية ذات حبكة عضوية متماسكة تعتمد على التعليل وإيضاح السبب.

لا ترتبط قصص على الطنطاوي في سيرته برابطة واحدة إلا أنه شاهدها وتفاعل معها فهو شاهد على الأحداث، شاهد على العصر يروي ما شاهده وعايشه طوال ثمانين عاماً، فسيرته ليست قصة متكاملة تشتمل على العناصر الدينية، بل عبارة عن عدّة كتب في كتاب واحد فمرة تجد قصة وأخرى مقال وثالثة رسالة أي أن سيرته مجموعة من القصص القصيرة ممزوجة بأدب الرحلات والقطع والوصفية الرائعة، موثقة بمقالات ورسائل كتبها في فترات متباينة من عمره.

ويوسف القرضاوي لا يختلف كثيراً عن علي الطنطاوي في سيرته، وإن غلبت عليه الناحية الفقهية فنجده يتعرض إلى مسائل فقهية موضحاً الآراء المختلفة وحجج كل رأي فيها.

علي الطنطاوي وضحّ بقوة الصراع مع الطبيعة، ذلك الصراع الذي يبرز قيمة هامة وهي أن الإنسان المؤمن يستطيع أن يتغلب على الظروف مهما كانت، ففي سفره الأول لأداء مناسك الحج استمرت الرحلة شهرين متتابعين عانى فيها هو وزملاؤه معاناة كبيرة وواجهوا الطبيعة بكل ما فيها من قسوة (الوحوش، العقارب، الظلام الدامس، البرد القارس).

وإذا أردنا أن نجمل ما فصلناه سابقًا حول الصراع نقول: إن الصراع عند كتاب السير الذاتية موضوع البحث لا يجري على وتيرة واحدة فقد يكون الصراع حادًا جدًا ضمن أحداث درامية مترابطة كما رأينا عند زينب الغزالي والحسنات ، أو صراعًا حادًا ضمن أحداث درامية مفككة كما مرَّ في سيرة الرنتيسي،ويمكن أن يكون الصراع أقل حدة كما عند القرضاوي والطنطاوي .

وقد يكون الصراع فكريًا داخليًا كما عند مصطفى محمود، كما يمكن ان يكون صراعًا خارجيًا كما عند أحمد ديدات والقرضاوي والطنطاوي غيرهم.

والصراع قد يكون طبقياً اجتماعيًا كما ظهر عند سيد قطب، ويمكن أن يكون سياسيًا كما ظهر عند التلمساني

نهايات السير

تنوعت النهايات في السير الذاتية المنتقاة(موضوع البحث)، فالنهاية عند الحسنات كانت مغلقة حيث انتهت قصة الصراع بتطبيق قرار ٩٧٧ الذي يقضي بعودة المبعدين إلى ديارهم.يقول الحسنات معبرًا عن ذلك:"مرت الأيام وقرب موعد العودة دونما نعرف كيف سنعود ودونما نعرف من العائد ومن الباقي.. وهكذا استمر الأمر حتى يوم الأربعاء السابق ليوم العودة، وفي حوالي الساعة العاشرة من صباح يوم الأربعاء وصلت إلينا سيارة أجرة قادمة من جهة معبر زمريا، وأوصلتنا كشفًا بأسماء الموافق عليهم للعودة وتعليمات كيفية العودة"[١]

ومن النهايات المغلقة أيضًا نهاية قصة اعتقال زينب الغزالي: "كان يوم ٩ أغسطس سنة ١٩٧١م يومًا مشهودًا، إذ حمل صباحه إلينا اختبارًا جديدًا، حين جاءت سجانة مهرولة تدعوني بسرعة لمقابلة المأمور في مكتبه،.شدتنا المفاجأة وجعلتنا نذهب بفكرنا في الأمر.. ماذا يكون؟ وماذا يدبر الطواغيت والظلمة؟!...فذهبت إلى مكتب المأمور فوجدت أمرًا بالإفراج عني وحدي،. وكان شيئًا مذهلًا فأنا صاحبة الحكم المؤبد بالأشغال الشاقة أخرج لتبقى ابنتي وحيدة في هذا المستنقع الآسن، تقاسي ما تقاسي، فانزعج قلبي من أعماقه وسيطر على نفسي حزن عميق وحيرة بالغة وبدون شعور صرخت قائلة: لا.. لا.. لن. يكون هذا أبدًا، لن أخرج وأترك ابنتي"[٢]

قصة نهاية سيرة الحسنات وسيرة الغزالي تعد من النهايات المغلقة إلا أن نهاية الحسنات يغلب عليها الشعور بالسعادة والفرح والعزة ، بينما نهاية قصة زينب الغزالي يغلب عليها الشعور

(١) الحسنات، ذكريات مرج الزهور، ٩٢-٩٣

(٢) الغزالي، أيام من حياتي، ٢٣٨

بالأسى والحزن ويرجع فرح الحسنات إلى أن عودته وعودة إخوانه دليل على قوة إصرارهم وتصميمهم ووحدة رأيهم، أما حزن الغزالي فسببه ارتباطها بابنتها حميدة قطب وخوفها عليها وهذا ما عبرت عنه بقولها: "كيف أخرج وأترك ابنتي وحدها ووجها المطمئن المشرق لا يفارق قلبي وصوتها بكلماتها الندية يهز أوتار نفسي؟! كيف أتركها وحدها في هذا المكان المظلم الموحش، تواجه بمفردها قسوة المعاملة..ومشاعري في نفسي وفؤادي تصرخ بشدة: كلا ..كلا "[١]

ولو تأملنا سيرة ابن القرية والكتاب نجد أن القرضاوي ترك نهايتها مفتوحة ويرجع السبب إلى أن سيرته عبارة عن قصص متتالية من حياته، ولم تكن تتحدث عن حدث محدد كما مرَّ سابقًا عند الغزالي والحسنات.، فالصفحات الأخيرة من الفصل الرابع يتحدث فيها عن وفاة الأستاذ عبد الحليم أبو شقة ورثائه له.

والطنطاوي لا يختلف عن القرضاوي فذكرياته مجموعة من القصص والأخبار لذلك جاءت نهاية الذكريات مفتوحة، حيث تناول في الحلقة الأخيرة من الجزء الثامن رسائل الإصلاح التي ينتقد فيها المشايخ وأساليبهم في التدريس واختيارهم الكتب وبعدهم عن الأساليب الجديدة، ويؤكد الطنطاوي على هذا المعنى بقوله:"هذه نهاية الجزء الثامن من (الذكريات)، ولكنها ليست نهاية الذكريات. ولا أحسب الذكريات تنتهي حتى تنتهي الحياة؛ لأن الإنسان كلما عاش يومًا رأى فيه مشهدًا أو سمع خبرًا أو مرَّ بتجربة"[٢]

سيد قطب كانت نهاية قصته خروجه من القرية وسفره إلى المدينة ، يقول سيد معبرًا عن ذلك في آخر سيرته في فقرة عنوانها الرحيل:"آن له أن يهجر القرية، فما عاد له فيها بقاء. إن هناك مهمة تنتظره ، إنه مجند أُعدَّ للكفاح.. مجند لهذه المهمة التي أعدته لها أمه، أخفتها عنه منذ أول يوم ذهب فيه إلى المدرسة ثم كشفت له عنها يوم دخل عليها فرآها تبكي! إن عليه أن يسترجع للأسرة ما تفقده من مركز ومال. تلك كانت الكلمات التي سمعها من أمه وهي تعده للرحيل.. للسفر إلى القاهرة عند خاله ليتعلم، فقد بدأ يراهق وغادر المدرسة منذ عامين، ولولا الثورة وانقطاع المواصلات واضطراب الأحوال لسافر منذ ذلك الحين"[٣]

أما عبد العزيز الرنتيسي فقد كتب في سيرته أحداثًا متفرقة متنوعة الصراعات وكل حدث له بداية وله نهاية .

---

(١) الغزالي، أيام من حياتي،٢٣٨

(٢) الطنطاوي، الذكريات،ج٨، ٤٠٨

(٣) قطب، طفل من القرية،١٠١

وإذا عدنا لسيرة مصطفى محمود نجد أن رحلته انتهت بوصوله لليقين والإيمان بالله وحده لا شريك له.يقول مصطفى محمود محدداً ما توصل إليه:"هذا التوازن العظيم والاتساق المذهل والتوافق والتلاحم والانسجام الذي يتألف من ملايين الدقائق والتفاصيل يصرخ بأن هناك مبدعًا لهذه البدائع وأنه إله قادر جامع لكل الكماليات، قريب من مخلوقاته قرب دمهم من أجسادها ..يعتني بها عناية الأب الحنون، مستجيبًا لحاجاتها، سميعًا لآهاتها، بصيرًا بحالاتها."[١]

ولو تأملنا سيرة نجيب الكيلاني نجدها اشتملت على عدة صراعات مع الحكومة المصرية انتهت بترك الكاتب لبلده مصر وسفره إلى الكويت، يقول الكيلاني معبرًا عن اللحظات الأخيرة قبل سفره:"حانت لحظة الوداع، وكانت أمي تبكي بحرارة وتتشبث بي، وأبي يهدئ من انفعالها ويقول لها إنَّ هذه ليست المرة الأولى التي أغترب فيها، وأن حياتي كلها غربة، ومع ذلك فقد كانت عيناه مبللتين بالدموع، وأمي تقول له إنَّ هذه هي المرة الثانية التي يذهب فيها إلى بلاد أخرى خارج القطر المصري، وكانت الأولى رحلة لمدة شهر، أما هذه فقد تطول الغيبة إلى سنين، ولا تكف عن القول(منه لله اللي كان منه السبب) وهي تقصد بذلك الحكومة التي تطاردنا وتضيق علينا الخناق"[٢].

ومما سبق نجد نهايات السير عند الكتاب الاسلاميين متنوعة، فبعضها نهايات مغلقة وبعضها الآخر نهاياتها مفتوحة، ومن الملاحظ أن السيرة التي تتحدث عن حدث محدد ومهم في حياة الكاتب تنتهي بنهاية مغلقة، أما السيرة التي تتحدث عن حياة الكاتب من مولده حتى كتابة السيرة فنجد نهايتها مفتوحة.

---

(١) محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، ٨٩

(٢) الكيلاني، مذكرات، ٤٧٥

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الهادي الأمين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..وبعد

الأدب الإسلامي في العصر الحديث يحتاج منا إلى اهتمام كبير ودراسة مستفيضة، وهذا البحث ما هو إلا دراسة متواضعة تسلط الضوء على جانب من جوانب الأدب الإسلامي ألا وهو السيرة الذاتية، ومن خلال الاطلاع على مجموعة مختارة من السير الذاتية لكتاب إسلاميين من العالم العربي والإسلامي نستطيع أن نقول ما يلي:

١. أدب السيرة الذاتية لم يعد حكراً على المشاهير بل تعداه إلى الناس المغمورين أيضاً أو من كانت شهرتهم محدودة.
٢. إن أدب السيرة الذاتية الإسلامية أدبٌ صادقٌ، يتعرض فيه الكاتب لأحداث عامة وخاصة من حياته.
٣. وهو أدب بعيد عن الإسفاف والابتذال يراعي ثقافة المجتمع الإسلامي.
٤. السير المنتقاة موضوع البحث تتفاوت في الطول والقصر، أطولها سيرة علي الطنطاوي حيث بلغت ثمانية مجلدات، وأقصرها سيرة الرنتيسي والتي لم تتجاوز ثلاثين صفحة من الحجم الصغير.
٥. الخيال عند الكتاب الإسلاميين مقيد بالحقائق، ودوره ينحصر في إحياء الوقائع وتشخيصها.
٦. أشكال السير الذاتية الإسلامية متنوعة منها ما جاء على شكل الصراع الفكري كسيرة مصطفى محمود، ومنها ما جاء على شكل سيرة الصراع التاريخي كسيرتي الطنطاوي والقرضاوي، ومنها ما جاء على شكل المغامرات كسيرة الرنتيسي والحسنات.
٧. السيرة الذاتية الإسلامية تشترك فيما بينها في المضامين التالية:

- موقفها واحد من أعداء الدين الإسلامي وأعداء الحركة الإسلامية حيث يبرزون جزءاً من تاريخ الحركة الإسلامية في العصر الحديث .
- غالبية أصحاب السير المنتقاة تعرضوا للتعذيب ممن حاربوهم سواء من الاحتلال أو من الحكومات، والسير المنتقاة تحدثت بالتفصيل عما حدث داخل السجون.
- غالبية أصحاب السير مادة البحث تعرضوا للتشريد من بلدانهم طوعاً أو كرهاً، وذلك خوفاً من الملاحقة المستمرة من الحكومات الموجودة.

٨. وتختلف السير المختارة عن بعضها البعض فيما يلي:

- تختلف سيرة مصطفى محمود عن باقي السير في كونها سيرة فكرية عقلية.

- تختلف سيرة أحمد ديدات في هذه حياتي، في أنها كتبت تفريغاً لفيلم وثائقي مصور يتحدث فيه عن نفسه مصحوباً بكثير من المشاهد للمركز الإسلامي للدعوة في جنوب أفريقيا، وربما تكون هذه سابقة، ويمكن أن يعتمد الكتاب بعد ذلك على التكنولوجيا الحديثة في التسجيل وتصبح السيرة الذاتية مسموعة ومرئية.
- بعض السير المنتقاة تعرضت لحياة الكاتب جميعها، من ميلاده حتى كتابة السيرة، كما في سيرة يوسف القرضاوي والتي بلغت ما يقارب ثمانين عاماً، وكذلك على الطنطاوي التي جاوزت مسيرة حياته الثمانين بقليل، وبعضها لم تتجاوز عدة شهور من حياة الكاتب أو سنوات قليلة كسيرة حماد الحسنات التي لم تبلغ العام الواحد وسيرة زينب الغزالي التي كانت بضع سنين.

و أما أبرز ما لاحظته عند كتّاب السير الإسلامية من حيث الجماليات السردية ما يلي:

١-الزمان:

- . يغلب التسلسل الزمني من الولادة حتى الشيخوخة على معظم السير الذاتية الإسلامية(موضوع البحث)، بينما يكسر الطنطاوي خط الزمن فنجده يتقدم مرة إلى الأمام وأخرى إلى الخلف.
- الزمان يرتبط بالأحداث عند كتاب السيرة الإسلاميين، وعادة ما تكون أحداثًا عامة فمثلاً الرنتيسي لم يذكر إلا الأوقات المهمة جدًا من وجهة نظره، فأهمية التاريخ تنبع من أهمية الحدث.
- .الليل له معنى خاص ، فإن كان يوحي بالأمن والسكينة والصفاء عند الكتاب والشعراء، فإنه عندهم يرتبط بالتعذيب والعنف.
- .يغلب زمن المحنة على سيرة الحسنات والغزالي والرنتيسي، بينما يغلب زمن الطفولة على سيرة سيد قطب.

٢-المكان:

- تحمل بعض الأماكن أبعاداً نفسية مختلفة بل ومتناقضة أحياناً ، حيث يختلف الإحساس بالمكان من كاتب إلى آخر ، فالقرية –مثلاً– حملت بعدًا نفسيًا منفرًا عند سيد قطب، حيث تُذكره بالخلل الفكري والتأخر الحضاري للعرب والمسلمين، بينما حملت بعدًا ايجابيًا عند يوسف القرضاوي، فهي مسقط رأسه ومرتع الصبا وساعات الصفاء والسعادة.

- السجن كمكان، له حضور قوي عند كتاب السيرة الذاتية الإسلاميين القرضاوي والكيلاني والحسنات والرنتيسي والغزالي؛ نظرًا للتجربة القاسية التي عاشها كل منهم، ولكنه لم يظهر في سيرة ديدات ومصطفى محمود، وبالرغم من أن سيد قطب سجن وعذب بل وأُعدم داخل السجن إلا أنه لم يتطرق إليه ويرجع ذلك – حسب تقديري – إلى أنه كتب سيرته مبكرًا قبل أن يدخل السجن.
- المستشفى كمكان حمل بُعد الألم والمعاناة عند الطنطاوي، ولكنه حمل بُعدًا مناقضاً عند الغزالي والحسنات والكيلاني والقرضاوي حيث يعد عندهم المكان الذي يبعث في النفس الراحة والأمان؛ لأن الإحساس فيه ارتبط بمستشفى السجن ذلك المستشفى الذي يريحهم _ولو قليلًا_ من عذاب الزنازين ووحشيتها.

٣- اللغة:

- .يشترك كتاب السيرة الذاتية (موضوع البحث) في استخدامهم للغة الواضحة السهلة ، أو ما تسمى بلغة الصحافة.
- .يلتزم جميع الكتاب الإسلاميين في الكتب المنتقاة بلغة يمكن أن يقال عنها لغة مؤدبة تراعى الذوق الجيد، وتبتعد عن الكلمات أو التعبيرات المشينة والمسيئة للذوق العام.
- . يستخدم كتاب السير الإسلاميين اللغة الفصيحة نظراً لتأثرهم بالقرآن الكريم، ولكنهم يميلون إلى استخدام اللغة العامية أحياناً للتعبير عن الشخصية الحقيقية للآخرين، ويظهر ذلك جلياً في الحوار عند الغزالي.
- . لغة العصر وطبيعة البيئة سيطرت عليهم فالرنتيسي تأثر باللغة العبرية في حين تأثر الطنطاوي باللغة التركية.

٤- الأسلوب:

- .يكثر الاقتباس من القرآن الكريم عند الكتاب الإسلاميين، ويعود ذلك إلى أنهم من حفظة القرآن، وإلى التنشئة الدينية والفكر الإسلامي الذي يحملونه.
- .اهتمام الكاتب وميله يظهر في كتابه، فإن كان روائياً قاصاً اعتمد على القصة بشكل كبير كما ظهر ذلك في سيرة نجيب الكيلاني، وإن كان شاعراً ظهر ذلك في سيرته ونثر أشعاره بين ثنايا الكتاب كما ظهر ذلك في سيرة يوسف القرضاوي وإن كان خطيباً ظهرت قدرته الخطابية كما في سيرة على الطنطاوي .

٥- **الشخصيات:**

- الشخصية الرئيسة في السير الإسلامية هي شخصية الراوي المؤلف،أما باقي الشخصيات فهي ثانوية إما أعطت دورًا محددًا ثم غابت ولم تعد مرة أخرى، وإما ظهرت في أكثر من قصة لتؤدي دورًا ثم تختفي.
- شخصية الآخر الشريرة ظهرت في كل السير، فهي شخصية المحتل عند كل من الرنتيسي والحسنات والطنطاوي، ولكنها كانت النظام الظالم عند كل من الطنطاوي والقرضاوي والتلمساني والغزالي ومنير الغضبان، في حين نجد المبشر بالمسيحية هو الشخصية الشريرة عند أحمد ديدات ، أما سيد قطب فكان الآخر المعادي هو الجهل ويظهر في شخصيات تعبر عنه وقد تكون تلك الشخصيات أهل القرية الطيبين.

٦-**الأحداث:**

- الأحداث الشخصية غطت جزءًا أقل مما غطته الأحداث العامة في معظم السير مادة البحث.
- .تبرز السير المنتقاة أفكار أصحابها وآرائهم -دون مواربة- في الأحداث العامة التي عاشها المسلمون خلال القرن العشرين.

٧- **الصراع:**

يغلب على سير الإسلاميين شكل الصراع الفكري ؛ لأنهم -في اعتقادي- أُناس حملوا همّ الأمة الإسلامية وحملوا راية التغيير، وأمواج التغيير ينبغي أن ترتطم بصخور الواقع.

.يتصور البعض أن الأدب الإسلامي صارم وجاف يحث على الفضيلة وينهى عن الرذيلة""[(١)]ولكن على العكس من ذلك لابد أن يتميز بما يدفع المسلمين إلى قراءته و التمتع به، فينكب على قراءته الصغير والكبير والخاصة والعامة من القراء ولا يمكن أن يكون كذلك إلا بمراعاة الملاحظات التالية:

- أن يتغلغل في الحياة اليومية للناس ويناقش تساؤلاتهم الخفية والمصرح بها على حد سواء.
- أن يراعي اختلاف الناس في آرائهم وأفكارهم ومعتقداتهم وميولهم ويقدم لكل فئة ما يناسبها.

---

(١) انظر،طاهر، حامد، الأدب الإسلامي، آفاق ونماذج، ص٢٦، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م

- أن يكون أدباً ممتعاً يبعث السعادة في الروح.
- أن يشارك في وضع الحلول للمشكلات التي تملأ مجتمعنا في العصر الحديث عصر التكنولوجيا والتقدم الحضاري المادي.
- أن يشارك في رفع الذوق العام عند الناس ويتوافق مع الفطرة السليمة.
- أن لا يكون أدباً مثالياً بل يكون أدبا واقعياً صادقاً يراعي احتمالية الوقوع في الخطأ خاصة في مرحلة المراهقة والشباب، كما يكون بعيداً عن الإسفاف والرذيلة.
- أن يتم اختيار قوالب الأدب حسب ما يرغبه الناس بشكل عام، لا ما يرغبه الخاصة من الأدباء والمهتمين بالأدب؛ لأن الأدب له هدف وغاية في الإسلام وهي تعديل سلوك الفرد والمضي بالمجتمع قدماً نحو الأفضل.
- يميل الناس إلى سماع الحكايات والقصص فكلما كانت السيرة زاخرة بالقصص كلما جذبت القارئ؛ لذلك لابد من الابتعاد عن السرد العلمي والخلافات في القضايا الفكرية والفقهية.

وختاماً أرى أن السيرة الذاتية للأدباء الإسلاميين في العصر الحديث ما هي إلا مرآة تعكس ما عانوه، وإذا كانت يمنى العيد ترى أن "رواية السيرة الذاتية وفق ما أفصحت عنه ثلاثية حنا مينا الروائية، هي مسعى إبداعي يضمر إحلال العامل الذاتي مكانة أولى بحيث تشكل الحكاية بما تعنيه من هوية محلية وانتماء خاص مرجعاً به تميز الرواية العربية وأن السيرة الذاتية هي كتابة تتأسس على لحظة معرفة بالذات[1]فإن السير الذاتية للكتاب الإسلاميين تعبر عن معرفة حقيقية بالذات، ووعي بالواقع المعاش سياسياً واجتماعياً وثقافياً وفكرياً كما تعبر عن الموقف العملي لكل منهم.

(١) العيد، يمنى، السيرة الذاتية الروائية، مجلة فصول، المجلد الخامس عشر، العدد الرابع، ١٩٩٧م،

المصادر والمراجع

المصادر:

القرآن الكريم

١. قطب ، سيد، طفل من القرية، كولونيا ألمانيا، منشورات الجمل، ، الطبعة الأولى١٤٢٩ هـ.
٢. الغزالي، زينب، أيام من حياتي، مصر القاهرة دار التوزيع والنشر الإسلامية، ، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
٣. الطنطاوي، علي، ذكريات علي الطنطاوي،السعودية جدة، دار المنارة،الطبعة الخامسة، ٢٠٠٧م
٤. ديدات ، أحمد ، هذه حياتي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع،١٩٩٨م
٥. التلمساني، عمر، ذكريات لا مذكرات مصر القاهرة، دار الطباعة للنشر والتوزيع، ١٩٨٥م
٦. الغضبان،منير، كشف المستور، الطبعة الاولى، ٢٠٠٦م.
٧. الرنتيسي، عبد العزيز، مذكرات الشهيد عبد العزيز الرنتيسي، مصر القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية ط١، ٢٠٠٤م.
٨. الحسنات ، حماد ،ذكريات مرج الزهور، **١٩٩٤م.**
٩. محمود ، مصطفى ،رحلتي من الشك إلى الإيمان، مصر، دار المعارف، م١٩٧٦.
١٠. الكيلاني، نجيب، ذكريات نجيب الكيلاني، بيروت، مؤسسة الرسالة، ، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
١١. القرضاوي، يوسف، ابن القرية والكتاب سيرة ومسيرة،مصر القاهرة، دار الشروق، الطبعة الثانية،٢٠٠٦م.

المراجع:

١. الأبطح، سوسن ، أدب السيرة الذاتية – عربي أبا عن جد، حوليات القدس، العدد السادس، ٢٠٠٨م.
٢. ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، لبنان بيروت، دار صادر،ج١٩٩٢،٤م
٣. الباردي، محمد ، عندما تتكلم الذات – السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دمشق، اتحاد الكتاب العرب ، ٢٠٠٥
٤. التونجي، محمد، المعجم المفصل في الأدب، ج٢، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ، الأولى، ١٩٩٣م.
٥. الجرجاني، عبد القاهر دلائل الإعجاز، بيروت، لبنان ، دار المعرفة ، ١٩٧٨م
٦. الدقاق، عمر،وآخرون، ملامح النثر الفني وفنونه، بيروت،، دار الأوزاعي، ١٩٩٧م.
٧. الساريسي، عمر عبد الرحمن، مقالات في الأدب الإسلامي، دار الفرقان للنشر والتوزيع،عمان، ١٩٩٦م
٨. السعدني، أحمد، النقد الأدبي الحديث،عمان، دار حراء، ١٩٨٢م.
٩. الشاوي، عبد القادر، الكتابة والوجود_ السيرة الذاتية في المغرب، المغرب، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٠م.
١٠. الشوبكة، محمد، السرد المؤطر في رواية النهايات لعبد الرحمن منيف، عمان الأردن، منشورات أمانة عمان الكبرى ، ٢٠٠٦م.
١١. الصبروت، ربيع، اللغة والتراث في القصة والرواية، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٣م.
١٢. العبد، محمد، اللغة والإبداع الفني، القاهرة، مكتبة دار المعرفة، ، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.
١٣. العيساوي، ريم، فدى طوقان نقد الذات قراءة السيرة،القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٨.
١٤. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، بيروت مؤسسة الرسالة، ، ط٢، ١٩٨٧، مادة سير.
١٥. القاعود، حلمي، الواقعية الإسلامية في كتابات نجيب الكيلاني، الأردن، دار البشير، الأولى، ١٩٩٦م.
١٦. القلماوي، سهير، النقد الأدبي ، دار المعرفة، القاهرة، [د ت]
١٧. القواسمة، محمد، البنية الروائية في رواية الأخدود مدن الملح لعبد الرحمن المنيف،عمان، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م.

١٨. النابلسي، شاكر، جماليات المكان في الرواية العربية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
١٩. الكبيسي، طراد، قراءات نصية في روايات أردنية، الأردن،عمان، منشورات أمانة عمان الكبرى، ٢٠٠٠م.
٢٠. الكردي، عبد الرحيم، الراوي والنص القصصي،القاهرة، دار النشر للجامعات، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.
٢١. الماضي، شكري عزيز، الرواية العربية في فلسطين والأردن في القرن العشرين، الأردن عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٣م
٢٢. النابلسي، شاكر، جماليات المكان في الرواية العربية،لبنان بيروت، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
٢٣. النحوي، عدنان، الأسلوب والأسلوبية، الرياض، دار النحوي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
٢٤. النحوي، عدنان، الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، الرياض، دار النحوي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
٢٥. . الندوي، أبو الحسن، نظرات في الأدب، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، الرياض، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م
٢٦. النعيمي، احمد، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة،الأردن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الأولى، ٢٠٠٤م.
٢٧. النعيمي، فيصل، العلامة والرواية، الأردن، عمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م
٢٨. إسماعيل، عز الدين، الأدب وفنونه، القاهرة، دار الفكر العربي، الطبعة السابعة، ١٩٧٨م.
٢٩. أبو إصبع، صالح، وآخرون، نحو دراسة تأهيلية للرواية الفلسطينية، رام الله، منشورات مركز أوغاريت للنشر والترجمة، ٢٠٠٠م
٣٠. أبو بكر، وليد، تجليات الواقع في الفن القصصي– قراءات نقدية، البيرة، فلسطين، مركز أغاريد، ٢٠٠٣م
٣١. أبو زيد،بكر بن عبد الله، النظائر، الرياض، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ،
٣٢. أبو شاويش، حماد حسن وآخرون، تحليل الخطاب الروائي دراسات في الرواية الفلسطينية المعاصرة، منشورات الملتقى الفكري الأكاديمي في قطاع غزة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

٣٣. أبو شندي، عصام حسين اسماعيل، نقد النثر العربي- في كتابات إحسان عباس ، مطبوعات وزارة الثقافة، عمان ، دار الشروق ،٢٠٠٦م.
٣٤. أبو علي،نبيل، وآخرون، دراسات في أعمال الشاعر والروائي الفلسطيني عبد الكريم السبعاوي، منشورات وزارة الثقافة،شركة مطابع الجراح.
٣٥. أبو علي، نبيل، اتجاهات القصة القصيرة بعد اتفاقية أسلو، غزة،مكتبة ومطبعة دار الأرقم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م
٣٦. أبو مطر، أحمد عطية، الراوية في الأدب الفلسطيني، العراق، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٠م
٣٧. أيوب، محمد، الزمن والسرد القصصي، القاهرة ، سندباد للنشر والتوزيع ودار الضياء ،الطبعة الأولى ، ٢٠٠١م.
٣٨. بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، بيروت لبنان، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
٣٩. بن ذريل، عدنان، النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٨٩.
٤٠. بنت موسى، فريدة ابراهيم، زمن المحنة في سرد الكاتبة الجزائرية، عمان، الأردن، دار غيداء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م
٤١. تميمي، أمل، السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء، ٢٠٠٥
٤٢. تيمور، محمود، دراسات في القصة والمسرح، القاهرة، المطبعة النموذجية بالحلمية، [ب ط]، [ب ت].
٤٣. ثويني، حميد آدم، فن الأسلوب، الأردن عمان، دار صفاء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م
٤٤. جعفر، نذير، جماليات السرد وبلاغة المعنى، الكويت، مطابع الملك، ٢٠٠٤م.
٤٥. حسن، محمد عبد الغني، التراجم والسير، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠م.
٤٦. حمودة، عبد العزيز، البناء الدرامي، القاهرة،مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٢م
٤٧. خليل، عماد الدين، الغايات المستهدفة للأدب الإسلامي،الأردن-عمان ،دار الضياء للنشر والتوزيع،٢٠٠م.
٤٨. راضي، عبد الحكيم، نظرية اللغة في النقد العربي، القاهرة، مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٨٠م.

٤٩. ربايعة، موسى، جماليات الأسلوب والتلقي ،عمان، دار جرير، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م
٥٠. رزق، صلاح، القصة القصيرة، غزة، دار غريب، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.
٥١. رضوان، عبد الله، البنى السردية٢، الأردن عمان، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع،الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣م
٥٢. زلط، أحمد، في جماليات النص،القاهرة، الشركة العربية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
٥٣. سرحان، نمر، الحكاية الشعبية الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٨٨م
٥٤. شاكر، تهاني، السيرة الذاتية في الأدب العربي فدوى طوقان وجبرا إبراهيم جبرا وإحسان عباس نموذجاً، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
٥٥. شرف ،عبد العزيز، أدب السيرة الذاتية، القاهرة، والشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ١٩٩٨م.
٥٦. صابر، نجوى، النقد الأخلاقي أصوله وتطبيقاته، بيروت، لبنان، دار العلوم العربية، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م،
٥٧. ضيف ،شوقي، الترجمة الشخصية،القاهرة، دار المعارف ، الطبعة الرابعة، ١٩٥٦م.
٥٨. طاهر، حامد، الأدب الإسلامي، آفاق ونماذج، القاهرة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م
٥٩. عباس ،إحسان ، فن السيرة ،بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧٨م.
٦٠. عباس، عباس عبد الحليم، بين التراث والنقد الأدبي، الأردن، المكتبة الوطنية، ٢٠٠٢م.
٦١. عبد الدايم، صابر، الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، دار الشروق، القاهرة،ط١، ٢٠٠٢م.
٦٢. عبد الدايم، يحيى، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، بيروت، دار إحياء التراث، ١٩٩٤م.
٦٣. عبد الرازق، محمد محمود، فن معايشة القصة القصيرة،القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م.
٦٤. عبد الغني، محمود ، فن الذات .. دراسة في السيرة الذاتية لابن خلدون، عمَّان، دار أزمنة للنشر ، ٢٠٠٦
٦٥. عبد الغني، مصطفى، قضايا الرواية العربية، الدار اللبنانية المصرية، القاهرة، الأولى، ١٩٩٩م.

٦٦. عبد الله، إبراهيم، المتخيل السردي، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م.
٦٧. عبيد، محمد صابر، السيرة الذاتية الشعرية،عمان، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م
٦٨. عودة،علي، الفن الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي،الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
٦٩. عودة، علي، الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.
٧٠. عودة، علي، الفن الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، ٢٠٠٢م .
٧١. غنايم، محمود، تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة،الطبعة الأولى، بيروت، دار الهدى للنشر والتوزيع، ١٩٩٣م
٧٢. غنيم، كمال، الأدب العربي في فلسطين، غزة، أكاديمية إبداع،الطبعة الثالثة، ٢٠١٠م
٧٣. فضل، صلاح، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.
٧٤. قطب، محمد، منهج الفن الاسلامي، القاهرة، دار الشروق،الطبعة السادسة، ١٩٨٣م،
٧٥. قطوس، بسام، مقاربات نصية، في رواية الأخدود لعبد الرحمن منيف،مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، ١٩٨٨م.
٧٦. لحميداني، حميد، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، بيروت لبنان، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، ، الطبعة الأولى، ١٩٩١م
٧٧. مالطي، فدوى، بناء النص التراثي،القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٥م.
٧٨. محجوب،عباس، الأدب الإسلامي قضاياه المفاهيمية والنقدية، الأردن، عالم الكتب الحديث ،٢٠٠٦م،
٧٩. محسن، ناهض محمود، الشخصية الإسلامية في الشعر الفلسطيني، غزة، مكتبة اليازجي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
٨٠. محمد أيوب، الزمن والسرد القصصي في الرواية الفلسطينية المعاصرة، سندباد للنشر والتوزيع الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
٨١. مرتاض، عبد الملك، في نظرية لرواية، بحث في تقنيات السرد،عالم المعرفة، ١٩٩٨م.
٨٢. مرزوق، حلمي، النزعة الرومانتيكية في الأدب ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٠م.
٨٣. مطلوب، أحمد، معجم النقد العربي القديم،ج١، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩م.

٨٤. معتوق، محبة، أثر الرواية الغربية في الرواية العربية،بيروت، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٤م
٨٥. مكي، الطاهر أحمد، مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن، عين للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م،
٨٦. مندور، محمد، الأدب وفنونه، القاهرة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٨٨م.
٨٧. موسى، شمس الدين، مراجعات ومتابعات في الرواية والقصة الفلسطينية، غزة،مطبوعات وزارة الثقافة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م
٨٨. مهران، رشيدة، طه حسين بين السيرة و الترجمة الذاتية ، الإسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩.
٨٩. نجم، محمد يوسف، فن القصة، بيروت، لبنان، دار الثقافة، الطبعة الخامسة،١٩٦٦م.
٩٠. نور الدين، صدوق، البداية في النص الروائي،اللاذقية سوريا، دار الحوار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م
٩١. هلال، محمد غنيمي، الأدب المقارن، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الثالثة، ١٩٩٠م
٩٢. هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث،القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٦٢م.
٩٣. هيكل، أحمد، في الأدب واللغة، دار الغريب للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م.
٩٤. ياغي، عبد الرحمن، في النقد التطبيقي مع روايات فلسطينية، عمان الأردن، دار الشروق، ط١، ١٩٩٩م.
٩٥. يقطين، سعيد، انفتاح النص الروائي، الدار البيضاء المغرب، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م

رسائل جامعية:

١. الحيدري، عبد الله بن عبد الرحمن ، السيرة الذاتية في الأدب السعودي، (رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية بالرياض التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م).
٢. الشيب، ندى محمود مصطفى، فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني من ١٩٩٢-٢٠٠٢م ، (رسالة ماجستير، جامعة النجاح ٢٠٠٦م).
٣. الصليبي، حسن، الرواية الفلسطينية ومحكياتها الفنية والموضوعية في الأرض المحتلة بعد اتفاقية أسلو (رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية،١٩٩٢م)

٤. المهوس، منصور عبد العزيز ، البناء الفني للسيرة الذاتية في الأدب السعودي الحديث، (رسالة ماجستير في أدب السيرة الذاتية – دراسة نقدية بلاغية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٢هـ).
٥. أبو بكر، أحمد حسن، حنا إبراهيم أديبا، (أطروحة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠١م).
٦. أبو هدروس، محمد أيوب الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة، (رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، ١٩٩٣م).
٧. مرقة، غالب، المدينة في شعر سميح القاسم،(رسالة ماجستير، جامعة الخليل ٢٠٠٦م).

مراجع مترجمة:

١. آلن، روجر، الرواية العربية، ترجمة حصة المنيف،القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة والفنون،١٩٩٧م

٢. لوجون، فيليب، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي،ترجمة عمر حلي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

٣. بروس، اليزابيت، الذات والدواة، ترجمة عمر حلي، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣م.

٤. ت، س، إليوت، فائدة الشعر وفائدة النقد، ترجمة يوسف نور عوض، لبنان بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٨٢م،

٥. كونديرا، ميلان، فن الرواية، ترجمة بدر الدين عرودكي، المغرب، أفريقيا الشرق، ٢٠٠١م

٦. ليون، ادل ، فن السيرة الذاتية ترجمة صدقي حطاب ،دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

بحوث ودوريات ومجلات:

١. أحمد، فتوح، لغة الحوار الروائي،مجلة فصول، المجلد الثاني العدد الثاني ١٩٨٢م
٢. الباردي، محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث حدود الجنس واشكالياته،مجلة فصول، المجلد السادس عشر، العدد الثالث، ١٩٩٧م
٣. العاملي، شوقي، دراسة في فنون الأدب،القاهرة،من منشورات جامعة عين شمس.
٤. العيد، يمنى، السيرة الذاتية الروائية والوظيفة المزدوجة، مجلة فصول، المجلد الخامس عشر، العدد الرابع، ١٩٩٧م
٥. الكيلاني ،سامي، دراسة نقدية في المجموعة القصصية مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) تصدر عن عمادة البحث العلمي، العدد ١١، ١٩٩٧، ص١٨
٦. الكيلاني، نجيب، مفهوم الأدب الإسلامي مجلة الرابطة، العدد الأول،شتاء ١٩٩٥م.
٧. إدلبي عمر منيب ، مسارات التعالق (السيرة الذاتية/ التاريخ/ الشعر مجلة الموقف الأدبي، دمشق، سوريا، ٤٧١-٤٧٢، تموز ٢٠١٠م،
٨. بني عطا، جميل، الأدب الاسلامي الواقع والطموح،الاردن، الزرقاء، بحوث المؤتمر الثاني لكلية الآداب ١٩٩٩م.
٩. بن مسعود، عبد المجيد كتاب الأمة القيم التربوية والمجتمع المعاصر (سلسة دورية،)، العدد ٦٧،السنة الثامنة عشر ١ ٤١٩هـ، ص١٢٣، وزارة الأوقاف والشئون الدنية.قطر
١٠. حسان، تمام، اللغة والنقد الأدبي، مجلة فصول، المجلد الرابع العدد االأول ١٩٨٣م.
١١. عبد الباقي ،محمد عبد الحكيم رحلة البطل الروائي في ضوء ثنائية القرية ،المجلة العربية للعلوم الانسانية، العدد٦١، السنة١٦، ١٩٩٨م، ،
١٢. غائية الجمال الإسلامي، مجلة المشكاة، العدد ١٢، السنة ٣، ١٩٩٠م .
١٣. نوفل، يوسف، هزيمة المدينة في الرؤية القصصية للكاتب عبد الاله عبد القادر، مجلة القصة، العدد١٠٥،العام ٢٠٠١م
١٤. هياس، خليل، قصيدة السيرة الذاتية قراءة في اشكالية المصطلح، الاردن عمان منشورات مؤتمر النقد الدولي الحادي عشر،٢٠٩